مُخْتَصَرُ شَرْحِ

أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فِي الصِّفَاتِ

سؤال وجواب

مقرر معهد السُّنَّة

شرحه واختصره : أبوعبد الله

محمد أنور مرسال

مقدمة المصنِّف ((عفا الله عنه))

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، الكريم الجواد، الذي خلق الإنسان من نطفة، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، يسمع دعاء الخلائق ويجيب، يُؤْنس الوحيد، ويَهدي الضال الشريد، ويُذهب الوحشة عن الغريب، يغفر لمن استغفره ويرحم من استرحمه، ويُصلح بفضله المِعيب، ويستر العصاة، ويمهل البغاة، ومن تاب منهم قُبِلَ وأثيب، يصفح ويعفو عن الذنوب، ويمهل العاصي ليتوب، يستر العيوب، ويكشف الكروب، ويجزي عن العمل القليل بالجزيل، نحمده حمد الراغبين المنيبين المنكسرين.

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، النبي الكريم، الرسول الأمين، الذى أدى أمانته، وبلغ رسالته، وادخر دعوته شفاعة لأمته، أرشدنا لطريق الهداية، وحذرنا طريقَ الظلمات والغواية، صلوات ربي وسلامه عليه، أما بعدُ:

فإنّ أعظم المقاصد وأجلّ الغايات وأنبل الأهداف:- توحيدُ ربِّ العالمين رب السماوات والأرَضينَ،مالك يوم الدين، والإقرار له سبحانه وتعالى بالوحدانية، وإفراده جل جلاله بالعبودية،وبالذّل والخضوع والانكسار وإخلاص النية، وإسلام الوجه خضوعًا وتذلُّلًا رغَبًا ورهبًا، خوفًا ورجاءً، لرب البريّة، والبراءةُ من الشرك كلّه كبيره وصغيره ،فهذه هي الغاية العظمى التي خلق الله الخلق وأوجدهم لأجلها، قال الله جل جلاله:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ وهي الغاية التي أرسل

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لأجلها رسله الكرام وأنزل كتبه العظيمة.

وتوحيد الله هو أعظم ما تُفنى فيه الأعمار، وقد مَنَّ الله على عبده الفقير بصياغة متن في علم التوحيد على وَفْقِ مذهب أهل السنة والجماعة، وقد سميته:((**المغني المفيد في علم التوحيد**)) [1]، مبدؤه الكلامُ عن صفات الله جَلَّ جَلَالُهُ، ولما دُعيتُ للتدريس بـ"معهد السنّة" المبارك وجدتُ مقدمة المتن المتعلقة بمبحث صفات الله جَلَّ جَلَالُهُ تحت عنوان:((**أصول أهل السنة والجماعة في صفات الله –تعالى–**)) [2] مناسبة للمرحلة الأولى، مقدِّمةً للطلبة في هذا العلم الجليل.

وقمت –بفضل الله وحده– بشرحها للطلبة في المعهد، وبعد الانتهاء من شرحها، قمنا بمراجعتها للطلبة في شرح مختصر في صورة سؤال وجواب، فاستحسنها الطلاب، وطلب مني عدد منهم جَمْعَها ونشرها بينهم لتكون عوناً على المذاكرة، فأعان الله عبده الفقير على ذلك، فجمعتها في صورة سؤال وجواب، وحذفت منها تقريرات السلف ومأثوراتهم الكثيرة في الشرح الأصلي، واختصرت منه أشياءَ، وقمت بتخريج الأحاديث، وعزو الأقوال لمصادرها (3).

وها هو –بفضل الله وحده– بين يديك، فإن انتفعتَ به فلا تنسَ كاتبه بدعوة بظهر الغيب، وإن وجدت فيه عَطَبًا أو خللًا فانصح ولا تخجلْ.

واعلم أن هذا جُهْدُ المُقِلِّ، مع ضعف بضاعتي وقلة حيلتي.

---

(1) ـ يسر الله إتمامه وظهوره والنفع به إخلاصًا لوجهه الكريم.

(2) ـ **وهذه الأصول:** مقدمة المتن بين يدَي الكلام في باب الصفات.

(3) ـ **تنبيه مهم:** في بعض الأحيان في العزو لبعض الكتب تجد علامة: **"ح"** والمقصود بها: أن هذا المرجع من المكتبة الشاملة الحديثة، وهذا قليل جدًا، في مرجعين أو ثلاثة.

((فإن يكُ صوابٌ فمن الله،وإن يَكُ خطأٌ فمني ومن الشيطان،والله ورسوله بريئان)) [1]، ورحم الله مَن بصرني بعيبي؛ إذ **((المؤمن: مرآة المؤمن))** [2]، و**((الدين: النصيحة))** [3].

هذا، وأسأل اللهَ أنْ يجعل هذا الشرح خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفعني به والمسلمين؛ إنه جواد كريم، وهو بالإجابة كفيل، وهو حَسْبُنا ونِعم الوكيلُ.

وصلِّ اللهم وسلم وبارِك على محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه: أبو عبد الله السكندري المصري

محمد أنور محمد مرسال

الاثنين/ السادس عشر من جمادى الآخر(1444 هـ)

الموافق: 9 /يناير/ 2023 م

---

(1) ـ **صحيح:** وهو من كلام ابن مسعود رضي الله عنه: رواه أبو داود (2116)، وورد نحوه عن الصِّدِّيق.

(2) ـ **حسن:** رواه البخاري في (الأدب المفرد) (238).

(3) ـ رواه مسلم (55)، وأبو داود (4944)، وغيرهما.

متنُ ((أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فِي الصِّفَاتِ)) [1]

(اعلمْ -رحِمني اللهُ وإياكَ- أنَّ عقيدةَ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في الصفاتِ: الإيمانُ بما وصفَ اللهُ بهِ نفسَهُ في كتابهِ، وبما وصفَهُ بهِ نبيُّهُ في السُّنَّةِ، منْ غيرِ تحريفٍ ولا تعطيلٍ ولا تكييفٍ ولا تمثيلٍ.

واعلمْ أنَّ أهلَ السُّنَّةِ والجماعةِ لهمْ أصولٌ وضوابطُ في صفاتِ الله -تعالى-

ومِنْ أصولِهِمْ ومَسالِكِهِمْ في الإثباتِ:

أنهم يعتقدون أنَّ صفاتِ اللهِ كلَّها حُسنَى، وهي توقيفيةٌ، خلافًا للخبر -بضوابِطِهِ-،وفي الاشتقاق (المُعْتَبَرِ) [2] خلافٌ، وكلَّ اسمٍ: يتضمنُ صفةً، وأنها غيرُ مخلوقةٍ، وأنها تثبُتُ بخبرِ الواحدِ، وأنها تَجْرِي على ظاهِرِهَا، وهي معلومةٌ لنا مِنْ وجهٍ، مجهولةٌ لنا مِنْ وجهٍ، وأنها ثابتةٌ للهِ على وجهٍ لا يماثِلُهُ المخلوقُ، وأنها قائمةٌ بذاتِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وأنَّ المضافَ إلى اللهِ نوعانِ: صفةٌ لموصوفٍ، ومخلوقٌ لخالقهِ، والصفاتُ: مِنَ النوعِ الأولِ أي: صفةٍ لموصوفٍ، وأنه يجبُ الإيمانُ بنصوصِ الصفاتِ، سواءٌ أَعَلِمْنا مَعناها

---

(1) ـ هذا هو جزء المتن الذي شُرح للطلبة، ثم اختُصر الشرح في صورة سؤال وجواب.

(2) ـ قيّدنا بـ "المعتبر"؛ لأن مِن طوائف أهل البدع مَن توسع في الاشتقاق بلا ضابط ولا رابط، والمقصود: الاشتقاق بضوابطه التي اعتبرها مَن جوز الاشتقاق من أهل السنة.

وضابط ذلك عند مَن يُجَوِّزه: (**الأسماء المشتقة من الأفعال الثابتة لله في النصوص الشرعية الدالة على معانٍ صحيحةٍ، ولا تتنافى مع الكمال المطلق، ولا يُتوهم فيها نقصٌ بوجه من الوجوه**).

مثل: قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[لقمان:20] فيُشتق منه اسم "المنعِم" لله تعالى.

أمْ لمْ نعلمْ [1]، وأنه –سبحانَهُ– بائنٌ مِنْ خَلْقِهِ، ليسَ شيءٌ مِنْ خَلقِهِ في ذاتِهِ، وَلا ذاتُهُ في شيءٍ مِنْ مخلوقاتِهِ.

ومِنْ أصولِهِمْ ومسالِكِهِمْ في النَّفْي:

أنهم يعتقدون أنَّ كلَّ كمالٍ يتصفُ العبدُ بِهِ وَلا نَقْصَ فيهِ: اللهُ أَوْلى بِهِ، وكلَّ نقصٍ يَتَنَزَّهُ العبدُ عَنْهُ ولا كمالَ فيهِ: اللهُ أَوْلى أنْ يُنَزَّهَ عنْهُ، ويعتقدونَ أنَّ النفيَ يكونُ إجمالًا، والإثباتَ يكونُ مُفَصَّلًا، وهذا الأصلُ قد يختلفُ لِعِلَلٍ، وأنَّ القياسَ كلَّهُ باطلٌ في الصفاتِ كقياسِ الشُّمولِ، وقياسِ التمثيلِ، عدا قياس الأَوْلى بضوابِطِهِ، وأنهم يَنْفون عنِ اللهِ النقصَ مَعَ ذِكْرِ كمالِ الضِّدِّ، وأنَّ القدْرَ المشتركَ لا يلزمُ منْهُ التمثيلُ، وأنهم يتوقفونَ في الألفاظِ المُجْمَلَةِ التي تحتملُ الحُسْنَ وغيرَهُ، ويسكتون عما سكتَ عنْهُ اللهُ ورسولُهُ).

---

(1) ـ والمقصود: أنه قد يخفى على بعض الأمة لا كلّها كما سيأتي في الشرح ــإن شاء اللهــ.

الكلام عن التوحيد عمومًا وأقسامِه

س1: ما تعريف التوحيد؟

ج ـ التوحيد لغةً: الإفراد (1).

واصطلاحًا: هو إفراد الله في ربوبيته، وأسمائه وصفاته، وإفراده بالعبادة والألوهية.

س2: ما أقسام التوحيد؟

ج ـ للعلماء طريقتان في تقسيم التوحيد:

أ ـ الطريقة الأولى: تقسيم ثنائي.

ب ـ الطريقة الثانية: تقسيم ثلاثي.

الطريقة الأولى (التقسيم الثنائي):

أ ـ (توحيد المعرفة والإثبات) ويضم: "توحيد الربوبية"، وتوحيد "الأسماء والصفات".

ب ـ (توحيد القصد والطلب) وهو: "توحيد الألوهية".

الطريقة الثانية (التقسيم الثلاثي):

أ ـ توحيد الربوبية.

ب ـ توحيد الألوهية.

ج ـ توحيد الأسماء والصفات.

س3: وهل بين الطريقتين التقسيمين الثنائي، والثلاثي:– فرقٌ؟

ج ـ التقسيم الثلاثي مفسِّر للتقسيم الثنائي.

---

(1) ـ مختار الصحاح، عبد القادر الرازي (صـ 380) مادة: "وحد"، ط (دار الحديث) القاهرة.

س4: ما المقصود بتوحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات؟ مع ذكر أمثلة

ج ـ معنى توحيد الربوبية: أن يعتقد العبدُ أن اللهَ خالق، مالكٌ، رازق، مدبِّر، سيِّد كل شيء.

فتوحيد الربوبية هو: (إفراد الله بأفعاله) أو (توحيد الله بأفعاله).

فهو الإقرار والاعتقاد الجازم بأنَّ الله ﷻ هو ربُّ كلّ شيء ومَليكه، وهو الخالق المدبّر للأمور كلِّها، المتصرّف في الكون كلِّه، لم يكن له أيّ شريك في ملكه، لا رادَّ لأمره، ولا معقِّبَ لحُكمه، ولا يُوجَد مَن يماثله أو ينازعه في معنًى من معاني ربوبيته، أو أسمائه، أو صفاته الحسنى - جلّ في علاه-.

توحيد الله بأفعاله:

ومن أفعال الله ﷻ: الخلق، والرِّزْق، والسيادة، والإنعام، والتصوير، والعطاء والمنع، والنفع والضُّرُّ، والإحياء والإماتة، والتدبير المحكَم، والتقدير،والحُكم...إلخ وغير ذلك من أفعاله التي لا شريكَ له فيها، فالواجب –لهذا– على العبد: أن يؤمن بذلك كله.

أمثلة على توحيد الربوبية:

قال الله ﷻ:﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:54].

قال الله ﷻ: ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرعد:16].

قال الله ﷻ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ [الناس: 1].

توحيد الإلوهية: إفراد الله بجميع العبادات، سواء أكانت ظاهرة أم باطنة،

قولية أم فعلية؛ كالصلاة، والصوم، وبر الوالدين، وصلة الأرحام....إلخ، ونفي العبادة عن كل ما سواه.

فهو **(توحيد الله بأفعال العباد)**.

أمثلة على توحيد الألوهية:

قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:21].

قال الله ﷻ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:36].

قال الله ﷻ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:23].

قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:36].

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56].

توحيد الأسماء والصفات: إفراد الله بأسمائه الحُسنى، وصفاته العُلا الواردة في الكتاب والسُّنَّة، والإيمان بمعانيها وأحكامها.

أمثلة على توحيد الأسماء والصفات:

قال الله ﷻ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:65].

قال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف:180].

قال الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:11].

س5: ولماذا أفرد العلماء توحيد الأسماء بقسم مستقل مع أنه داخل في توحيد الربوبية؟

ج - لأن توحيد الأسماء والصفات تعرَّض لحمَلات ضارية من المعطلة والممثلة، والمكيفة، والمفوضة، والمخلطة، فأفرده العلماء بقسم مستقل.

س6: ما الفرق بين توحيد الربوبية والألوهية؟

الفرق الأول:

توحيد الربوبية:متعلق بأفعال الرب،والأمور الكونية؛ كالخلق،والرزق، والإحياء، والإماتة.

توحيد الألوهية: متعلق بأفعال المكلفين من صلاة، وصيام، ومحبّة، وخوف، ورجاء، وأوامر، ونواهٍ، ومن واجب، ومحرم، ومكروه.

فتوحيد الربوبية: مدلوله: علميٌّ، يتعلق بالاعتقاد والقلب.

وتوحيد الألوهية: مدلوله: عمليٌّ، يتعلق بالعمل وفعل المكلف [1].

الفرق الثاني:

توحيد الربوبية: الإيمان به لا يكفي لدخول المرء الإسلامَ، ولا بد أن يكون معه توحيد الألوهية.

فتوحيد الألوهيّة متضمِّنٌ توحيد الربوبيّة، لأن مَن أفرد الله تعالى بالعبادة فهو مقرٌّ ضمنًا بتفرّد الله تعالى في الخلق والملك والتدبير، وغير ذلك من الأفعال الإلهيّة، ولولا إقراره بالربوبيّة لَمَا أفرده بالعبادة.

س7: من الذي ردَّ تقسيم التوحيد؟

(1) ـ ويتعلق بالاعتقاد أيضًا لأنه أمر عقديّ، لكنّا ذكرنا العمل فحسب؛ لبيان الفارق بينهما، وأما الاعتقاد القلبي فهو أساس فيهما.

ج - بعض الطوائف المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة كالأشعرية [1]، وغيره فيقولون: إن تقسيم التوحيد بدعة من البدع!!

س8: لماذا أنكروا تقسيم التوحيد؟

ج - سببُ ردِّ المتكلمين التقسيمَ أمورٌ، منها:

أ - أن التوحيد عند القوم هو توحيد الربوبية فحسْب.

فالأشاعرة: ليس عندهم توحيد ألوهية، ولا فرق عندهم بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

فهم يفسرون (لا إله إلا الله) بـ (**القدرة على الاختراع والخلق**).

ولذلك لا يقبلون تقسيم التوحيد، ويطعنون فيه.

(تنبيه):

قد فرق بعض الأشاعرة بين أنواع التوحيد، ولكنه تفريق أجوفُ.

فالذين فرَّقوا لم يجعلوا ترك الألوهية مانعًا من الإيمان ما لم يعتقد النفع والضر فيمن صرف له العبادة، فلا يوجد عندهم مؤمن بالربوبية مشرك في الألوهية؛ لوجود التلازم [2] !!

ب - ثم تمسَّحوا: بأن النبي ﷺ ما قسم التوحيد قسمة ثلاثية أو ثنائية، ولا الصحابة رضي الله عنهم، فمن أين أتيتم بهذا التقسيم المحدث؟!

قال النبي ﷺ: **((مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ))** [3].

---

(1) - وغيرهم من الفلاسفة والمتكلمين.

(2) - والتلازم موجود في لازم الإيمان بالألوهية بناء على الإيمان بالربوبية، وفي قيام الحجة، لا في لازم التطبيق والعمل بذلك؛ كما هو حال مشركي العرب على الخلل عندهم في الربوبية، وسيأتي بيانه.

(3) - رواه البخاري (2697)، ومسلم (1718).

فهذا التقسيم –إذن– بدعة محدثة.

وقد زعموا: أن أول من قسم هذا التقسيم: ابن تيميّة، وقد ابتدعه في دين الله ﷻ، وأتى بهذا التقسيم الذي لم يكن معروفًا عند العلماء، والغرض من ذلك: تكفير الأشاعرة والصوفية!!

وقد زعم بعض جُهّالهم:

أن أول من أحدث هذا التقسيم: الشيخ محمد بن عبد الوهاب!!

وقد نادى على نفسه بالجهل بمقالته هذه.

س9: ما الجواب على مَن ردَّ تقسيم التوحيد؟

ج ـ الجواب سيكون جوابين وهما:

أ ـ الجواب على زعمهم أن ابن تيميّة هو أول من قسم التوحيد.

ب ـ الجواب على بدعية التقسيم.

أولًا:((جوابنا على مَن زعم أن شيخَ الإسلام ابن تيمية أولُ من أحدث هذا التقسيم)):

قول من قال إن هذا التقسيم ابتدعه واخترعه شيخ الإسلام ابن تيمية:– باطل مردود، وقائل هذا الكلام نادى على نفسه بالجهل؛ لأن تقسيم التوحيد موجود عند العلماء المتقدمين، وهم على قسمين:

أ ـ قسمٌ قسمه قسمة ثلاثية:

قالوا: إن التوحيد ينقسم إلى:(ربوبية ــ وألوهية ــ وأسماء وصفات).

ب ـ قسمٌ قسمه قسمة ثنائية:

قالوا: التوحيد ينقسم قسمين: (المعرفة والإثبات، والقصد والطلب).

أما مَن قسم التوحيد ثلاثة أقسام (الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات) **فطريقته طريقةٌ سار عليها جماعة مِن سلف هذه الأمة، منهم:**

ابن بطة، (ت 387 هـ).

محمد بن إسحاق بن منده، (ت 395 هـ).

وسار على هذه الطريقة، وقررها، ووافق عليها: ابن تيمية وابن القيم والمقريزي، و الصنعاني، ومحمد بن عبد الوهاب، وكثير من العلماء.

فتقسيم التوحيد هذا لم يخترعه ابن تيمية -كما يزعمون-.

والتفريق بين الربوبية والألوهية قد ورد في كلام كثير من السلف.

((بعض مَن ورد عنهم من السلف التفريق بين الربوبية والألوهية))

إليك بعضَ من ورد عنهم التفريق بين أنواع التوحيد:

أ ـ **أبو حنيفة** في [الفقه الأبسط]، وفي نسبة الكتاب إليه كلام.

ب ـ **وأبو يوسف** صاحب أبي حنيفة.

جـ ـ وإسماعيل التيمي الأصبهاني قوام السنة.

د ـ ومحمد بن نصر المروزي، وابن جرير الطبري في تفسيره في مواضع كثيرة.

هـ ـ والإمام الطحاوي.

و ـ وأبو حاتم البستي.

ز ـ وأبو زيد القيرواني.

ح ـ وابن بطة.

ط ـ وابن منده.

ك ـ ابن عبد البر.

ل ـ وابن تيمية.

م ـ وابن القيم.

ن ـ وابن أبي العز.

وكثير من العلماء غيرهم أقروا تقسيم التوحيد.

ثانيًا: ((الرد على من زعم أن هذا التقسيم بدعيٌّ محدث)):

مَن يزعم أن تقسيم التوحيد ثلاثة أقسام أو قسمين تقسيم بدعي:- كلام باطل مردود من وجوه:

الوجه الأول:

هذا التقسيم مستنبط من كلام الله ، ومن النصوص الشرعية، وهذه النصوص قسمان: مفترقة، ومجتمعة -قد جمع الله فيها أنواع التوحيد- وإليك بيانَ ذلك:

نصوص مفترقة:

أ ـ توحيد الربوبية:

قال ربنا تبارك وتعالى:﴿**تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأعراف:54].

وقال ربنا -عَزَّ وَجَلَّ-:﴿**قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [الرعد:16].

فهذا توحيد ربوبية.

ب ـ توحيد الألوهية:

قال الله ﷻ:﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ**﴾[النحل:36].

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ**﴾[البقرة:21].

وهذا توحيد ألوهية، وتوحيد العبادة.

ج ـ توحيد "الأسماء والصفات":

قال الله ﷻ:﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:65].

قال الله ﷻ:﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف:180].

قال الله ﷻ:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:11].

نصوص مجتمعة:

قال الله ﷻ:﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:65]:

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[مريم:65]، هذا توحيد ربوبية.

﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾[مريم:65]، هذا توحيد ألوهية.

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:65]، والمعنى المقصود: هل تعلم له نظيرًا أوشبيهًا أومثيلًا؟-سبحانه وتعالى!- وهذا توحيد في الأسماء والصفات.

وأيضًا قال ﷻ:﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾[الناس:1:3]:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ وهذا توحيد ربوبية.

﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ وهذا توحيد أسماء وصفات.

﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ وهذا توحيد ألوهية.

فهذا التقسيم إنما هو مستنبط من نصوص القرآن والسنة.

الوجه الثاني:

ولو قَبِلْنا قولَهم: إن هذا التقسيم لم يرد في القرآن ولا السنة.

لقُلنا -بعون الله-: هذا لا يدل على أنه تقسيم بدعي؛ لأن التقسيم نوعان:

أ ـ تقسيم شرعيّ.

ب ـ تقسيم اصطلاحيّ.

وتقسيم التوحيد: من جنس التقسيم الاصطلاحي، ولا مُشاحاةَ في الاصطلاح بشروط وقيود، منها:

أ ـ ألا يخالف النصوص الشرعية.

ب ـ ألا يؤدي إلى مفسدة [1].

س10: اذكر بعض الأدلة على التفريق بين الربوبية والألوهية.

ج ـ الدليل الأول:

من الناحية اللغوية: فمعنى الإله في اللغة: يختلف عن معنى الرب.

فلفظ الإله: مَرجعه إلى: العبادة والتعبد.

ولفظ الرب: إلى: الملك والتصرف والسيادة.

الدليل الثاني:

آيات فرقت بين النوعين:

قال ﷻ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾[الناس:1:3].

ففرق بين الربوبية والألوهية [2].

الدليل الثالث:

أن الله ألزم المشركين بالألوهية لِما له من معاني الربوبية

---

(1) ـ وهناك قيود أخرى، ولكن هذه رؤوس هذه القيود، وبالله التوفيق.

(2) ـ **وقد يقول المخالف للمعارَضة:** (هذا من باب التأكيد، لا التفريق).

وجواب ذلك: أن هذا خلاف الأصل، إذ الأصل: التأسيس لا التأكيد.

كما في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:21].

وجه الاستدلال:أنه -تعالى- ألزمهم بالألوهية بدليل ربوبيته، ولو كان مضمون الربوبية هو مضمون الألوهية؛ لما كان هذا حجةً ملزمة؛ لأنه استدلال على الشيء بنفسه، وهذا مردود بـ: الشرع، والعقل، الفطرة.

الدليل الرابع:

أن الله أثبت للمشركين الإقرار بأصول يتضمنها توحيد الربوبية.

وهذا كثير في القرآن، ومن ذلك:

قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: 61].

قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: 84 – 89].

قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف:87].

وجه الاستدلال: أن الله قد أثبت لهم الإقرار بأصول يتضمنها توحيد الربوبية، ومع ذلك فقد ألزمهم وأمَرهم بتوحيد الألوهية، فلو كانا شيئًا واحدًا لَمَا صح هذا الأمر.

س11: هل توحيد الربوبية عند المشركين كان صحيحًا؟

ج ـ المشركون يُقِرُّون بتوحيد الربوبية في الجملة، ومع ذلك لم يكن سليمًا، بل كان فيه خللٌ وشِرْكِياتٌ، منها:

أ ـ نسبة المطر للكواكب والأنواء.

ب ـ كانوا يأتون الكُهَّان.

ج ـ كانوا يتطيرون.

د ـ ينسبون بعض الحوادث للدهر.

وأصل إنكار البعث: طعن في الربوبية.

((أسئلة تتعلق بتوحيد الأسماء والصفات وأقسامه))

س 12: ما أشهر طرائق العلماء في تقسيم الصفات؟

ج ـ للعلماء طرائقُ، منها:

أ ـ تقسيمها باعتبار "دليل الثبوت" إلى:

صفات سمعية عقلية: (وهي الصفات التي يشترك في إثباتها: الدليل السمعي النقلي، والدليل العقلي).

صفات سمعية خبرية: (وهي الصفات التي لا تثبت إلا بالخبر، ولا مَدخل للعقل فيها).

ب- تقسيمها باعتبار "الثبوت لله وعدَمه" إلى:

صفات ثبوتية.

صفات سلبية.

جـ- تقسيمها باعتبار "لُزومها للذّات وعدَمه_تعلُّقها بالمشيئة" إلى:

صفات ذاتية: صفات لازمة لا تنفكّ عن الذات، يتصف بها أزلًا وأبدًا.

مثل: (السمع، والبصر، والعلم، والقدرة، والقوة، والحياة، واليد، والوجه، والعزة، الملك.... ونحوه)

صفات اختيارية: وهي الصفات التي تتعلق بالمشيئة.

وهي إما من باب الأفعال، مثل:(الاستواء، والنزول، والغضب، والضحك، والفرح، والمحبة، والمجيء... ونحوه).

وإما من باب الأقوال، مثل:(الكلام، والمناداة، والمناجاة) .

وهناك تقسيمات أخرى أعرضنا عن ذكرها خشية الإطالة.

والتقسيم المختار: التقسيم باعتبار "الثبوت وعدَمه".

س 13: ما أقسام الصفات –على وَفق التقسيم المختار–؟

ج ـ صفات الله في الجملة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ (صفات ثبوتية) أثبتها الله ﷻ لنفسه، مثل: السمع، والبصر.

قال الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:11].

ب ـ (صفات سلبية) منفية عن الله، لا يتصف ربنا بها؛ لكماله.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[فصلت:46]،

ج ـ وصفات هي كمالٌ مِن وجه ونقص من وجه.

وهذه لها ضوابط سيأتي ذكرها في سؤال مستقل.

س 14: ما أقسام الصفات الثبوتية، وضابط كل قسم؟

ج ـ الصفات الثبوتية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ صفات ذاتية.

ب ـ وصفات فعلية اختيارية.

ج ـ وصفات خبرية.

الكلام عن الصفات الذاتية:

ضابط الصفات الذاتية: أنها لا تنفكُّ عن الله، بمعنى: أن الله ﷻ يتصف بها أزلًا وأبدًا (كالسمع والبصر، والقوة، والعزة، والمُلْك، والعلم، والقدرة....)

قال الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:11]،

هذه الآية فيها اسمان لله ﷻ وهما (السميع، البصير) وكل اسم: يتضمن صفة.

فالسميع: يتضمن صفة السمع.

والبصير: يتضمن صفة البصر.

والسمع والبصر: صفتان ثبوتيتان ذاتيتان.

ثبوتية:(لأن الله أثبتها لنفسه).

ذاتية:(لأنها لا تنفك عن الله).

الكلام عن الصفات الفعلية الاختيارية:

ضابطها: أنها تتعلق بمشيئة الله _أي أنها تحدث [1] في وقت معين يشاؤه الله ﷻ، أي أنّه –تعالى– إذا شاء فعلها وإذا لم يشأ لم يفعلها إذا شاء، مع ثبوت أصل الصفة له سبحانه وتعالى.

كالصفات: (الاستواء، والنزول، والغضب، والضحك، والفرح، والمحبة، والمجيء والرضا،.....ونحوه).

سؤال: كيف أضبط الصفات الفعلية الاختيارية؟

الجواب:

ضع قبلها (إنْ شاءَ) فإنْ صحَّ الكلام فهي صفة " ثبوتية فعلية".

تطبيق:

في حديث الشفاعة الطويل قال رسول الله ﷺ:

---

(1) ـ وليس المقصود من ذلك أن أصل هذه الصفات محدَثة، بل صفات الله الفعلية الاختيارية: قديمة قائمة به أزلًا، وهي غير مخلوقة، وهي قديمة النوع حادثة الأفراد، والمقصود من هذه الكلمة (تحدث): تحدث في وقت معين بحسب مشيئته –تعالى-، وأصل الصفة: قديم أزليّ قائم بذاته -تعالى-.

((....فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ....)) [1].

هذا الحديث فيه إثبات صفة "**الغضب**" لله، وهي صفة:

"**ثبوتية فعلية**"؛ لأنها تتعلق بمشيئة الله ــعز وجلــ.

العمل بالضابط: (إنْ شاءَ غضِب وإنْ شاءَ لم يغضب).

تطبيق:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟)) [2].

هذا الحديث فيه إثبات صفة "**النزول**" لله تعالى، وهي صفة:

"**ثبوتية فعلية**"؛ لأنها تتعلق بمشيئة الله تعالى.

إنْ شاءَ نزَل، وإن لم يشأ لم يَنزل.

الكلام على الصفات الخبرية:

ضابط الصفات الخبرية:

الصفات الخبرية: مسمّاها عندنا: أجزاءٌ وأبعاض [3].

(كاليد، والوجه، والساق، والعين، والأصابع...ونحوها).

---

(1) ـ رواه مسلم (194).

(2) ـ رواه البخاري (1145)، ومسلم (758).

(3) ـ المقصود: مسماها عندنا نحنُ -المخلوقين-: أجزاءٌ وأبعاض، وليست كذلك في حق الله؛ لأنه سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، وذكرنا هذا الضابط للتقريب والتفريق بين الصفات وأنواعها.

فهذه صفات ثبوتية خبرية.

خبرية: لأننا لا نَعلمها إلا عن طريق النصوص الشرعية، ولا مَدخل للعقل فيها.

تطبيق:

قال الله ﷻ:﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:10].

س: أين الصفة في الآية؟ وما نوعها؟

ج: صفة اليد، وهي صفة ثبوتية خبرية.

س: من أين عِلمنا أنَّ لله يدًا؟

عن طريق الخبر والنص، ولا مدخل للعقل فيها.

تطبيق:

قال الله تعالى:﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾[الرحمن:26-27].

س: أين الصفة في الآية؟ وما نوعها؟

ج: صفة الوجه، وهي صفة ثبوتية خبرية.

س: من أين عِلمنا أن لله وجهًا؟

عن طريق الخبر والنص، ولا مَدخل للعقل.

سؤال: الصفات الخبرية: صفات ذاتية لا تنفك عن الله فلماذا وضعناها في قسم خاص وقلنا: إنها صفات خبرية، ولم نقُل عنها: إنها صفات "ثبوتية ذاتية"؟

الجواب: لأن هذه الصفات لا نَعلمها إلا عن طريق الخبر، ولا مدخل للعقل

فيها [1].

س 15: ما ضابط الصفات السلبية؟

ج ـ **الصفات السلبية**: هي الصفات المنفية عن الله، لا يتصف بها ربنا –عَزَّ وَجَلَّ–؛ لكماله ونُعوت جلاله.

ضابط الصفات السلبية:

ضابطها: أن يسبقها حرفُ نفيٍ، (ما، لَمْ، لا، الفعل "ليسَ"...)، فهذه تدل على أن هذه الصفة سلبية منفية عن الله ﷻ.

تطبيق:

قال تعالى: ﴿ **لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى** ﴾ [طه:52].

س: أين الصفة في الآية؟ وما نوعها؟

ج: صفتا الضلال والنسيان، وهما صفتان سلبيتان أي منفيتان عن الله ﷻ.

ومن تمام الأدب: أن نقول: صفتا النسيان والضلال، وهما صفتان سلبيتان منفيتان عن الله؛ لكمال علمه.

تطبيق:

قال الله ﷻ:﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾[فصلت:46].

﴿**وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾[الكهف:49]،

س: أين الصفة في الآية؟ وما نوعها؟

ج: صفة الظلم وهي صفة سلبية منفية عن الله؛ لكمال عدله.

---

(1) ـ وصفات الله، منها: ما للعقل مدخل فيه (كالصفات الذاتية)، ومنها: ما لا مدخل للعقل فيه (كالصفات الخبرية)، ومنها: ما للعقل مَدخل في بعضه، وبعضُه لا مَدخل للعقل فيه (وهو الصفات الفعلية).

س16: اضرب مثالًا على صفات الكمال من وجه والنقص من وجه، مع ذكر ضابطها.

ج ـ مثال:

"صفة المكر":

قال الله ﷻ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[الأنفال:30]

فهل يصح أن أقول: الله يمكُر؟

فالمكر قد يدل على المدح، وقد يدل على الذم.

ضابطها، وحكمها:

نثبتها لله، وننفيها عن الله!!

نثبتها لله حالَ دلالتها على الكمال.

ننفيها عن الله حالَ دلالتها على النقص.

وضابط ذلك:

أن هذه الصفات وردت مقيدة، وليست مطلقة، وضابطُ ثبوتها لله:

(أن نثبتها لله مقيّدةً كما جاءت).

فتقول: الله خير الماكرين، الله يمكر بالماكرين والمنافقين وأعداء الدين.

وهذا كمال لله سبحانه وتعالى؛ لأن المكر بالمنافقين يدل على كمال العلم والقدرة والسلطان والمُلْك...إلخ

تطبيق:

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾[النساء:142].

س: أين الصفة في الآية؟ وما نوعها؟

ج: صفة خداع المنافقين، وهي صفة "ثبوتية فعلية".

والخداع: صفة كمال من وجهٍ ونقص من وجه، فنثبتها لله حالَ دلالتها على الكمال مقيدةً كما جاءت.

(يخادع: المنافقين والمجرمين والمخادعين).

تطبيق:

﴿ **اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ** ﴾ [البقرة:15].

س: أين الصفة في الآية، وما نوعها؟

ج: صفة الاستهزاء بالمنافقين، وهي صفة "ثبوتية فعلية".

والاستهزاء كمالٌ من وجه ونقص من وجه، فنثبتها لله حالَ دلالتها على الكمال، مقيدة كما جاءت.

((أسئلة تتعلق بمصطلح "أهلُ السنّة والجماعة"))

س17: هل مصطلح "أهل السنة والجماعة"ورد في النصوص الشرعية؟

ج ـ هذا المصطلح لم يرِد في النصوص الشرعية، لكنه مستنبط من النصوص الشرعية، وذكَره كثير من العلماء المتقدمين.

س18: ولماذا سُمُّوا بهذا الاسم؟

ج ـ سموا بهذا الاسم؛ لانتسابهم لسنَّة النبي ﷺ ولاجتماعهم على الأخذ بالسنة ظاهرًا وباطنًا.

س 19: ومتى أُطلق هذا المصطلح؟

أطلق هذا المصطلح في القرن الثاني الهجري على أهل الأثر الذين خالفوا الفِرَق التي خالفت منهج الصحابة والتابعين.

س 20: مَن أول مَن أطلق هذا المصطلح؟

هذا مما اختلف فيه العلماء على أقوال:

القول الأول:

أول من أطلق هذا المصطلح هو ابن عباس رضي الله عنهما .

ورد عن ابن عباس أنه فسر هذه الآية –فيما يُروى عنه–:﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ [آل عمران:107]، بأن قال: "يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حِينَ تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ البِدْعَة وَالْفُرْقَةِ".

القول الثاني:

أول من استعمل هذا المصطلح:– بعض مشايخ الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ.

القول الثالث:

أول مَن ذكر هذا المصطلح: ابن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ كما ورد في مقدمة صحيح مسلم عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: «**لَمْ يَكُونُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْإِسْنَادِ، فَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ قَالُوا: سَمُّوا لَنَا رِجَالَكُمْ فَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ فَيُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ، وَيُنْظَرُ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ فَلَا يُؤْخَذُ حَدِيثُهُمْ**» [1].

الترجيح:

وأَولى الأقوال بالصواب -في نظري، والعلم عند الله جَلَّ وَعَلَا- أن أول مَن ذكر هذا المصطلح: ابن سيرين؛ لأن هذا قد ورد عنه بسند صحيح، ثم تتابَعَ الناس مِن بعده على هذا المصطلح، ومنهم:

"**أيوب السجستاني**"، المتوفى سنة 131هـ

و"**سفيان الثوري**"، المتوفى سنة 161هـ

و"**الفضيل بن عياض**"، المتوفى سنة 187هـ

والإمام "**أحمد ابن حنبل**"، المتوفى سنة 241 هـ

سؤال: وماذا عن أثر ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ؟

نقول: هذا الأثر عن ابن عباس لا يصح.

فقد رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (74)، ورواه الآجري في الشريعة (2074)، وغيرهم.

---

(1) ـ مقدمة صحيح مسلم (صـ 8) ط (دار ابن الجوزي) القاهرة.

من طريق عَلِيِّ بْنِ قُدَامَةَ، ثنا مُجَاشِعُ بْنُ عَمْرٍو، ثنا مَيْسَرَةُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْجَزَرِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ ﷻ: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ} [آل عمران: 106]:

((فَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَأُولُوا الْعِلْمِ، وَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ فَأَهْلُ الْبِدَعِ وَالضَّلَالَةِ)) (1).

والأثر: إسناده ضعيف جدًّا -إنْ سلِم من الوضع-.

ففيه "**علي بن قدامة**": وهو ضعيف.

وشيخه **مجاشع بن عمرو**: متهم بالكذب، وقد كذبه ابن مَعين وغيره، وشيخ مجاشع "**ميسرة**": مِثلُه.

فهذا الأثر عن ابن عباس: أقلُّ أحواله أن يكون ضعيفًا جدًّا، إذا سلِم من الوضع.

س 21: مِن أين جاءت هذه التسمية؟

ج - هذه التسمية مستنبطة من جملة من أحاديث واردة عن النبي ﷺ، منها: حديث الفرق: ((أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ)) (2).

وفي رواية قَالَ: ((مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي)) (3).

---

(1) ـ رواه اللالكائي في أصول الاعتقاد (74)، والآجرّي في الشريعة (2074).

(2) ـ **حسن**: رواه أبو داود (4597).

(3) ـ رواه أبو الترمذي (2641).

قال رسول الله ﷺ :

((عليكم بسنّتي وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيّينَ مِنْ بَعْدِي....)) [1].

فهو مستنبط من النصوص الشرعية التي فيها: الأمر باتباع الجماعة، والأمرُ باتباع السنة، فأطلق هذا المصطلح **"أهل السنة والجماعة"**.

س 22: علامَ يُطلق هذا المصطلح؟

ج ـ هذا المصطلح له إطلاقان: إطلاق عامّ، وإطلاق خاص.

الإطلاق الأول:

الإطلاق العامّ: (هو ما يقابل الشيعة الروافض).

يقال: هذا من أهل السنة، ويقال: هذا من الشيعة.

فالإطلاق العام لمصطلح أهل السنة: **ما يقابل الشيعة.**

ويدخل في هذا الباب: -أهل السنة بالمعنى العام-:

(الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة.....إلى آخر هذه الفرق والطوائف) التي تُقر بخلافة الثلاثة رضي الله عنهم .

((تنبيه)):

هذا المصطلح العام عند مَن لم يكفر الشيعة الروافض، أما مَن يكفرهم فلا يحتاج إلى ذلك؛ لأنه يقول: إنهم خارجون عن الإسلام أصلًا.

الإطلاق الثاني:

وهو الإطلاق الخاص: (وهو يقابل أهل البدع والأهواء والأقوال المحدثة)

---

(1) ـ **صحيح:** رواه أحمد (17145)، وأبو داود (4606)، والترمذي (2676)، وابن ماجه(42).

فلا يدخل في هذا المصطلح إلا مَن كانوا على منهج أهل السنة والجماعة، (فلا يدخل: الخوارج، ولا المعتزلة، ولا الشيعة، ولا المرجئة، ولا الكلابية، ولا الأشاعرة، ولا الماتريدية.....)

س 23: مَن أهل السنة والجماعة؟

ج ـ هذا مما اختلف فيه الناس على أقوال:

فالقول الأول:

أهل السنة والجماعة هم السواد الأعظم، أي: الأكثر.

وهذا القول منقول عن بعض الصحابة؛ كأبي مسعودٍ الأنصاري رضي الله عنه.

واستدلوا على ذلك: عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: ((**إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ اخْتِلَافًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ**))[1].

وهو حديث ضعيف جدًّا، آفتُهُ: أبو خلف الأعور وهو متروك.

القول الثاني:

هم أهل العلم والسنة والأثر والحديث والفقه.

بهذا قال أحمد، وابن المبارك، والبخاري، ويزيد بن هارون.

قال أحمد، وابن المبارك،ويزيد بن هارون: (إنهم أهل الحديث).

وقال البخاري عنهم: (إنهم أهل العلم).

---

(1) ـ **ضعيف جدًّا:** رواه ابن ماجة (3950)، وقد ثبتت الجملة الأولى.

القول الثالث:

هم أصحاب النبي ﷺ.

وهذا القول منسوب لعمر بن عبد العزيز.

القول الرابع:

هم عصبة –أي:جماعة– المؤمنين الذي يجتمعون على الإمام الحق ويبايعونه، ويَدينون له بالسمع والطاعة، وهذا القول مروي عن: الطبري.

قلت: هذه الأقوال التي وردت يمكن الجمع بينها؛ لأن أهل العلم –بلا شك– من أهل السنة والجماعة، والصحابة هم أصل أهل السنة والجماعة وأساسُهم، والذين يبايعون الإمام الحق ويتبعونه أيضًا أهل السنة والجماعة، وكذلك أهل العلم والحديث والأثر بلا شك من أهل السنة.

س 24: وهل يلزم من ذلك أن يكونوا السوادَ الأعظم في كل وقت؟

ج - بعضهم يظن أهل السنة هم الكثرة الكاثرة والسواد الأعظم في كل وقت، وهذا ليس بسديد.

فهذا كلام:

يخالف الآثار المروية،

ويخالف العقل أيضًا.

برهان ذلك:

أ - قول النبي ﷺ: **((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ))** [1]

([1]) ـ رواه مسلم (1037)، وهو عند البخاري بغير هذا اللفظ.

وهذا يدل على: قلّتهم.

ب ـ عن ابن مسعود، رضي الله عنه قال:

((يَا عَمْرُو بْنَ مَيْمُونٍ، إِنَّ جُمْهُورَ الْجَمَاعَةِ هِيَ الَّتِي تُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ! إِنَّمَا الْجَمَاعَةُ: مَا وَافَقَ طَاعَةَ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ)) [1].

فليست العبرة بالكثرة، وإنما العبرة بما وافَقَ الحق.

ج ـ قال نعيم بن حماد رحمه الله:

((إذا فسدت الجماعة-: فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن يفسُدوا وإن كنتَ وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذٍ)) [2].

س 25: ما أسماء أهل السنة والجماعة؟

ج ـ أهل السنة والجماعة لهم أسماءٌ، منها:

أ ـ الفرقة الناجية.

ب ـ الطائفة المنصورة.

ج ـ السلف الصالح.

د ـ أهل الاتباع.

هـ ـ أهل الأثر.

و ـ أهل الحديث.

س 26: ما حكم هذه التسمية؟

ج ـ طعن بعض المعاصرين في هذه التسمية وزعم أنها بدعية محدثة، وأن أصلَها

---

(1) ـ شرح أصول الاعتقاد، اللالكائي (160).

(2) ـ رواه البيهقي في السنن الكبرى (910).

قائم على أمور سياسية،وقد قال الله ﷻ:﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج:78]، فلا داعي إلى أن نقول: (أهل السنة) وما شابه ذلك.

نقول: من قال: إنها تسمية بدعية فكلامه باطل مردود، فكيف تكون بدعية؟ وقد وردت هذه التسمية عن فحول من أهل العلم، منهم:

أ ـ "ابن سيرين" وهو من التابعين، أدرك ثلاثين صحابيًّا.

ب ـ "أيوب السجستاني"، المتوفى (131 هـ).

ج ـ "الثوري": المتوفى (161هـ).

د ـ "الفضيل بن عياض": المتوفى (187).

هـ ـ "أبو عُبيد القاسم بن سلام" المتوفى (224 هـ).

و ـ "الإمام أحمد"، المتوفى (241 هـ).

ح ـ "الإمام الطبري"، المتوفى (310 هـ).

ط ـ "الطحاوي"، المتوفى (321 هـ).

فعلى ما سبق، لا حرج ولا إشكال في إطلاق لفظ "أهل السنة".

وهذا فيه رد على الأستاذ "مصطفى الشكعة":

حيث زعم أن الأشاعرة هم أول مَن أُطْلِقَ عليهم لقب "أهل السنة"!

وهذا خطأ بيّن.

وبالله التوفيق.

((أسئلة تتعلق بمصطلح "عقيدة"))

س27: ما معنى العقيدة؟

ج ـ العقيدة لغة: على وزن فَعِيلةٌ، وأصل العَقْدِ:الربط والإبرام، والشَّدُّ بقوّة، والإحكام (1).

العقيدة في الاصطلاح: لها إطلاقان:

الإطلاق الأول: "معنًى عامٌّ" يشمل كل عقيدة.

الإطلاق الثاني: "إطلاق خاصٌّ"، ويُقصد به: عقيدة المسلمين، أو العقيدة الإسلامية.

العقيدة بالمعنى العام هي: الإيمان واليقين الجازم الذي لا يتطرَّق إليه شكٌّ لدى معتقِدِه، سواء أكان هذا الاعتقاد حقًّا أم باطلًا.

العقيدة بالمعنى الخاص هي: الإيمان الجازم بالله، وبما يجب له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والإيمان بكل ما جاءت به النصوص الصحيحة الثابتة من أصول الدين ومن أمور الغيب.

س28: لماذا سميت العقيدة بهذا الاسم؟

ج ـ سميت بهذا الاسم؛ لأن القلب يُعقد عليها، ويربط عليها الشيء الذي يعتقده الإنسان.

س29: هل مصطلح "العقيدة" ورد في القرآن والسنة؟

ج ـ مصطلح "العقيدة" لم يرد في القرآن ولا في السنة، ولا في كلام الصحابة

---

(1) ـ المصباح المبير، الفيومي (صـ 250) ط (دار الحديث) القاهرة.

ولا التابعين، ولا تابعي التابعين. ولكن هناك إشارات، بألفاظ مختلفة.

لكن بهذا اللفظ، وبهذا المصطلح المعلوم الآن، وبهذا المفهوم لا.

س30: مَن أول من ذكر هذا المصطلح؟

ج - أول مَن ذكره -فيما نعلم- على المعنى الاصطلاحي المعلوم حاليًّا، هو: "الإمام الطحاوي" -رَحِمَهُ اللهُ- المتوفى سنة (321هـ)، حيث قال في العقيدة الطحاوية:

((هذا ذِكرُ بيانِ عقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ على مذهبِ فقهاءِ الملةِ..)) [1].

((تنبيه)):

هناك من ذكر مصطلح "اعتقاد" قبل الطحاوي بسنوات طويلة، لكن مصطلح "عقيدة" أولُ من ذكره الطحاوي _فيما نعلم_.

س31: هل يجوز استخدام هذا المصطلح الذي لم يرد في القرآن ولا في السنة؟

ج ـ اختلف فيها الناس على أقوال:

((القول الأول)):

زعم بعض المعاصرين أن هذا المصطلح لا يجوز أن يستعمل!!

واستدل على ذلك: بأنه مصطلح بدعيٌّ، لم يرد لا في القرآن ولا السنة، ولم يرد على ألسنة أصحاب القرون الثلاثة المفضلة، القرون الخيرية، فهو"بدعة محدثة". والواجب علينا أن نستعمل الألفاظ الأخرى التي وردت في النصوص الشرعية، كمصطلح "الإيمان"، و"الملة".

(1) ـ مطلع العقيدة الطحاوية (صـ 7) ط (دار ابن حزم) بيروت ـ لبنان.

((القول الثاني)):

يصح استعمال هذا المصطلح "العقيدة"، لكن الأولى والأفضل: الترك.

واستدلوا على ذلك:أن هذا اللفظ والمصطلح لم يرد في القرآن ولا في السنة، والذي ورد: "الإيمان"، و"الملة"، فنقتصر على ما ورد في القرآن والسنة.

((القول الثالث)):

أنه لا حرج في استخدام مصطلح "العقيدة".

وهو الذي عليه عامة أهل العلم، وعليه عامة أهل السنة.

الحق في هذه المسألة:

هو قول عامة أهل العلم.

ومن زعم أن مصطلح العقيدة بدعة، فقوله هو البدعة.

((برهان ذلك)):

((أولًا)):

أن هذا من جنس الأمور الاصطلاحية، والقاعدة في الباب:

"لا مُشاحاة في الاصطلاح" (1).

((ثانيًا)):

أن هذا المصطلح قد ورد على ألسنة المتقدمين وفي كتبهم، فكيف يقال إنه من المصطلحات البدعية؟!

وقد استعمل السلف هذا المصطلح دون نكير، وممن استعمله:

---

(1) ـ ما لم يخالف الشرع، أو يؤدِّ إلى مفسدة غير متوهمة ـ كما سبق بيانه ـ.

أ ـ الإمام "أبو عبيد القاسم بن سلام" المتوفى سنة:(224 هـ).

ب ـ الإمام إبراهيم بن خالد "أبو ثور الكلبي" المتوفى سنة:(240 هـ).

ج ـ محمد بن نصر المروزي، المتوفى سنة (294هـ).

د ـ الإمام الطحاوي، المتوفى سنة (321 هـ).

س32: ما مرادفات مصطلح "العقيدة"؟

ج ـ مصطلح "العقيدة" له مرادفات، ومرادفات العقيدة تنقسم إلى قسمين:

أ ـ مرادفات معتبرة عند أهل السنة.

ب ـ مرادفات غير معتبرة عند أهل السنة والجماعة.

((المرادفات المعتبرة)):

المرادفات المعتبرة، منها: ما ورد في النصوص الشرعية، ومنها: ما لم يرِد، ومن هذه المرادفات المعتبرة:

(التوحيد ـ والإيمان ـ السنة ـ والشريعة ـ والأصول).

وهذه المرادفات، منها: ما ورد في النصوص الشرعية، ومنها: ما جاء في كلام أهل العلم.

((المرادفات غير المعتبرة عند أهل السنة)):

من هذه المرادفات:

(علم الكلام ـ الفكر، والمفكر الإسلامي ـ التصور الإسلامي).

علم الكلام: قد ذمه السلف، كالأئمة الأربعة، وغيرهم.

المفكر الإسلامي: فالإسلام ليس فكرة وإنما هو وحي وشرعٌ.

ولو قصد القائل المعنى الصحيح، فقد أصاب في المعنى وأخطأ في اللفظ.

التصور الإسلامي: الإسلام ليس تصورًا، الإسلام وحي من عند الله ﷻ وشرع من عند الله ﷻ، وإنما التصور يكون تصورًا بشريًّا.

((أسئلة تتعلق بعقيدة أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى))

س33: ما عقيدة أهل السنة والجماعة في صفات الله سبحانه وتعالى؟

ج ـ الإيمانُ بما وصفَ اللهُ بِهِ نفسَهُ في كتابهِ، وبما وصفَهُ بِهِ نبيُّهُ في السُّنَّةِ، منْ غيرِ تحريفٍ ولا تعطيلٍ ولا تكييفٍ ولا تمثيلٍ.

س34:لماذا اعتمدنا هذه العقيدة المقتبسة من كلام ابن تيميّة في الواسطية؟

ج ـ لأمور، وهي:

أ ـ أن مؤلف العقيدة الواسطية شيخ الإسلام ابن تيميّة:- عالمٌ من فحول أهل العلم، مجدد للقرن الثامن، وهو من المتقنين المحررين، لا سيَّما في أبواب العقيدة، فإذا كتب شيئًا فاعلم أن هذه الكتابة متقنة محرَّرة.

ب ـ أن شيخ الإسلام ابن تيميّة تحرى الدقة في الألفاظ الواردة في كتابه العقيدة الواسطية، حتى قال:

((وَأَنَا تَحَرَّيْتُ فِي هَذِهِ الْعَقِيدَةِ اتِّبَاعَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ...))

وابن تيمية محرر متقن بارع، فعندما يقول: "تحريت في هذا العقيدة اتباع الكتاب والسنة" يكون هذا التحرير في غاية الدقة.

ج ـ أن ما نقله ابن تيمية في هذا الباب كله يستند إلى كلام الأئمة المتقدمين، وإلى كلام القرون الأُوَل، وإلى كلام القرون المفضلة، فما من شيء كتَبه في هذه الجزئية إلا وله فيه مستنَدٌ،والإمام ابن تيمية نفسه يقول:((**مَا جَمَعْتُ إلَّا عَقِيدَةَ السَّلَفِ الصَّالِحِ جَمِيعِهِمْ**)) [1].

([1]) ـ مجموع الفتاوى، ابن تيميّة (197/3) ط (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد) السعودية.
وفي بعض النسخ: ((مَا خرَّجتُ إلَّا عَقِيدَةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ جَمِيعِهِمْ))

د - أن ابن تيمية كان يثق جدًّا في العقيدة الواسطية، حيث قال:

((وَقُلْتُ مَرَّاتٍ: قَدْ أَمْهَلْتُ كُلَّ مَنْ خَالَفَنِي فِي شَيْءٍ مِنْهَا ثَلَاث سِنِينَ فَإِنْ جَاءَ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ عَنْ أَحَدٍ مِنْ الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ - الَّتِي أَثْنَى عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ حَيْثُ قَالَ: {خَيْرُ الْقُرُونِ: الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْتُ فِيهِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ}- يُخَالِفُ مَا ذَكَرْتُه فَأَنَا أَرْجِعُ عَنْ ذَلِكَ)) [1]

وهذا إن دلَّ على وثوق الإمام بهذه العقيدة؛ ولذلك -ولغيره مما ذكرناه- اقتبس الماتِنُ عقيدة أهل السنة والجماعة في الصفات من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

س35: ما معنى التحريف؟

ج - التحريف لغة: هو الانحراف بالشيء عن وجهه، وصرفه عنه وتغييره (2).

وفي الاصطلاح: هو تغيير لفظ النص أو معناه، بغير قرينة معتبرة.

س36: لماذا قال:(من غير تحريف)،ولم يقل: (من غير تأويل)؟

ج - فعل ذلك لأمور:

الأول:

أن التحريف هو الذي وَرَدَ ذمُّه في القرآن، قال الله جَلَّ جَلَالُهُ:﴿**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ**﴾ [النساء:46]،

الثاني:

أن نفي التأويل: فيه نفي لمعانٍ صحيحة؛ لأن التأويل: فيه المقبول، وفيه

---

(1) ـ مجموع الفتاوى، ابن تيميّة (197/3) ط (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد) السعودية.

(2) ـ مختار الصحاح، عبد القادر الرازي (صـ 83) ط (دار الحديث) القاهرة.

المذموم.

فالتأويل -إذن- في معناه عند المتقدمين يختلف عن معناه عند المتأخرين.

فلذلك كلمة "التحريف" أدق من "التأويل" وأصوبُ.

س37: ما معاني التأويل؟ وما معناه عند المتقدمين والمتأخرين؟

ج ـ التأويل له ثلاثة معانٍ:

المعنى الأول:"التفسير":ولذلك من المفسرين من يسمي كتابه:"التأويل"، كإمام المفسرينَ، الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ، فاسم كتابه:"جامع البيان عن تأويل آيِ القرآن".

الدليل على هذا المعنى:

قال تعالى:﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾[آل عمران:7].

عن مجاهد، عن ابن عباس أنه قال:

((**أَنَا مِمَّنْ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ**)) [1]. يعني: تفسيره.

وقد ورد هذا عن جماعة من أئمة اللغة، ومن أولئك:

أ ـ أبو عبيدة، المتوفى (209 هـ)

قال: ((**التأويل: التفسير...**)) [2].

ب ـ أحمد بن يحيى.

قال أبو منصور الأزهري: وأَخبرني الْمُنْذِرِيّ عَن أَحْمد بن يحيى قَالَ:

((**المَعْنى وَالتَّفْسِير والتأويل: وَاحِد**)) [3].

---

(1) ـ **إسناده حسن:** رواه الطبري في تفسيره (107/3) رقم: (6626) ط (دار الحديث) القاهرة،

(2) ـ مجاز القرءان، أبو عبيدة، معمر بن المثني (86/1) سورة آل عمران، ط (دار الخانجي) القاهرة.

(3) ـ تهذيب اللغة، الأزهري (135/3) ح.

ج ـ الإمام الطبري، المتوفى (310 هـ)

((وَأَمَّا مَعْنَى التَّأْوِيلِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ فَإِنَّهُ التَّفْسِيرُ وَالْمَرْجِعُ وَالْمَصِيرُ)) [1].

وكذلك في تعبير الرؤيا، يقال: (ما أوّلتَه؟ ما تأويلُه؟) يعني: تفسيره.

فالمعنى الأول للتأويل هو: التفسير.

المعنى الثاني:

حقيقة ما يَؤُولُ إليه الكلام.

كما في قوله ﷻ:﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: 6].

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

((وَيُعَلِّمُكَ رَبُّكَ مِنْ عِلْمِ مَا يُؤَوَّلُ إِلَيْهِ أَحَادِيثُ النَّاسِ عَمَّا يَرَوْنَهُ فِي مَنَامِهِمْ، وَذَلِكَ تَعْبِيرُ الرُّؤْيَا)) [2].

وكما في قوله ﷻ:﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ [الأعراف:53].

قال الزجّاج رَحِمَهُ اللَّهُ:

((أي: يومَ يرَون ما وُعِدوا به من البعث والنشور والعذاب)) [3].

المعنى الثالث:

هو صرف اللفظ عن ظاهره.

وهذا هو التعريف الذي نحتاجه وسنتكلم عليه الآن.

---

(1) ـ تفسير الطبري (108/3) ط (دار الحديث) القاهرة.

(2) ـ تفسير الطبري (514/6) ط (دار الحديث) القاهرة.

(3) ـ معاني القرءان وإعرابه (341/2) ط (عالم الكتب) بيروت.

وهذا المعنى هو المعنى المشهور عند المتأخرين، ومعنى التأويل عند المتقدمين يختلف —كما ذكرنا– عن معناه عند المتاخرين (1).

فأبو الوليد الباجي (ت 474 هـ)

قال: ((التأويل هو صرف الكلام عن ظاهره إلى وجهٍ يحتمله)).

أبو المعالي الجويني (ت 478 هـ)

قال: ((التأويل: رد الظاهر إلى ما إليه مآلُه في دعوى المؤوّل)).

ابن الجوزي (ت 597 هـ)

قال:((العدول عن ظاهر اللفظ إلى معنًى لا يقتضيه؛ لدليلٍ دل عليه)).

الزركشي (ت 794 هـ)

قال:((صرف الكلام عن ظاهره إلى معنى يحتمله ثم إنْ حمل لدليل فصحيحٌ)).

ومما سبق نلاحظ: أن تعريف المتأخرين للتأويل:

صرف الكلام عن ظاهره إلى معنًى آخر يحتمله.

وهذا تعريف جلِّ المتأخرين، ومنهم من لم يقيده، وجعَله: "كلَّ صرفٍ للكلام عن ظاهره" دون تقييد.

((**تنبيه مهم**)): الذين جعلوا التأويل مقيدًا –"لدليل"– اختلفوا فيما بينهم في ماهية القرينة والدليل المُقَيِّد، أهو شرعي أم لغوي أم عقلي؟

فمنهم من يعتمد الدليل العقلي وينافح عنه –كالرازي– ومنهم من يعتمد الدليل الشرعي.

(1) ـ مجموع الفتاوى، ابن تيميّة (197/3) ط (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد) السعودية.
قال رحمه الله: (لفظ التأويل في كتاب الله غير لفظ التأويل في اصطلاح المتأخرين من أهل الأصول والفقه).

وبسبب ذلك حدث الخلل الكبير عند الطوائف المخالفة لأهل السنة والجماعة في مجال الاعتقاد.

س38: ما أقسام التأويل (صرف اللفظ عن ظاهره)؟

ج ـ صرف اللفظ عن ظاهره ينقسم قسمين:

القسم الأول:

صرف اللفظ عن ظاهره (بقرينة معتبرة)، وهذا يسمى: التأويل المحمود غير المذموم.

القسم الثاني:

صرف اللفظ عن ظاهره (بغير قرينة، أو بقرينة غير معتبرة)، وهذا يسمى التأويلَ المذموم، وهذا التأويل المذموم يسمى التحريفَ.

س39: ما الفرق بين التأويل والتحريف؟

ج ـ مما سبق علمنا أن التحريف جزء من التأويل، وهو التأويل المذموم، وأما الفارق بينهما:

فبينهما عموم وخصوص: ((**كل مُحَرِّفٍ: مُؤَوِّلٌ، ولا عكس**)).

والمقصود: أنَّ كل من وقع في التحريف قد وقع في التأويل المذموم، فكل من حرَّف وقع في التأويل،

وليس كل من أوَّل قد وقع في التحريف، لأنه قد يؤول التأويل الممدوح.

س40: ما أقسام التحريف؟

ج ـ التحريف ينقسم إلى قمسين:

القسم الأول: تحريف لفظي.

القسم الثاني: تحريف معنوي.

أولًا ـ ((التحريف اللفظي)):

هو تغيير لفظ الكلمة.

وهذا في الغالب يقع من إنسان جاهل، يُحرف لفظ الكلمة.

وهو قسمان:

القسم الأول: تحريف يُغَيِّر المعنى.

القسم الثاني: تحريف لا يُغَيِّر المعنى.

مثال على التحريف اللفظ الذي لا يُغَيِّر المعنى:

رجل يقرأ الفاتحة فقرأ:﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾، فقرأها:(الحمدَ لله) بفتح الدال.

هذا تحريف للّفظ، ولكن المعنى لم يتغير بهذا التحريف.

مثال على التحريف اللفظي الذي يغير المعنى:

كمن قرأ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، قرأها: (أنعمتُ عليهم)

فهذا تحريف لفظي ترتَّب عليه تغيير المعنى.

ثانيًا ـ ((التحريف المعنوي)):

وهو: أن يبقي اللفظَ كما هو، لكنه يغير معناه.

مثال: قال الله ﷻ:﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5]،

يقول: "**استوى**" هذا اللفظ معناه: استولى.

س41: اذكر بعض أدلة بطلان التحريف؟

ج ـ من أدلة بطلان التحريف:

((الدليل الأول)):

أن الله ذم اليهود لتحريفهم، فالتحريف مأخوذ في الأصل عن اليهود، فهم الراسخون فيه، وهم شيوخ المحرفين وسلفهم، فإنهم حرفوا كثيرًا من ألفاظ التوراة، وما عَجزوا عن تحريف لفظه حرفوا معناه؛ ولهذا وصفوا بالتحريف في القرآن دون غيرهم من الأمم.

قال الله ﷻ: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾[النساء:46].

قال تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة:75].

((الدليل الثاني)):

أن التحريف يتضمن التكذيب أي: تكذيب الخبر المذكور في النص الشرعي،أو لازمه.

((الدليل الثالث)):

التحريف لازمه اتهام النبي ﷺ بعدم البيان.

((الدليل الرابع)):

التحريف جريمة من أعظم الجرائم؛ لأنه يُلبس على الناس أمر دينهم، ويفتح الباب للتحريفات والتأويلات المذمومة، ويجرئ الناس على النصوص الشرعية.

س42: ما تعريف التعطيل؟

ج ـ التعطيل في اللغة: هو التخلية والترك (1)، كما قال ربنا ﷻ:

﴿**وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ**﴾[الحج:45]، يعني: خالية، متروكة، خالية من الماء، ويقال عن المرأة: "جِيدُها [2] معطَّل" يعني: خالٍ من الحُلي.

التعطيل في الاصطلاح: هو إنكار ما أثبته الله لنفسه من الصفات، سواءٌ أكان كليًّا أم كان جزئيًّا، بجحود أو تحريفٍ.

س43: ما أقسام التعطيل عمومًا؟

ج ـ التعطيل عمومًا أقسام، منها:

أ ـ تعطيل الخالق: كما يفعل الملحدون، يعطلون وجود الخالق أصلًا، فلا يوجد خالقٌ عندهم، وهذا مذهب الفلاسفة، وهو مذهب الملحدين الذين يقولون بقِدم العالم.

ب ـ تعطيل الصفات: وهو تعطيل صفات الخالق، كمذهب الجهمية والمعتزلة.

ج ـ تعطيل استحقاق الله العبادةَ: كمن يصرف العبادة لغير الله ﷻ.

س44: ما أقسام التعطيل في الصفات؟

ج ـ التعطيل قسمان:

التعطيل الكلي:

كمذهب الجهمية، لا يثبتون لله اسمًا ولا صفة.

---

(1) ـ مختار الصحاح، عبد القادر الرازي (صـ 243) ط (دار الحديث) القاهرة.

(2) ـ **جيدها:** مكان الحلي عند المرأة، كما قال الله ﷻ: ﴿**فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ**﴾[المسد:5].

التعطيل الجزئي:

كمذهب المعتزلة، يثبتون لله بعض الأسماء، وينفُون عن الله الصفات (1)، والصفات عندهم لا تقوم بذات الله؛ لأجْل تعدد القدماء.

س45: هل المعتزلة يثبتون الأسماء إثباتَ أهل السنة؟

أُغلوطة مشهورة تُقال في الدرس العقديّ هي:

((المعتزلة يثبتون الأسماء وينفون الصفات))

- وهذا الكلمة على إطلاقها غيرُ دقيقة، غيرُ محررة؛ لأنه قد يُفهم منها: أن المعتزلة يثبتون الأسماء لله، وأنهم وافقوا أهل السنة والجماعة في الباب، وأن طريقتهم في إثبات الأسماء سديدة.

- وهذا خطأ، والصواب أن يُقال:

المعتزلة يثبتون الأسماء في الجملة على ضلالات وخلل عندهم في هذا الباب، ومن هذه الضلالات:

أ ـ الأسماء لا تثبت عندهم بخبر الواحد.

ب ـ الأسماء مخلوقة وحادثة.

ج ـ الاسم لا يتضمن الصفة (لأن ذات الله لا تقوم بها صفات).

د ـ الأسماء ليست توقيفية –وهذا عند معتزلة البصرة–.

---

(1) ـ وإن كانوا في كتبهم يصرحون بإثبات بعض الصفات لله، كالعلم، والقدرة، والحياة...وغيرها، لكن الصفات عندهم لا تقوم بالذات، وإنما هو قادر لذاته، عالم لذاته، قال القاضي عبد الجبار: ((...وليس كذلك القديم؛ لأنه تعالى قادر لذاته...))

انظر "الأصول الخمسة" القاضي عبد الجبار المعتزلي (صـ 162) ط (مكتبة وهبة) القاهرة.

س46: ما سبب التعطيل؟

ج - الذي جعل بعض الطوائف تسلك هذا المسلك النكد:- أنهم أرادوا الفرار من التشبيه فوقعوا في التعطيل، فكان عندهم غلوٌّ في النفي.

وأهم أصول المعطلة وشبهاتهم التي حملتهم على مذهبهم الفاسد:

(دليل التركيب _ تَعدد القُدماء _ حلول الحوادث _ شُبهة التَّشْبِيه)

س47: اذكر بعض الأدلة على بطلان التعطيل.

ج - التعطيل باطل بـ : الشرع، والعقل، ومن أدلة ذلك:

((الدليل الأول)):

قال الله ﷻ: ﴿**أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ**﴾[البقرة:140].

وجه الاستدلال: أن الله أثبت لنفسه الصفات في النصوص الشرعية، فمَن عطل الصفات، فكأنما ادعى -بلازم قوله- أنه أعلم بالله من الله بنفسه، وقد أنكر الله تعالى على من كان هذا حالَه في الآية.

((الدليل الثاني)):

قال الله ﷻ: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾[الأعراف:33].

وجه الاستدلال: كالسابق، في قوله:"**وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**".

((الدليل الثالث)):

قاعدة: ((**المثبِت مقدَّم على النافي** [1]))

ووجه ذلك: أن المثبِت مقدم؛ لأن معه زيادةَ علم؛ ولأن النافي مؤَكِّد لدليل الأصل، والمثبِت مؤسِّس، والتأسيس أولى من التأكيد، مقدم عليه.

تأمل! كل ذلك عند تعارضِ مثبِتٍ ونافٍ كِلاهما مخلوق، **فكيف إذا كان المثبِت هو الله العليم أحكم الحاكمينَ،والنافي هو المخلوق الظلوم الجهول؟!**

س48: ما معنى التكييف؟

ج ـ التكييف في اللغة: الكيفية والكيف مصدر مأخوذ من: اسم الاستفهام "كيفَ"، فكل جوابِ سؤالٍ بـ "كيفَ" هو الكيفية.

و"كيفَ": يُسأل بها في لغة العرب عن: الحال، والهيئة، والصفة.

يُقال"**كيَّفَ الشيءَ**": جعَل له كيفيّةً معلومة.

يقول الزجاجي: "كيفَ": يُسأل بها عن حالة الشيء وهيئته [2].

فالكيفية: "صفة الشيء وحاله" (3).

التكييف اصطلاحًا: جعْل الصفة على كيفية معينة، سواء أقيّدناها بمِثل، أو بغير مثل.

---

(1) ـ **وهذه القاعدة فيها خلاف بين أهل العلم على ثلاثة أقوال:**

الأول: المثبِت مقدم (وهو قول الجمهور)

الثاني: النافي مقدم (رجحه الآمدي).

الثالث: هما سواء؛ لوجود احتمال حصول الحالتين.

والصواب: قول الجمهور. وللمسألة تفصيل وقيود ليس هذا محلَّ ذِكرها.

(2) ـ معاني الحروف والصفات، الزجاجي (صـ 59).

(3) ـ المصباح المنير، الفيومي (صـ 324) ط (دار الحديث) القاهرة.

تكييف مقيد بمثل: كأن يقول: لله يد كيدي، فيها خمسة أصابع......(هذا تكييف مقيد بمثل) [1].

تكييف غير مقيد بمثل: كأن يقول: لله يد، له ألف كفٍّ، وخمسة آلاف أصبع......ويأتي بكيفية غير موجودة، (هذا تكييف غير مقيد بمثل).

س49: هل لفظ التكييف ورد في القرآن والسنة؟

ج - لفظ (التكييف) لم يرد في القرءان ولا في السنة للصفات (2).

س50: هل لفظ "التكييف" ورد على ألسنة السلف؟

ج - نعم، ورد لفظ التكييف على لسان السلف في كثير من الآثار.

س51: هل معنى نفي التكييف أن الصفات ليس لها كيفية؟

ج - صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لها كيفية، لكن هذه الكيفية نحن لا نعلمها، فالصفات: عند أهل السنة والجماعة معلومة لهم من وجه، مجهولة لهم من وجه.

معلومة من جهة المعنى، **مجهولة** من جهة الكيفية.

س52: اذكر بعض أدلة بطلان الخوض في الكيفية.

ج - من أدلة بطلان الخوض في كيفية صفات الله:

((الدليل الأول)):

قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه:110]،

وجه الاستدلال: من تكلم في كيفية صفات الله جَلَّ جَلَالُهُ، وفي كُنْهِ الصفة، وفي

---

(1) ـ كقول الهاشمية عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: طولُه: سبعة أشبار بشبر نفسِه. تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا!

(2) ـ لكن ورد في النصوص الشرعية لفظ "كيف" المتعلق بالسؤال.

كيفية هذه الصفة:- ادَّعى أنه قد أحاط بربه علمًا، وهذا تكذيب للقرآن؛ لأن الله ﷻ نفى الإحاطة به علمًا سبحانه وتعالى.

((الدليل الثاني)):

قال الله ﷻ:﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[الإسراء:36]،

وجه الاستدلال: (**لا تقفُ**) يعني: لا تتبع ما ليس لك به علم، ومَن تكلم في كيفية صفات الله -عَزَّ وَجَلَّ- قد تتبَّع ما لا علمَ له به.

((الدليل الثالث)):

قال الله ﷻ:﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:33]،

وجه الاستدلال: مَن تكلم في الكيفية وخاض فيها تَقَوَّل على الله ﷻ بما لا علم له به، وهذا من أعظم الذنوب التي حرَّمَها الله ﷻ.

((الدليل الخامس)):

دليل عقلي: فالعقل يدل على بطلان الخوض في كيفية صفات الله ﷻ؛ لأن الإنسان لا بد له من أمر من هذه الأمور الأربعة:

(رؤية _ مثلية _ خبر _ وحي)؛ لكي يتكلم عن كيفية صفات الله سبحانه وتعالى.

الأمر الأول (الرؤية): أن يرى اللهَ سبحانه وتعالى.

الأمر الثاني (المثلية): أن يرى مثيلًا لله سبحانه وتعالى.

الأمر الثالث (الخبر): أن يخبره بذلك النبيُّ ﷺ.

الأمر الرابع (الوحي): أن ينزل عليه الوحي من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يخبره بكيفية الصفة.

وهذه الأربعة كلها باطلة.

س53: ما حكم السؤال عن كيفية صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

ج ـ أما السؤال عن كيفية صفات الله جَلَّ جَلَالُهُ فينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: أن يكون هذا السؤال من جاهل.

حكمه: إن كان هذا السؤال من جاهل، فهذا الجاهل يُعلَّم ويُبين له أن هذا السؤال لا يجوز، ولا يؤاخذ على ذلك؛ لجهله، ويبيَّن له أنه جاهل بهذا الباب، وأنه لا يجوز له أن يسأل عن كيفية صفات الله.

القسم الثاني: أن يكون هذا السؤال من متعنِّت مبتدع، أو متعمق، وما شابه ذلك.

حكمه: إن كان السؤال مِن رجل عنده ما عنده من التنطع والتعنت والابتداع وما شابه ذلك، فهذا يعاقَب ويعزر حتى يتوب إلى الله جَلَّ جَلَالُهُ؛ لأن هذا السؤال سؤال حرام؛ لأنه سؤال عن الكيفية.

س54: ما الدليل على أن السؤال عن الكيفية لا يجوز؟

ج ـ من أدلة حرمة السؤال عن الكيفية:

أ ـ الأدلة الكثيرة التي سبق ذكرها في أدلة بطلان الخوض في الكيفية.

ب ـ أن السؤال عن الكيفية يترتب عليه جواب، وهذا الجواب قد يكون حقًّا، وقد يكون بما لا يحيط الإنسان به علمًا، أو التَقَوُّل على الله تعالى؛–لأن

الكيفية مجهولة لنا- وهذا من أعظم المحرمات.

ج ـ لأن السؤال عن الكيفية لم يسألْه الصحابة رضي الله عنهم ، وهم أعلم الأمة -بعد الأنبياء- بالله، وأحرصُ الأمة على الخير، وقد سار على هديهم مَن تبعهم بإحسان من السلف الصالح رضي الله عنهم .

د ـ أن النهي عن الخوض في كيفية صفات الله سبحانه وتعالى وارد عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم :((تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللهِ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللهِ جل جلاله)) [1].

هـ ـ أن الخوض في الكيفية أمر لا تدركه العقول، لأنه يتعلق بالله سبحانه وتعالى.

س55: ما الجواب عن السؤال عن الكيفية ؟كيف ينزل؟ كيف يفرح؟ كيف يضحك؟ كيف يغضب؟ كيف يدُه؟ كيف وجهُه .....إلخ؟

ج ـ يكون الجواب عن ذلك بما يلي:

((أولًا)):

تبيّن له أن هذا السؤال سؤالٌ محدث لا يجوز، وهو مبتدع في دين الله سبحانه وتعالى، ولا يجوز السؤال عن الكيفية؛ لأنها مجهولة لنا.

((ثانيًا)):

تجيبه جوابَ السلف، وللسلف طرائقُ بديعة في جواب السؤال عن كيفية صفات الله:

---

(1) ـ رواه أبو نعيم في الحلية (66/6) ط (دار السعادة)، والبيهقي في الشعب (120)، والطبراني في الأوسط، والحديث طرقه ضعيفة، وقد حسنه بعض العلماء بطُرقه.(6456)

((الطريقة الأولى في الجواب عن السؤال عن كيفية الصفة)):

هي طريقة مشهورة متواترة عن الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ [1] وهي مروية عن أم سلمة أم المؤمنين، أمّنا رضي الله عنها [2] ، وأيضًا مروية عن ربيعة [3]، وعن مالك [4]، وعن ابن عيينة، وعن غيرهم من السلف، وهي مشهورة جدًّا عن الإمام مالك، وصُنفت فيها تصانيف.

يقول يحيى بن يحيى: كُنَّا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5]، فَكَيْفَ اسْتَوَى؟ قَالَ: فَأَطْرَقَ مَالِكٌ بِرَأْسِهِ حَتَّى عَلَاهُ الرُّحَضَاءُ ثُمَّ قَالَ:

((الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَمَا أَرَاكَ إِلَّا مُبْتَدِعًا)) فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُخْرَجَ [5].

وفي لفظ:**((الاستواءُ مَعْلومٌ، والكَيْفُ مَجهولٌ، والسُّؤالُ عنه بِدْعَة، والإيمانُ بِه واجِبٌ))** [6].

---

(1) ـ وقد تواتر هذا الأثر عن الإمام مالك من طرق، واشتهر وتواتر عنه من طرق، ومنها: رواية:"جعفر بن عبد الله"، ورواية:"عبد الله بن وهب"، ورواية:"يحيى بن يحيى التميمي"، ورواية:"جعفر بن ميمون"، ورواية: "سفيان بن عيينة"، ورواية: "محمد بن النعمان بن عبد السلام التيمي"، ورواية: "عبد الله بن نافع"، ورواية: "أيوب بن صالح المخزومي"، ورواية: "بشار الخفاف الشيباني"، ورواية: "سحنون" عن بعض أصحاب مالك.

(2) ـ الإبانة الكبرى، ابن بطة (120)، شرح أصول الاعتقاد، اللالكائي (663)، كتاب "التوحيد" ابن منده (887)، ت: الفقيهي.

(3) ـ كتاب "العرش وما ورد فيه" ابن أبي شيبة (صـ 183)ح، شرح أصول الاعتقاد، اللالكائي (665)، الأسماء والصفات، البيهقي (868)، كتاب العرش، الذهبي (189/1)ح.

(4) ـ الرد على الجهمية، الدارمي (48)،الأسماء والصفات، البيهقي (867)، شرح أصول الاعتقاد، اللالكائي(664)، كتاب العرش، الذهبي (189/1)ح، سير أعلام النبلاء (100/8) ط (مؤسسة الرسالة).

(5) ـ سبق تخريجه في الأثر السابق، وهذه رواية البيهقي (305) في الأسماء والصفات.

(6) ـ كتاب "العرش"، الذهبي (219/1) ت: أ.د التميمي، ط (وزاة التعليم العالي الجامعة الإسلامية) المدينة ـ السعودية.

"الاسْتِوَاءُ مَعْلُوم": لأن القرءان نزل بلسان عربي مبين، والاستواء في اللغة معلوم، وقد فسره السلف تفسيراتٍ، منها: (العلوّ، والارتفاع، الصعود، الاستقرار)، وغير ذلك.

وهذا فيه ردٌّ على طائفتين (**المُفوِّضة، والمُعطِّلة**).

"والكَيْفُ مَجْهولٌ": لأننا لا نعلم الكيفية.

وهذا فيه ردٌّ على: (**الممثلة، المشبهة، المكيفة**)

"وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ": لأن هذا ورد في النصوص الشرعية، ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[طه:5]، فيجب الإيمان به.

وهذا رد أيضًا على (المعطِّلة).

"وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ": لأن النبي ﷺ لم يبين إجابة هذا السؤال، ولم يسأل الصحابة هذا السؤال -وهم أحرصُ الأمة على الخير-، ولو كان هذا من الأمور التي يجب على الإنسان أن يعرفها وأن يبحث خلفها لَبيَّنه ﷺ، ولَبحَثَ عنه الصحابة رضي الله عنهم.

((الطريقة الثانية في جواب السؤال عن كيفية الصفة)):

هناك طريقة أخرى يسيرة لطيفة بديعة:

إذا سألك: كيف استوى؟ كيف يفرح؟ كيف ينزل؟.....إلخ:

فالجواب: "أَخْبَرَنَا الله تعالى أنه ينزل ولمْ يخبرنا كيف يَنزلُ".

((الطريقة الثالثة في جواب السؤال عن كيفية الصفة)):

إذا قال لك الجهمي: كيف استوى؟ وكيف ينزل إلى السماء الدنيا؟ وكيف يداه؟ ونحو ذلك.

قُل له: كيف هو في نفسه؟

فإذا قال لك: لا يَعلم ما هو إلا هو، وكُنْهُ الباري غيرُ معلوم للبشر.

قل له: فالعلم بكيفية الصفة مستلزَم للعلم بكيفية الموصوف، فكيف يمكن أن تعلم بكيفية صفةٍ لموصوف لم تَعلم كيفيته؟! [1].

س56: ما تعريف التمثيل؟

ج ـ التمثيل لغةً:

أصل مادة الميم والثاء واللام يدل على: مناظرة الشيء للشيء، أن يكون للشيء نظيرٌ أو شبيه أو مماثل [2].

التمثيل اصطلاحًا: معنى تمثيل الصفات: ذِكر مماثل للشيء، أي أن يجعل صفات الخالق كصفات المخلوق.

س57: لماذا ذكر نفي التمثيل في عقيدة أهل السنة والجماعة، ولم نذكر التشبيه؟

ج ـ ذكرنا أن هذه العقيدة اقتُبست من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية؛ وإنما ذكر الإمامُ رَحِمَهُ اللَّهُ التمثيل لأمور:

الأول: أنه هو الذي ورد في النصوص الشرعية، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11]،

الثاني: أن لفظ التشبيه لفظٌ مجمل، والمتكلمون تكلموا عنه، وربما ذكروا معاني

---

(1) ـ الفتوى الحموية الكبرى، ابن تيميّة (صـ 544) ت: التويجري ط (دار الصميعي) الرياض ـ السعودية.

(2) ـ المصباح المنير، الفيومي (صـ 334 - 335) ط (دار الحديث) القاهرة.

صحيحة، فيترتب على نفيه نفيُ بعض المعاني الصحيحة [1].

فكان "نفي التمثيل" أولى وأدق، وهذا من تحرير الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

س58: وهل يجوز أن نقول: "ولا شبيه له" وننفي التشبيه؟

ج - نعم، لا حرج في ذلك؛ لأن من العلماء مَن ذكر لفظ التشبيه، بل من الصحابة من ورد عنهم لفظ قريب من هذا اللفظ، كما في قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة:22]، فقد ورد عن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قوله: **"أشباهًا"**.

وأيضًا نعيم بن حماد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورد عنه ذلك: قَالَ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **((مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ أَنْكَرَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، فَلَيْسَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ وَرَسُولُهُ تَشْبِيهًا))** [2].

بل وقع لفظ "التشبيه" في كلام شيخ الإسلام نفسه حيث قال:

((مَذْهَبُ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا: أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، يُثْبِتُونَ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَهُ مِنَ الصِّفَاتِ، وَيَنْفُونَ عَنْهُ مُمَاثَلَةَ الْمَخْلُوقَاتِ، يُثْبِتُونَ لَهُ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَيَنْفُونَ عَنْهُ ضُرُوبَ الْأَمْثَالِ، يُنَزِّهُونَهُ عَنِ النَّقْصِ وَالتَّعْطِيلِ، وَعَنِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ، إِثْبَاتٌ بِلَا تَشْبِيهٍ، وَتَنْزِيهٌ بِلَا تَعْطِيلٍ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رَدٌّ عَلَى الْمُمَثِّلَةِ، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سُورَةُ الشُّورَى:11] رَدٌّ عَلَى الْمُعَطِّلَةِ)) [3].

---

(1) ـ منهاج السنة النبوية، ابن تيميّة (250/1) ت: عبد الله محمود محمد عمر، ط (دارالكتب العلمية) بيروت ـ لبنان، ومجموع الفتاوى، ابن تيميّة (364/5) ط (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد) السعودية.

(2) ـ رواه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، (936).

(3) ـ منهاج السنة النبوية، ابن تيميّة (250/1) ت: عبد الله محمود محمد عمر، ط (دارالكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

فعلى هذا، لفظ "التشبيه" لو ذُكر فلا إشكال فيه، لكن ذكر التمثيل في هذا الباب أولى وأدق.

س59: مَن أول من وقع في التشبيه والتمثيل؟

ج - أول من وقع في التمثيل: هشام بن الحكم الرافضي، وهشام الجوالقي الرافضي، وأيضًا عند الكرامية أتباع محمد كرام السجستاني، فهذا التشبيه والتمثيل موجود عند طوائف من الرافضة، وعند بعض الكرامية.

س60: وما الذي حمل الممثلة على هذا التمثيل والتشبيه؟

ج - أنهم لم يهتدوا بهَدي الصحابة في هذا الباب، وسلكوا مسلك الغلو في الإثبات، فوقع فيهم وفي عقيدتهم هذا الخلل العظيم، ومن شبهاتهم:

أنهم قالوا: إن الله ﷻ يخاطبنا بلسان عربي مبين، فعندما يقول: {يد الله فوق أيديهم} نحن لا نفهم من "اليد" إلا: اليد التي نعرفها، فلله يد كأيدي الناس.

س61: اذكر بعض الأدلة على بطلان التمثيل.

ج - التمثيل باطل بـ: الشرع، والعقل؛ ودلالات ذلك كثيرة، منها:

((الدليل الأول)):

قول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى:11].

وجه الاستدلال: أنه قد نفى المثلية، فبيَّن الله ﷻ أنه ليس كمثله شيء.

((الدليل الثاني)):

قول الله ﷻ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:65].

وجه الاستدلال: هذا استفهام إنكاري، يراد به النفي، هل تعلم لله شبيهًا

ونظيرًا؟

تعالى الله، ليس له شبيه ولا نظير ولا سميٌّ جَلَّ جَلَالُهُ.

((الدليل الثالث)):

قول الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة:22].

وجه الاستدلال: النهي يعني: لا تجعلوا لله نظراءَ، ولا تجعلوا لله أشباهًا.

((الدليل الرابع)):

قول الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ [النحل:60].

وجه الاستدلال: المثل الأعلى يعني: الوصف الأعلى –على وجه من وجوه التفسير– فربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له الوصف الأعلى، ولو كانت صفات الخالق كصفات المخلوق –أي: فيها مماثلة– لم يكُن لله الوصفُ الأعلى.

((الدليل الخامس)):

قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :((يَوْمَ يُحْشَرُ الْعِبَادُ –أَوْ قَالَ: النَّاسُ– حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عَلَيْهِ مَظْلِمَةٌ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مَنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلِأَحَدٍ مَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةَ)). قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاةً حُفَاةً غُرْلًا بُهْمًا، قَالَ:((بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ)) (1).

---

(1) ـ رواه أحمد (16042)، والحاكم (7815)، وصححه الذهبي.

وجه الاستدلال: أن الله ﷻ ينادي الناس –من لدُن آدمَ إلى قيام الساعة– بصوت يسمعه من قَرُب كما يسمعه من بَعُد، ولو كانت صفات الخالق ﷻ كصفات المخلوق، ما كان صوته يسمعه مَن بَعُد كما يسمعه من قَرُب.

((الدليل السادس)):

قَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّ عَلِيًّا الْأَزْدِيَّ، أَخْبَرَهُ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ عَلَّمَهُمْ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ:

((سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ))، وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ:

((آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ)) [1].

وجه الاستدلال: أنه –تعالى–: صاحبٌ في السفر، خليفةٌ في الأهل (2)، فدل ذلك على أن صفات الخالق ليست كصفات المخلوق؛ لأن المخلوق إما أن يصاحب المخلوقَ في السفر، أو يخلفه في أهله.

((الدليل السابع)):

دليل عقلي:

التساوي في الاسم لا يستلزم التساوي في المسمى، بمعنى: أنا سميع بصير، وربي

---

(1) ـ رواه مسلم (1342)، وأبو داود (2599)، والترمذي (3447).

(2) ـ والمقصود بذلك: أن الله –تعالى– مع المسلم المسافر، وهو خليفة على أهله، والمقصود به المعية الخاصة.

سميع بصير، التساوي في الأسماء والصفات لا يستلزم التساوي في كُنه الصفة، وفي ذات الصفة.

فصفات المخلوق تليق بعجزه ونقصه، وأما صفات الله ﷻ، فهي غاية في الكمال والحسن، تليق بجماله وكماله وجلاله وعظمته وقدرته ﷻ.

مثال: للحمار يد، وللقرد يد، وللفيل يد، وللأرنب يد، وللفأر يد، وللنملة يد، وللإنسان يد.

وكل هذه الأشياء لها أيادٍ وكلها مخلوقة، لكن سبحان الله! هناك تباين، فيد الإنسان تليق بالكمال الذي فيه والتكريم الذي كرَّمه الله ﷻ إياه، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء:70]، ويد الإنسان تختلف عن يد الأرنب، والفأر، والنملة...إلخ، فهناك تباين كبير بين مخلوق ومخلوق، مع أن الاسم واحد "يد" فكيف بين الخالق والمخلوق؟! سبحان الله!

((الدليل الثامن)):

الفطرة:

الفطرة تدل على بطلان التمثيل؛ فالإنسان بفطرته جُبل على التفريق بين الخالق والمخلوق، وأن صفات الخالق ليست كصفات المخلوق.

ولذلك عند الملمّات وانقطاع السبل يستغيث الناس بالله؛ لأن صفات الخالق ليست كصفات المخلوق، فالخالق الذي له صفات الكمال هو القادر على إغاثة من انقطعت به السبل.

كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن المشركين: ﴿ **فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ** ﴾[العنكبوت:65] [1].

(1) ـ تأمل: أنجاهم الله من المُلِمَّة والمصيبة مع علمه أنهم سيشركون به، هذا تعامُل الله مع المشركين، فكيف بمن قال: لا إله إلا الله؟!

((أسئلة تتعلق بالتفريق بين المصطلحات))

س62: ما الفرق بين التأويل والتحريف؟

ج ـ الفرق بينهما:

بينهما عموم وخصوص:

(كل محرفٍ مؤولٌ _تأويلًا مذمومًا_ ولا عكس)

كل محرفٍ مؤولٌ: كل من وقع في التحريف قد أَوَّل التأويل المذموم.

ولا عكس: يعني: (ليس كل مؤولٍ محرفًا)؛ لأنه قد يؤوِّل التأويلَ الممدوح، فيكون قد أَوَّل ولم يحرِّف.

فالتأويل أعم من التحريف، والتحريف أخص من التأويل.

س63: ما الفرق بين التكييف والتمثيل؟

ج ـ الفرق بينهما:

(كل ممثلٍ مكيفٌ، وليس كل مكيفٍ ممثلًا)

كل ممثلٍ مكيفٌ: فمن وقع في التمثيل قد كَيَّف الصفة

ليس كل مكيفٍ ممثلًا: ومَن كَيَّف الصفة، فلا يَلزم أن يكون مَثَّلَ؛ لأنه قد يأتي بكيفية لا مثيلَ لها.

فكل ممثلٍ مكيفٌ، ولا عكس.

س64: ما الفرق بين التعطيل والتحريف؟

ج ـ الفرق بينهما:

(كل محرفٍ معطلٌ، وليس كل معطلٍ محرفًا)

التعطيل أعم من التحريف، والتحريف أخص من التعطيل.

ووجه ذلك: أن هناك من يعطل بلا تحريف (كالمفوضة).

ومن العلماء من قال في الفرق بينهما:

التحريف يتعلق بالدليل، والتعطيل يتعلق بالمدلول.

س65: ما الفرق بين التعطيل والتكييف؟

ج ـ الفرق بينهما:

(كل مُكَيِّفٍ معطلٌ، وليس كل معطلٍ مُكَيِّفًا).

كل مُكَيِّف معطلٌ: يعني: من كَيَّف الصفة، فهو في حقيقة الأمر قد عطَّل حقيقة الصفة الثابتة.

وليس كل معطلٍ مُكَيِّفًا: لأنه قد يعطِّل، بلا تكييف -وهذا الغالب-.

س66: ما الفرق بين التمثيل والتشبيه؟

ج ـ الفرق بينهما:

اختلفوا في الفرق بينهما على أقوال:

القول الأول:

التشبيه: التسوية في كل الصفات بين الخالق والمخلوق

التمثيل: التسوية في أغلب الصفات.

فالتشبيه كُلِّي، والتمثيل أغلبي لا كُلِّي.

القول الثاني:

عكس القول الأول:

التمثيل: التسوية في كل الصفات بين الخالق والمخلوق.

التشبيه: التسوية في أغلب الصفات.

فالتمثيل كُلّي، والتشبيه أغلبي لا كُلّي.

وهذا قول أكثر أهل العلم، وهو القول المشهور.

القول الثالث:

هما سواء.

((الترجيح)):

الأقرب هو القول الثاني المشهور، والله أعلم.

وبالله التوفيق.

أسئلة تتعلق بالأصل الأول: ((صفات الله كلُّها حسنى))

س67: ما معنى ((صفات الله كلها حسنى))؟

ج - يعتقد أهل السنة والجماعة أن صفاتِ الله ﷻ كلَّها حسنى، وقد بلغت الغاية في الكمال والحسن، ولا نقص فيها بأي وجه من الوجوه، بل هي صفاتُ كمال، ونعوتُ جلال، تليق بجلال الله ﷻ وعظمتِه.

س68: اذكر بعض الأدلة على هذا الأصل.

هذا الأصل العظيم دلت عليه أدلة كثيرة، منها:

((الدليل الأول)):

قال الله ﷻ:﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ [النحل:60].

وجه الاستدلال على وجه من وجوه التفسير [1]:

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ **يعني**: ولله الوصفُ الأعلى [2]

---

(1) ـ انظر: تفسير السمعاني (439/2) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان، معالم التنزيل تفسير البغوي، (صـ712) ط (دار ابن حزم) بيروت ـ لبنان، تفسير القرطبي (96/10) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة.

وقد اختلف المفسرون في المقصود بـ "الوصف الأعلى":

((القول الأول)):

"الوصف الأعلى": شهادة أنْ لا إله إلا الله (وقد صح هذا عن قتادة).

انظر: تفسير الطبري (200/7) ط (دار الحديث) القاهرة.

((القول الثاني)):

"الوصف الأعلى": الإخلاص والتوحيد (وثبت هذا عن قتادة).

انظر: تفسير الطبري (200/7) ط (دار الحديث) القاهرة، تفسير ابن أبي زَمَنِين (407/2) ط (دار الفاروق الحديثة) القاهرة.

((القول الثالث)):

"الوصف الأعلى": الصفات العليا. وهذا الوجه قال به جماعة من أهل العلم.

(2) ـ قال أبو الليث السمرقندي (ت:375هـ):({وَلِلَّهِ المثل الأعلى} أي:الصفة العليا، وهي شهادة أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له). =

والوصف [1] الأعلى هو الذي بلغ الغاية في الكمال والحسن.

((الدليل الثاني)):

قال الله ﷻ:﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾[الروم:27].

= **وقال الثعلبي (ت:427هـ)**:(ولله المثل الأعلى، الصفة العليا، وهي: التوحيد، والإخلاص).

وقال أبو المظفر السمعاني (ت: 489هـ): (وقوله:{**ولله المثل الأعلى**} أي: الصفة العليا، وذلك مِثلُ قولهم: عالِم وقادر ورازق وحيّ، وغير هذا).

وقال البغوي (ت:516هـ):({**وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأعْلَى**}:الصفة العليا، وهي التوحيد وأنه لا إله إلا هو).

وقيل:جميع صفات الجلال والكمال، من: العلم، والقدرة، والبقاء، وغيرها من الصفات.

وقال ابن الجوزي (ت:597هـ): (قوله تعالى: {**وله المَثَلُ الأعلى**} قال المفسرون: أي: له الصِّفة العُليا في السماوات والأرض، وهي أنَّه لا إِله غيره).

(1) ـ **سؤال: وهل المثَل يأتي بمعنى الوصف؟**

الوصف له عدة معانٍ في اللغة، منها:

أ ـ "الآية": كما قال الله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[الزخرف:59]،

يعني: جعلناه آية من آياتنا لبني إسرائيل.

ب ـ "العبرة والعظة": كما قال الله ﷻ:﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾[الزخرف:56]، يعني: عبرة وعظة لمن بعدهم.

ج ـ "المثل المضروب" وقد يأتي المثل ويراد به: المثل المضروب، يُضرب مثلٌ، كما قال تبارك وتعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾[الحج:73].

ج ـ "الوصف" كما قال الله تعالى:﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [محمد:15]،أي: "وصفُ الجنة التي وعد المتقون:...."، ومنها: قوله:﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾[النحل:60]،

يعني: ولله الصفة العليا، والوصف الأعلى. وقيل غيرُ ذلك، **فقيل**: {المثل الأعلى} هو عبادة الله -عَزَّ وَجَلَّ-، **وقيل**: إنه توحيد الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

وجه الاستدلال على وجه من وجوه التفسير: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ **يعني**: الوصف الأعلى ــ كما سبق ــ.

((الدليل الثالث)):

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَيْبَرَ –أَوْ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم– أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: **((ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ))** [(1)].

وجه الاستدلال: نفى نبينا صلى الله عليه وسلم عن الله جل جلاله صفات النقص، ووصفه بصفات الحسن والكمال، السمع والبصر.

((الدليل الرابع)):

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: **((مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ، أَلاَ إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ "كَافِرٌ"))** [(2)].

وجه الاستدلال: نفى النبي صلى الله عليه وسلم عن الله جل جلاله صفة النقص؛ لأن العور: من صفات النقص، وهذا النفي يتضمن إثبات صفات الكمال لله جل جلاله.

((الدليل الخامس)):

كل دليل في أن أسماء الله جل جلاله كلَّها حسنى: يدخل فيه: الصفات؛ لأن كل

---

(1) ـ رواه البخاري (4205)، ومسلم (2704).

(2) ـ رواه البخاري (7131)، ومسلم (2933).

اسم من أسماء الله يتضمن صفة؛ لأن الأسماء: أعلام، وأوصاف، **ومن هذه الأدلة:**

قال الله ﷻ:﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف:180].

قال الله ﷻ:﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه:8].

قال الله ﷻ:﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الحشر:24].

وجه الاستدلال: أن أسماء الله ﷻ كلها حسنى، ويدخل في ذلك: الصفات؛ لأن كل اسم من أسماء الله: يتضمن صفة لله ﷻ.

((الدليل السادس)):

أن الله تعالى قد توعد الذين وصفوه بصفات النقص والسوء،بالعذاب الشديد، ومن ذلك:

أ ـ قال الله ﷻ:﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران:181].

وجه الاستدلال: أن الله ﷻ توعد الذين وصفوه بالنقص، بالعذاب الشديد، والعذاب الأليم، وعذاب الحريق؛ وهذا يدل على أنهم وقعوا في كفر عظيم، وهذا إن دل على أن الله تعالى لا يتصف إلا بصفات الكمال.

((قصة)):

سمع طفل صغير هذه الآية،﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ

الْحَرِيقِ﴾[آل عمران:181]، فقال كلمات لو وُزِنَت لوزنت، سمع هذا الطفل هذه الآية فقال:((مَن أغناهم؟!)).

الله أكبر! انظر إلى الفطرة، مَن أغناهم؟!

ب ـ وأيضًا من هذه الآيات: قال الله ﷻ:**﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾**[المائدة:64].

وجه الاستدلال: أن الله ﷻ ذمهم، ولعنهم، وأنكر عليهم غاية الإنكار؛ لأنهم وصفوه بالنقص، وهذا يدل على أن الله تعالى لا يتصف إلا بصفات الكمال، وأن صفاتِ الله تعالى كلها حسنى.

((الدليل السابع)):

أدلة عقلية تدل على ذلك، منها:

أ ـ دليل "أكمل الموجودات"

ما من موجود إلا وله صفات، وهذه الصفات قد تكون صفات كمال أو صفات نقص، والله تعالى هو أكمل الموجودات، وأكمل الموجودات لا يتصف إلا بصفات الكمال.

ب ـ دليل "واهب الكمال"

هناك صفات كمال للمخلوق وهبه الله إياها –كالعلم، والرحمة، والقوة، والكرم والعزة.....إلخ، فواهب الكمال: أولى به.

يعني أن الذي وهب المخلوقاتِ هذا الكمالَ: أولى به [1].

---

(1) ـ وهذا يتعلق بصفات الكمال التي لا نقصَ فيها بوجه من الوجوه، وسيأتي تفصيل الكلام عن هذا القيد في قواعدِ التنزيه وضوابطه.

((الدليل الثامن)):

دليل الفطرة:

الفطرة تدل على هذا الأصل -صفات الله كلها حسنى-، فالقلوب فُطرت على محبة الله وتعظيمه وتوقيره وإجلاله، وعلى أنه يتصف بكل جميل، وأن صفات الله قد بلغت الغاية في الكمال والحسن، وأن الله لا يوصف بصفات النقص؛ ولذلك عندما خاطب إبراهيم ﷺ أباه خاطب فيه: العقلَ، والفطرة، فعندما أنكر عليه عبادة الأصنام قال له: ﴿**يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا**﴾[مريم:42]، يوقظ الفطرة السليمة، ويوقظ القوة العقلية السوية فيه.

والمعنى المقصود: أن الذي يستحق العبادة لا يتصف بصفات النقص-كعدم السمع، وعدم البصر- فمثل هذا لا يكون إلهًا أبدًا ولا يكون ربًّا أبدًا، وهذا معلوم بـ: الفطرة، والعقل، فالناقص في نفسه لا يكون ربًّا ولا يكون إلهًا.

((فروع تتعلق بهذا الأصل)):

س69: ما اعتبارات الحُسن في صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

ج - الحسن في صفات الله جَلَّ جَلَالُهُ يكون باعتبارين:

الاعتبار الأول: باعتبار الانفراد.

الاعتبار الثاني: باعتبار الجمع، والتعدد.

الاعتبار الأول - ((باعتبار الانفراد)):

بمعنى: أنك إذا ذكرت صفة واحدة لله على الانفراد فإنها تدل على الكمال.

تطبيق:

فإذا قلت: الله "رحيم"، الله "عفوّ"، الله "قدير"،......إلخ، فهذا يدل على كمال الله جَلَّ جَلَالُهُ، وهذا كمال باعتبار الانفراد.

الاعتبار الثاني - ((باعتبار الاجتماع)):

بمعنى: إذا اجتمعت الصفات لله زادت كمالًا فوق الكمال.

تطبيق:

فإذا قلت: الله "رحيم، عزيز"،فهذا كمال فوق الكمال؛ لأن هناك من يتصف بالرحمة لكن ليس عنده عزة، أو تكون الرحمة متولدة عن ضعف وانعدام القدرة على المجابهة وانعدام العزة.

لكن اجتماع الرحمة مع العزة يَزيد كمالًا فوق الكمال.

تطبيق:

لو قلت:"الله عفوّ"، فهذا كمال على الانفراد، ولو قلت:"الله عفوٌّ قدير"، فهذا

يزيد الكمال فوق الكمال؛ لأن هناك من يعفو لعدم قدرته على الانتقام، وهذا كمال باعتبار الاجتماع والتعدد.

ولذلك مدح النبي ﷺ مَن عفا مع قدرته، وبيَّن ثوابه عند الله:

عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الجُهَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

((مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَفِّذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الحُورِ شَاءَ))[1].

تطبيق:

لو قلت "الله عزيز" فهذا كمال، ولو قلت: "الله حكيم" فهذا كمال باعتبار الانفراد.

لكن لو جمعت الوصفين فقلت: "الله عزيز حكيم"، فاجتماع الصفات يزيد الكمال فوق الكمال؛ لأن العزة قد تكون بغير حكمة، كمَن عنده قوة ومنَعة، ويتصرف بغير حكمة، وإنما يتصرف بالقوة والقهر فحسب، دُونَ حكمةٍ، لكن عندما تكون العزة معها الحكمة يَزيد هذا الكمال فوق الكمال.

خلاصة الكلام:

الحسن في صفات الله ﷻ يكون على اعتبارين:

الاعتبار الأول: باعتبار الانفراد.

الاعتبار الثاني: باعتبار التعدد والجمع.

وكلما تعددت الصفات في الاعتبار الثاني، زادت كمالًا فوق الكمال.

([1]) ـ **حسن:** رواه أبو داود (4777)، والترمذي (2021).

س70: إذا قلنا: "صفات الله كلها حسنى" فهل صفات الله تتفاضل؟

ج - نعم، صفات الله تتفاضل.

س71:هل التفاضل في صفات الله يترتب عليه النقص في المفضول؟

لا، فمعنى قولنا إن صفات الله ﷻ تتفاضل، لا يلزم منه قطعًا ثبوت النقص في المفضول، فهذا من الأمور المعلومة، فقد ذكرنا من قبل أنَّ من أصول أهل السنة والجماعة:"**صفات الله كلها حسنى**" وليس معنى التفاضل بينها أن يكون هناك نقصٌ في المفضول عن الفاضل.

س72: ما اعتبارات تفاضل صفات الله ﷻ؟

ج - **التفاضل في صفات الله يكون باعتبارين:**

الاعتبار الأول: بين صفتين مختلفتين.

مثل: (الرحمة، والغضب)، (الرضا والسخط).

الاعتبار الثاني: في الصفة الواحدة.

قد يكون تفاضلٌ في الصفة الواحدة، وهذا يُشكل، وسيأتي بيانه إن شاء الله.

س73: اذكر بعض الأدلة على تفاضل صفات الله ﷻ باعتبار صفتين مختلفتين.

((الدليل الأول)):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

((لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي

غَلَبَتْ غَضَبِي)) [1].

وفي رواية مسلم: ((لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ عَلَى نَفْسِهِ، فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي)) [2].

وجه الاستدلال: الرحمة والغضب صفتان لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وقد فاضل الله بينهما، وبيَّن أن الرحمة تسبق الغضب وتغلبه، والسابق والغالب أفضل من المسبوق.

((الدليل الثاني)):

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي آخِرِ وِتْرِهِ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ: كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ)) [3].

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: ((اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ: كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ)) [4].

وجه الاستدلال: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر في دعائه صفتيِ الرضا والسخط، واستعاذ برضا الله من سخطه، ولا شك أن المستعاذَ به أفضل من المستعاذِ منه.

([1]) ـ رواه البخاري (3194).

([2]) ـ رواه مسلم (2751).

([3]) ـ **صحيح**: رواه النسائي (1747).

([4]) ـ رواه مسلم (486).

((الدليل الثالث)):

كل دليل ورد فيه أن أسماء الله تتفاضل: دليل على أن الصفات تتفاضل؛ لأن كل اسم من أسماء الله: يتضمن صفة، ومن ذلك:

أ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ:"اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ"

قَالَ: فَقَالَ: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى)) [1].

وفي رواية: ((لقدْ دعا اللهَ باسمِهِ العظيمِ)) [2].

وفي رواية عند الحاكم:((لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ وَالْأَكْبَرِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى)) (3).

وجه الاستدلال: هذه الألفاظ "الأعظم"، و"الأكبر": تدل على التفاوت، وتدل على التفاضل.

س74: اذكر بعض الأدلة على التفاضل باعتبار الصفة الواحدة.

ج ـ هذا مشكل! كيف تكون صفةٌ واحدة ويكون فيها تفاضلٌ؟

الجواب: هذا موجود في صفات، منها: الحب، والبغض، الغضب، والكلام، ومن أدلة ذلك:

---

(1) ـ **صحيح**: رواه أحمد (22965)، أبو داود (1493)، والترمذي (3475) واللفظ له.

(2) ـ **صحيح**: رواه أحمد (12611)، وأبو داود (1495)، والنسائي (1300).

(3) ـ رواه الحاكم (1859) وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

((الدليل الأول)):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ:

((أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا)) [1].

وجه الاستدلال: "أحبُّ": اسم تفضيل، وفيه أن الحب يتفاوت.

فمحبة الله للأنبياء ليست كمحبة الله الصالحينَ، وآحادَ المؤمنين.

((الدليل الثاني)):

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ:

((أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلاَثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ)) [2].

وجه الاستدلال: "أبغض": اسم تفضيل، وفيه أن الحب يتفاوت.

س75: هل القرءان يتفاضل؟

ج - من أكثر الأمور التي وقع فيها الكلام: مسألة "تفاضل القرآن"،

قبل الجواب عن السؤال، ننوه على أمرٍ هو:

نُقِلَ عن جماعة من أهل السنة: أنَّ القرءان لا يتفاضل.

نُسِبَ هذا القول لطائفة من السلف المتقدمين، والمحدَثين، ومنهم:

أ ـ سفيان بن عيينة [3].

---

(1) ـ رواه مسلم (671).

(2) ـ رواه البخاري (6882).

(3) ـ كتاب "السنة" محمد بن نصر المروزي، رقم: (243).

ب ـ وروي معناه عن مالك [1].

ج ـ ويحيى بن يحيى [2].

د ـ أبو حاتم ابن حبان البُستي [3].

هـ ـ ابن جرير الطبري [4].

و ـ وابن عبد البر [5].

أما تفاضل القرءان فقد اختلف الناس فيه:

((القول الأول)):

لا تفاضل في القرءان.

وهذا ورد عن جماعة من أهل السنة، والمحدّثين –وقد سبق ذكرهم– وذهب إليه أبو الحسن الأشعري [6]، وهو مذهب كثير من أهل الكلام [7].

---

(1) ـ تفسير القرطبي (117/1) تفسير الفاتحة، الباب الأول: (فضائلها وأسماءها) المسألة الثانية، ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة ـ مصر، تفسير سورة الفاتحة، ابن رجب (صـ 37) ط (دار المحدث) السعودية، البرهان في علوم القرءان، الزركشي(438/1) ط (دار التراث) القاهرة ، الإتقان في علوم القرءان، السيوطي (صـ 541) ط (دار الكتب العلمية).

(2) ـ الإتقان في علوم القرءان، السيوطي (صـ 541) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

(3) ـ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان،(51/3) عقب الحديث رقم:(774) ط (مؤسسة الرسالة) بيروت ـ لبنان، تفسير القرطبي (117/1) تفسير الفاتحة، الباب الأول: (فضائلها وأسماءها) المسألة الثانية، ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة ـ مصر، البرهان في علوم القرءان، الزركشي (438/1) ط (دار التراث) القاهرة،الإتقان في علوم القرءان، السيوطي(صـ 541) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

(4) ـ تفسير الطبري (704/1) ط (دار الحديث) القاهرة.

(5) ـ الاستذكار، ابن عبد البر (489/2) ط (دار إحياء التراث العربي) بيروت ـ لبنان.

(6) ـ تفسير القرطبي (117/1) تفسير الفاتحة، الباب الأول: (فضائلها وأسماءها) المسألة الثانية، ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة ـ مصر، البرهان في علوم القرءان، الزركشي (438/1) ط (دار التراث) القاهرة ، الإتقان في علوم القرءان، السيوطي (صـ 541) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

(7) ـ تفسير القرطبي (118/1) تفسير الفاتحة، الباب الأول: (فضائلها وأسماءها) المسألة الثانية، ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة ـ مصر، تفسير ابن كثير (105/1 – 106) ت: سامي محمد السلامة/ ط (دار طيبة).

وذهب إليه جماعة من المفسرين.

قال الإمام السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

((وذهب آخرون إلى التفضيل لظواهر الأحاديث، منهم: إسحاق بن راهويه، وأبو بكر ابن العربي ، والغزالي.

وقال القرطبي: إنه الحق، ونقله عن جماعة من العلماء والمتكلمين)) [1].

واستدلوا على ذلك:

بأن الجميع كلام الله، ولئلّا يوهم التفضيلُ نقصَ (الْمُفَضَّلِ عَلَيْهِ) [2].

وتأولوا الأحاديث الواردة في تفضيل بعض السور على بعض بصيغة أَفْعَلِ التفضيل-كقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :((أعظم سورةٍ))- على الأجر، أي أنّ أجر قراءتها أعظمُ من أجر قراءة غيرها، لا أن بعض القرءان أفضلُ من بعض [3].

((تنبيه)):

قد نقل بعض أهل العلم الإجماع على عدم تفاضل كلام الله، وقد نقل الإجماع أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الدَّرَّاجِ، وهذا الإجماع المنقول في هذا الباب ليس بسديد، إنما مردُّه فهمٌ مغلوط في نقل الإجماع، فقد ظنوا أن هذا القولَ الذي فيه التفاضل:- قولٌ للمعتزلة الذين يقولون إن القرآن مخلوق، لكن الأمر ليس

([1]) ـ الإتقان في علوم القرءان، السيوطي (صـ 541) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

([2]) ـ البرهان في علوم القرءان، الزركشي (438/1) ط (دار التراث) القاهرة ، الإتقان في علوم القرءان، السيوطي (صـ 541) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

([3]) ـ البرهان في علوم القرءان، الزركشي (438/1) ط (دار التراث) القاهرة ، الإتقان في علوم القرءان، السيوطي (صـ 541) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

بسديد [1].

((القول الثاني)):

وقيل: التفضيل يعودُ إلى ثوابِه وأجرِه، لا إلى ذاتِه، وهو قولُ طائفةٍ منهم ابنُ حِبَّان (2).

((القول الثالث)):

أن القرءان يتفاضل.

وهذا قول جمهور أهل السنة.

([1]) ـ مجموع الفتاوى(73/17) ط (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد) السعودية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:((ثُمَّ لَمَّا اعْتَقَدَ هَؤُلَاءِ أَنَّ التَّفَاضُلَ فِي صِفَاتِ اللَّهِ مُمْتَنِعٌ ظَنُّوا أَنَّ الْقَوْلَ بِتَفْضِيلِ بَعْضِ كَلَامِهِ عَلَى بَعْضٍ: لَا يُمْكِنُ إلَّا عَلَى قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ -مِنْ الْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ- الْقَائِلِينَ بِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ؛ فَإِنَّهُ إذَا قِيلَ "إنَّهُ مَخْلُوقٌ" أَمْكَنَ الْقَوْلُ بِتَفْضِيلِ بَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَى بَعْضٍ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَعْضُهُ أَفْضَلَ مِنْ بَعْضٍ. قَالُوا: وَأَمَّا عَلَى قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ -الَّذِينَ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ- فَيَمْتَنِعُ أَنْ يَقَعَ التَّفَاضُلُ فِي صِفَاتِ اللَّهِ الْقَائِمَةِ بِذَاتِهِ. وَلِأَجْلِ هَذَا الِاعْتِقَادِ صَارَ مَنْ يَعْتَقِدُهُ يَذْكُرُ إجْمَاعَ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى امْتِنَاعِ التَّفْضِيلِ فِي الْقُرْآنِ، كَمَا قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ الدَّرَّاجِ فِي مُصَنَّفٍ صَنَّفَهُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، قَالَ: " أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ مَا وَرَدَ فِي الشَّرْعِ -مِمَّا ظَاهِرُهُ الْمُفَاضَلَةُ بَيْنَ آيِ الْقُرْآنِ وَسُوَرِهِ-: لَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ تَفْضِيلَ ذَوَاتِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ؛ إذْ هُوَ كُلُّهُ: كَلَامُ اللَّهِ وَصِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ بَلْ هُوَ كُلُّهُ: لِلَّهِ، فَاضِلٌ كَسَائِرِ صِفَاتِهِ الْوَاجِبِ لَهَا نَعْتُ الْكَمَالِ. وَهَذَا النَّقْلُ لِلْإِجْمَاعِ هُوَ بِحَسَبِ مَا ظَنَّهُ لَازِمًا لِأَهْلِ السُّنَّةِ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: "الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقِ" وَظَنَّ هُوَ أَنَّ الْمُفَاضَلَةَ إنَّمَا تَقَعُ فِي الْمَخْلُوقَاتِ لَا فِي الصِّفَاتِ- قَالَ مَا قَالَ. وَإِلَّا فَلَا يُنْقَلُ عَنْ أَحَدٍ مِنْ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ أَنَّهُ أَنْكَرَ فَضْلَ كَلَامِ اللَّهِ بَعْضِهِ على بَعْضٍ -لَا فِي نَفْسِهِ وَلَا فِي لَوَازِمِهِ وَمُتَعَلِّقَاتِهِ- فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ هَذَا إجْمَاعًا)).

مجموع الفتاوى(73/17) ط (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد) السعودية.

([2]) ـ تفسير سورة الفاتحة، ابن رجب (صـ 38) ط (دار المحدث) السعودية.

والقرءان: يتفاضل، ولا يتفاضل.

لا يتفاضل: باعتبار المُتَكلِّم بِه (وهو الله تعالى).

ويتفاضل: باعتبار المُتَكَلَّم به، وموضوعه، ومدلوله، ومعانيه، وأجره.

فمن جهة كون القرءان كلامَ الله، وهو صفة لله تعالى- لا تفاضُل.

ومن جهة موضوع القرءان، ففيه التفاضل، فليست آيةٌ موضوعُها المنافقون والكافرون والمشركون، كآيةٍ موضوعُها أسماء رب العالمين وصفاتُه وعظَمتُه، وليست سورة الإخلاص التي موضوعها صفةُ الله وتنزيه الله ﷻ، كسورة المسَد التي موضوعها عقوبةٌ ووعيد لصِنديد من صناديد الكفر.

وهذا القول هو الصواب بلا شك، وهو قول جمهور أهل السنة والجماعة.

س76: ما الأدلة على أن القرءان يتفاضل؟

ج ـ هناك أدلة كثيرة على تفاضل القرءان، ومنها:

((الدليل الأول)):

عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المعَلَّى رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي المسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ:((**أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ:**﴿**اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾[الأنفال: 24].)) ثُمَّ قَالَ لِي: ((**لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ**)) ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: «أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ؟»،قَالَ:﴿**الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ**﴾[الفاتحة: 2]

هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ)) [1].

وجه الاستدلال: "أعظمُ": اسم تفضيل، وفيه أن السور تتفاوت في الفضل والعظمة مِن جهة موضوعها لِما تضمنته هذه السورة من المعاني العظيمة.

((الدليل الثاني)):

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:((يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟)) قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: ((يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟)) قَالَ: قُلْتُ: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: 255].

قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ:((وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ)) [2].

وجه الاستدلال: كسابقه.

وهذا يدل على أن كتاب الله جل جلاله يفضل بعضه بعضًا بحسب موضوعه،ومدلوله وما تدل عليه المعاني؛ لأن آية الكرسيّ أعظم آية لما فيها من الكلام عن صفات الله، وعن عظمة الله، وبدأت بالأسماء والصفات، وخُتمت بالأسماء والصفات.

((الدليل الثالث)):

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

---

(1) ـ رواه البخاري (4474).

(2) ـ رواه أحمد (20588)، ومسلم (810)، وأبو داود (1460).

((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ)) [1].

وجه الاستدلال: أنها تعدل ثلث القرءان –في الجزاء لا الإجزاء– وذلك لِما تضمنته من معانٍ عظيمة تتعلق بأسماء الله وبصفاته، وهذا يدل على تفاضل القرءان.

فإن قيل: لكن التفضيل هنا يتعلق بالثواب فحسب فلا يدل على التفضيل، وإنما غايته: زيادة الأجر، لا أن بعض القرءان أفضل من بعض.

فالجواب: إنما الأجر الزائد والثواب فرع على الأفضلية، ففي الحديث: دلالة على التفاضل –وقد سبق ذكره– بأن التفاضل باعتبار (المُتَكَلَّم به) وهو موضوعه، لا باعتبار(المُتَكلِّم بِه) وهو الله –تعالى–.

س77: وما الذي حمل بعض أهل السنة على القول بعدم تفاضل القرءان؟

ج: قول من قال مِن أئمة أهل السنة بعدم التفاضل يعودُ لأمور:

الأمر الأول: أن الجميع كلامُ الله، فلا تفاضل.

الأمر الثاني: لئلا يوهم التفضيلُ نَقْصَ (الْمُفَضَّلِ عَلَيْهِ)

الأمر الثالث: أنهم ظنوا القولَ بتفاضل القرءان مبينًّا على قول المعتزلة الذين يقولون : إن القرآن مخلوق.

الأمر الرابع: لعله خفِي على بعضهم نصوص التفضيل [2].

س78: ما الفائدة المترتبة على معرفة مسألة تفاضل صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

ج ـ يتعلق بها أمور مهمة، ومنها:

---

(1) ـ رواه البخاري (5013).

(2) ـ وهذا أبعد الاحتمالات.

في الرد على الجهمية والمعتزلة:

وبيان ذلك:

أ ـ أن الأسماء الحسنى والصفات العُلا هي -على تعددها- لمسمًّى واحد، ولموصوف واحد، إذ الواحد من كل وجه: لا يُعقل أن يكون فيه شيء أفضلَ من شيء، (**وهذا فيه رد على الجهمية والمعتزلة القائلين: إن لله ذاتًا لا تقوم بها صفات** [1]).

ب ـ أن هذه الصفات وجوديةٌ، قائمة بذات الله تعالى، إذ ما لا وجود له لا تفاضل فيه.

(1) ـ **فالمعتزلة يقولون:** "الله عالم بذاته"، "سميع بذاته"، والذات عندهم مدلول واحد، وهي الدلالة على الذات، بمعنى: أن الذات لا تقوم بها الصفات.

أسئلة تتعلق بالأصل الثاني: ((صفات الله توقيفية))

س79: ما معنى هذا الأصل (صفات الله توقيفية)؟

ج ـ معنى هذا الأصل: أن الصفات إنما تثبت لله بالكتاب أو السنة، فما ثبت في القرءان أو السنة وجب إثباته، وما ثبت نفيُه وجَب نفيه.

فالأصل فيها التوقيف.

س80: وهل معنى ذلك أنَّ العقل لا مدخل له في الصفات؟

ج ـ الجواب: الناس في هذا الباب لهم مسالكُ:

أ ـ المسلك الأول ـ ((تقديم العقل))

وهذا مسلك المتكلمين من المعتزلة والمخلطة الملفقة ومَن شابههم، يقدمون العقل في هذا الباب، أي إن ما أثبتته عقولهم لله أثبتوه، وما لا يثبته العقل لله ﷻ يقومون بنفيه وإن أثبته الشرع وورد في النصوص الشرعية.

لأن دلالة العقل: عند القوم قطعية، ودلالة الشرع والنصوص: ظنية، يدخلها الاحتمالات.

وهذا منهج المتكلمين، وهذا منهج فاسد كاسد.

ب ـ المسلك الثاني ـ ((هَدْي أهل السنة والجماعة)):

وهو الأصل في هذا الباب، التوقيف، وأننا لا نثبت لله إلا ما أثبته الله لنفسه، وننفي عن الله ﷻ ما نفاه عن نفسه.

فالقسمة في هذا الباب ثلاثية:

أ ـ صفات ثبتت بالشرع.

ب ـ صفات ثبت نفيها بالشرع.

ج ـ ما لم يَرِد الشرع بنفيه ولا بإثباته.

ولكل قسمٍ حكمٌ على ما يلي:

القسم الأول ـ ((صفات ثبتت بالشرع)):

مثل: (صفة العزة، والرحمة، والعفو، والمغفرة، والمحبة، والغضب، والفرح، وصفة اليد... إلى آخر هذه الصفات)

حكمها: نثبتها لله كما أثبتها لنفسه، على وَفق منهج أهل السنة والجماعة.

القسم الثاني ـ ((صفات ثبت نفيها بالشرع)):

مثل: (الصفات السلبية: **الظلم** –لكمال عدله–، **والولادة** –لكمال حياته وقيوميته–، **والضلال والنسيان** –لكمال عِلمه–)

حكمها: ننفيها عن الله كما نفاها ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن نفسه.

القسم الثالث ـ ((ما لم يرِد الشرع بنفيه ولا بإثباته)):

مثل: (صفة "الأذُن"، وصفة "اللسان")

قال الله جل جلاله: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا .....﴾[الأعراف:195].

حكمها: هذه يتوقف فيها، بمعنى أننا لا نثبتها ولا ننفيها، إنما نتوقف، **فإذا قلت:** هل لله لسان؟ أقول: الله أعلم، هذا لم يَرد إثباته ولم يَرد نفيه.

تنبيه: خطأ لبعض المعاصرين:

بعض الدعاة في إحدى المحاضرات –على شريط الكاسيت– قال: "كما قال

النبي ﷺ في الحديث القدسي على **لسان الله**".

وأراد بعض المعاصرين تصحيح الخطأ والتنبيه -لأن لمحاضرة انتشرت [1]- فقال في التنبيه على الخطأ:

"نسب لله لسانًا، وهذا خطأ؛ واللسان ليس صفة لله تعالى، **وليس لله لسان**".

قلت: وكلاهما أخطأ -بغير قصد-

أما الأول: الذي نسب لله اللسان، فخطؤه ظاهرٌ، فمن أين أثبت لله اللسان؟ إذ إن الصفات توقيفية.

وأما الثاني: **فأصاب من وجه وأخطأ من وجه:**

أصاب: في التنبيه على الخطأ العقدي -جزاه الله خيرًا-.

وأخطأ: عندما جزم وقطع بأن الله ليس له لسان.

والصواب: أننا لا نثبت ولا ننفي، وإنما نتوقف.

فإذا سُئلت: هل لله لسان؟ هل لله أذُن؟

نقول: الله أعلم، لم يرد إثبات اللسان والأذن في النصوص الشرعية لنثبتها لله سبحانه وتعالى، ولم يَرِد النفي فيها لنجزم بعدم ثبوتها لله سبحانه وتعالى، فنتوقف ولا نتكلم في هذا، ونسكت عما سكت عنه الله ورسوله، هذا هو المنهج السديد في هذا الباب.

والأمر نفسُه بالنسبة لصفة الأذن.

---

(1) ـ نعم، انتشرت المحاضرة، وانتفع بها خلق كثير، ولعل هذا بسبب إخلاص هذا الداعية ــ نحسبه كذلك، والله حسيبه، ولا نزكيه على الله، بارك الله فيه وفي سعيه، ونفع الله به المسلمين ــ والخطأ وارد، والحق مفروض، والخطأ مردود مرفوض.

س81: وهل يُفهم من ذلك أنَّ العقل لا مدخل له في الصفات مطلقًا، ولا تثبت الصفات بالعقل بحال؟

ج ـ صفات الله، منها: ما للعقل مَدخل في إثباتها، ومنها: ما لا مَدخل له في إثباتها قطُّ، وإليك بيان ذلك:

أولًا ـ ((من جهة الصفات في الجملة)):

فالعقل يدل على صفات في الجملة من حيث الصفاتُ الثبوتية أو السلبية، ووجه ذلك:

أ ـ الدليل الشرعي يدل على ثبوت الصفات في الجملة بالعقل:

العقل يدل على أن الرب تعالى لا يتصف إلا بصفات الكمال ونعوت الجلال، وكذلك الفطرة تدل عليه، ومن الدلالات الشرعية على ذلك:

لما خاطب إبراهيم صلى الله عليه وسلم أباه آزر خاطَب فيه: العقلَ، والفطرة، فقال:

﴿**يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا**﴾[مريم:42].

ليخاطب فيه: الجانب العقلي، والجانب الفطري.

وبأنَّ مَن يُعبد لا يتصف بصفات النقص -كعدم السمع والبصر، وعدم الضر والنفع- وإنما المعبود بحقٍّ يتصف بصفات الكمال ونعوت الجلال.

ومِثل هذا كثير في القرءان.

ب ـ الدليل العقلي يدل على ثبوت الصفات في الجملة بالعقل:

دلالات عقلية تدل على ذلك، منها:

أ ـ قياس الأَولى بضوابطه -وسيأتي الكلام عنه إن شاء الله-.

ب ـ دليل "واهب الكمال".

ج ـ دليل "أكمل الموجودات".

ثانيًا ـ ((من جهة التفصيل)):

هناك صفات لا مَدخل للعقل فيها، وصفاتٌ للعقل مَدخلٌ في إثباتها بضوابطَ وقيودٍ، وإليك بيانَ ذلك:

أ ـ الصفات الثبوتية الذاتية: (كالعلم، والقدرة، والحياة، والملك ، والقوة، والعزة، والرحمة ـ العامة ـ... إلخ).

نقول: جُل [1] الصفات الذاتية: للعقل مَدخل في إثباتها.

مثال: (صفة العلم):

بالدلالات العقلية -التي ذكرناها- وبالنظر إلى الكون أيضًا -بما فيه من عجائبَ ونظامٍ وأفلاك وشمس وقمر وأرض وجبال وبحار...إلخ.

فإن العقل يدرك أن خالق هذا الكون عليمٌ قدير.

وإثبات هذه الصفات الذاتية مرده إلى العقل،وعلى هذا فقِسْ في جُل الصفات الثبوتية الذاتية.

ب ـ الصفات الثبوتية الفعلية: (كالضحك، والاستواء، والفرح والغضب، والرحمة ـ الخاصة ـ والمحبة...إلخ).

نقول: الصفات الفعلية منها: ما يثبت بالعقل، ومنها ما لا مدخل للعقل في إثباته، ومن صور ذلك:

ما لا دخل للعقل قطُّ في إثباته:

كالصفات الآتية: (الضحك، والفرح، والاستواء، والنزول)، فهذه صفات

---

(1) ـ عبرنا بـ "جُلّ"؛ لأنه قد تكون ثبوتية ذاتية لا تثبُت بالعقل وحدَه، مثل: "الكِبْر".

ثبوتية فعلية، ولا مدخل لإثباتها بالعقل، وإنما هي من جهة الدليل خبرية مَحْضة، ولولا النصوصُ والأخبار لَمَا أثبتنا هذه الصفات.

ما للعقل دخلٌ في إثباته:

كالصفات: (الغضب، والحب، والرحمة).

مثال: عندما يرى الإنسان عقوبة الله للكافرين -كقوم نوح، وقوم لوط، وعاد، وفرعون.....إلخ- يعلم أن الله قد غضب عليهم، وأنه لا يحبهم.

وعندما يرى الإنسانُ أهلَ الإيمان وهم يحتاجون للماء، فَيُصَلُّون صلاة الاستسقاء، فيغيثهم الله بالماء، ويُنزل المطر:-يَعلم أن الله قد رحم هؤلاء العباد.

ج ـ الصفات الخبرية: (كاليد، والوجه، والعين، والأصابع، والقَدَم)

فهذه الصفات لا مدخل للعقل في إثباتها قطُّ.

((تنبيه مهم)):

ليس معنى هذا أن يكون العقل مقدَّمًا، بل العقل معضِّدٌ للشرع، فهو دليل تبعٌ للدليل الشرعي، معضدٌ له وليس حاكمًا عليه -كما عند الطوائف المنحرفة- وليس دليلًا مستقلًّا بعيدًا عن الدليل الشرعي،فيكون به وحدَه النفي والإثبات، لا، فالعقل -فيما يثبته إجمالًا وتفصيلًا، وفيما ينفيه إجمالًا وتفصيلًا-: إنما يكون معضدًا لدليل الشرع، وليس حاكمًا عليه أو مستقلًّا دونه.

خلاصة الكلام:

للعقل مدخل في ثبوت الصفات على الإجمال أي: في ثبوت صفات الكمال، ونفي صفات النقص عن الله سبحانه وتعالى، وعلى التفصيل، فهناك صفات لا مدخل للعقل في ثبوتها، كـ: الصفات الخبرية، وبعض الصفات الفعلية.

والدليل العقلي في الباب هو تابع للدليل الشرعي وليس حاكمًا عليه.

((تنبيه)):

وهنا ننبه على خطأ قد يقع في الدرس العقدي من بعض المشايخ، عندما يُقال: ((صفات الله توقيفية، ولا مدخل للعقل فيها))

فهذا الكلام غير محرر، وفيه نظرٌ، وقد سبق بيانُ دخول العقل في إثبات الصفات ونفيها، إجمالًا، وتفصيلًا، وبالله التوفيق.

س82: اذكر بعض الأدلة على هذا الأصل (صفات الله توقيفية).

ج ـ هذا الأصل دلت عليه أدلة كثيرة، وإليك بعضَها:

((الدليل الأول)):

قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف:33].

وجه الاستدلال: فمن زعم أن لله صفةً، ولم يأتِ الدليل من القرآن ولا من السنة على ثبوت هذه الصفة، فهذا قد تقوَّل على الله بغير علم، ودخل تحت هذا الوعيد المتعلق بهذه الأمور التي حرمها الله.

((الدليل الثاني)):

قال الله ﷻ:﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾ [الإسراء:36].

(وَلا تَقْفُ) أي: لا تتبع ما ليس لك به علم.

وجه الاستدلال: من وصف ربه بصفة لم تأتِ في القرآن ولا في السنة فقد اتبع ما ليس له به علم، ووقع في النهي.

((الدليل الثالث)):

قال الله ﷻ:﴿ **وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** ﴾ [طه:110].

فمَن وصف ربه بصفة لم تأتِ لا من القرآن ولا من السنة فقد ادعى أنه قد أحاط بربه –تبارك وتعالى– علمًا.

((الدليل الرابع)):

دليل عقليٌّ، ومضمونه:

أن إنكار ما أثبته الله لنفسه: جناية، وكذلك إثبات ما نفاه الله عن نفسه: جناية، فكذلك إثبات ما لم يصف ربنا به نفسَه:– جنايةٌ.

((الدليل الخامس)):

ومن الأدلة العقلية أيضًا:

إثبات وصفٍ لله لا بد له من أحد هذه الأشياء:

(رؤية، رؤية مثيل، وحي، نص) والثلاثة الأُوَل باطلة، فلم يبقَ إلا الاحتمال الأخير وهو أن يأتي النص في القرآن أو في السنة بأن هذه الصفة ثابتة لله سبحانه وتعالى، وإلا وقَع الإنسان في المحظور!

س83: كيف نعرف صفات الله من النصوص الشرعية؟

ج ـ تعرف الصفات بأمور:

أ ـ التصريح بالصفة.

ب ـ التصريح بالاسم.

ج ـ التصريح بالفعل.

وإليك بعضَ الأمثلة:

أ ـ التصريح بالصفة:

قال الله ﷻ:﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات:58].

صرح ﷻ بوصف نفسه بالقوة.

قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-:﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة:218].

أضاف الرحمة إلى نفسه، وهي إضافةُ صفةٍ لموصوف، والمقصود: يرجون أن يرحمهم الله، ويُدخلَهم جنّته.

ب ـ التصريح بالاسم:

قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-:﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾[البروج:14].

فمن أسمائه تعالى: "الغفور"، و"الودود" وكل اسم: يتضمن صفة.

قال الله ﷻ:﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[الحشر:23].

ج ـ التصريح بالفعل:

قال الله ﷻ:﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه:5].

صرح بالفعل، وهو الاستواء، وهو صفة ثبوتية فعلية.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي،

فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟)) [1].

صرح بالفعل، وهو النزول، وهو صفة ثبوتية فعلية.

س84: ما الفرق بين الصفات والأفعال بالنسبة لله؟

ج ـ الأفعال: من جنس الصفات، والفرق بينها وبين الصفات:-

"أن الصفات أعم من الأفعال"؛ لأن الصفات منها: الذاتية،ومنها: الفعلية، فالصفات أعم من هذا الجانب.

"فكل فعلٍ صفةٌ، وليست كل صفةٍ فعلًا".

س85: اذكر تطبيقًا على هذه القاعدة (صفات الله توقيفية).

ج ـ كلمة مشهورة عند العامة:

عندما يكون إنسان في ورطة أو في مأزق شديد وينجيه الله -عَزَّ وَجَلَّ- منه يقول: "**ربنا وقَف معي**"، "كنت في محنة شديدة، **ربنا وقَف معي**"، **هنا تأتي القاعدة ونقول**: أنت أثبتَّ لله صفة، وهي صفة "الوقوف"، وهي لم ترد في القرآن ،ولم تثبت في السنة، و"صفات الله توقيفية"،

والصواب: **أن نقول**: كنت بالأمسِ في مأزق "**وكان الله معي**"، والمِعِيّةُ وردت، وهي قسمان: **معيّة عامة، ومعيّة خاصة**.

أ ـ معيّة عامة: لكل الخَلق،أي أنه مع كل الخلق بسمعه وبصره وعلمه وإحاطته ﷻ، قال تعالى:﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**﴾[الحديد:4].

ب ـ معيّة خاصة: وهي معية النصرة، ومعية التأييد، كما في قول الله تعالى

---

(1) ـ رواه البخاري (1145)، ومسلم (758).

لهارون وموسى:﴿**إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**﴾[طه:46].

فلا يصح أن نقول: "**ربنا وقف معي**".

سؤال: فإن قيل: المتكلم بهذا اللفظ "**ربنا وقف معي**" إذا كان يقصد المعية، ولم يأتِ على باله أنه قد وصف الله بما لم يثبُت، فهل يكون مخطئًا؟

الجواب: الناطق هذا قد أصاب من وجه، وأخطأ من وجه:

فقد أصاب من جهة المعنى، وأخطأ من جهة اللفظ.

س86: ما المقصود بالإخبار في باب الصفات؟

ج ـ المقصود بالإخبار عن الله: أنْ يُخبرَ عن الله بما لم يرد به النص، ولم يرد في أسمائه ولا صفاته.

مثال:(الموجود):هذا خبر عن الله، وهو ليس من الأسماء، ولكنه خبر عن الله.

مثال ـ (دليل الحائرين): فـ "الدليل": ليس من أسمائه تعالى، وإنما هو خبر عن الله، ولذلك: قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَد رَحِمَهُ اللَّهُ لِرَجُلٍ وَدَّعَهُ: قُلْ: **((يَا دَلِيلَ الْحَائِرِينَ دُلَّنِي عَلَى طَرِيقِ الصَّادِقِينَ وَاجْعَلْنِي مِنْ عِبَادِك الصَّالِحِينَ))** [1].

فهذا خبر عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأيضًا: (القديم): فهو خبر عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يقول ابن القيم:

((ويجب أن تَعلم هنا أمورًا: أحدها: أن ما يدخل في باب الإخبار عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته، كـ "الشيء" و"الموجود" و"القائم

---

[1] ـ مجموع الفتاوى، ابن تيميّة (483/22) ط (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد) السعودية.

بنفسه" فإنه يخبَر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العليا)) [1].

س87: ما ضابط الإخبار عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟

ج ـ ضابط الإخبار عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ما يلي:

أ ـ إما أن يتضمن معنًى حسنًا كـ (القائم بنفسه)، وإما ألا يتضمن المعنى حسنا ولا نقصا كـ (الشيء)، و(القديم)، و(الموجود)، لكن شرطه: **"ألا ينزل إلى درجة السوء، ولا يتضمن نقصًا"**.

ب ـ يحسُن في الإخبار عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما يجوز الإخبار به:-أن يكون عند الحاجة إلى ذلك ،كالرد على المبتدعة، أو التنزل عند المجادلة، أو تفسير معنى الصفة.....ونحو ذلك، وينبغي ألا يتوسع فيه الإنسان بما لا حاجة إليه، حتى ربما جرَّه ذلك إلى الإخبار بما لا يليق.

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

((يُفَرِّقُ بَيْنَ: دُعَائِهِ، وَالْإِخْبَارِ عَنْهُ، فَلَا يُدْعَى إلَّا بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى؛ وَأَمَّا الْإِخْبَارُ عَنْهُ: فَلَا يَكُونُ بِاسْمٍ سَيِّئٍ؛ لَكِنْ قَدْ يَكُونُ:(بِاسْمٍ حَسَنٍ)، أَوْ (بِاسْمٍ لَيْسَ بِسَيِّئٍ وَإِنْ لَمْ يُحْكَمْ بِحُسْنِهِ)، مِثْلَ: اسْمِ (شَيْءٍ) وَ(ذَاتٍ) وَ(مَوْجُودٍ))) [2].

س88: ما الفرق بين الصفة والخبر؟

ج ـ بين الصفة والخبر فوارقُ، منها:

---

(1) ـ بدائع الفوائد، ابن القيم (134/1) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

(2) ـ مجموع الفتاوى، ابن تيميّة (142/6) ط (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد) السعودية.

((الصفة))	((الخبر))
1 ـ توقيفية.	ليس توقيفيًا.
2 ـ بلغت الغايةَ في الكمال والحسن.	لا يُشترط فيه الدلالة على الكمال، لكن لا ينزل إلى النقص.
3 ـ يجوز الدعاء بها (يا ذا العزة أَعِزَّني، يا ذا العلم علِّمني).	فيه خلاف، فمن العلماء مَن جوَّزه ومنهم من منعه.
4 ـ باب الصفات أضيق من باب الأخبار.	باب الأخبار أوسع من باب الصفات.
5 ـ يجوز الاستغاثة بها؛ لأن الاستغاثة بها استغاثة بالله تعالى (أعوذ برضاك من سخطك...) (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث...)	لم ترِد _فيما نعلم_.
6 ـ يجوز القسم بها (لا وعِزَّتِكَ ما رأيتُ بؤسًا قطُّ.....)	لا يجوز القسم بالخبر.

س89: ما الاشتقاق؟

ج ـ لو وَرَدَ لله ﷻ فعلٌ من الأفعال -في نصوص القرآن أو السنة- فهل يجوز أن نشتق اسمًا لله ﷻ من هذا الفعل؟

أسئلة تتعلق بالأصل الثالث: ((كل اسم: يتضمن صفة))

س90: ما معنى هذا الأصل؟

ج ـ معناه: أن كل اسم من أسماء الله يتضمن صفة لله تعالى، فإذا ورد في النصوص الشرعية اسم من أسماء الله، فهذا الاسم يتضمن صفة.

تطبيق:

الرحمن: اسم من أسماء الله يتضمن صفة "**الرحمة**".

الملك: اسم من أسماء الله يتضمن صفة "**المُلْك**".

القيوم: اسم من أسماء الله يتضمن صفة "**القيومية**".

الحي: اسم من أسماء الله يتضمن صفة "**الحياة**".

العزيز: اسم من أسماء الله يتضمن صفة "**العزة**".

س91: أليس من الأنسب أن يكون هذا الأصلُ في باب الأسماء؟

ج ـ نعم: قد يكون وضعُه مع أصول الأسماء أنسب، ولكن ذكرناه هنا لأنه له عَلاقة بالصفات أيضًا.

سؤال: وما هذه العلاقة؟

الجواب:

أ ـ كل اسم من أسماء الله: يتضمن صفة.

ب ـ أسماء الله: أعلام، وأوصاف.

س92: ما معنى "أسماء الله: أعلام، وأوصاف"؟

ج ـ أعلام: باعتبار دلالتها على الذات.

أوصاف: باعتبار ما دلت عليه من معانٍ.

تطبيق:

أعلام: كما لو قلت: أنا أعبُدُ (الرحمن، العليم، العزيز، القدوس، القدير، الجبار الملك....إلخ).

فهذه الأسماء -وإن تعددت- هي علَمٌ على الذات المقدسة، الله ﷻ.

أوصاف: كما لو قلت:(اللهُ الرحمنُ، اللهُ العليمُ، اللهُ العزيزُ، اللهُ القدوسُ، اللهُ القديرُ، اللهُ الجبارُ ....إلخ).

فهذه الأسماء في هذا الموطن صارت أوصافًا لله ﷻ، وصار بين كل اسم تباينٌ.

خلاصة الكلام:

أسماء الله: أعلام، وأوصاف.

وهي مترادفة من حيث الدلالةُ على الذات، متباينة من حيثُ الدلالةُ على الصفات.

س93: ما المقصود بالترادف والتباين؟

ج ـ الترادف: هو ما اختلف لفظه واتفق معناه.

أي أن اللفظ مختلف والمعنى واحد.

مثال: كما لو قلت لك: (الأسَد، واللّيْث، والغَضَنْفَر، والقَسْوَرةُ، والسَبُعُ)، فكل هذه أسماء للحيوان المفترس المعلوم المعروف الذي يعدُو بِنابِهِ، فهي مختلفة اللفظ، متفقة المعنى، (وهذا هو الترادف).

كذلك أسماء السيف:(السيف، والحُسام، والصارم، والبَتّار)، فهذه أسماء لمسمًّى واحدٍ هو السيف، وهذا يسمى ترادفًا، فالألفاظ مختلفة لكن المعنى واحد.

التباين: هو ما اختلف لفظه ومعناه.

اللفظ مختلف والمعنى مختلف.

مثال: (الإسلام، والكفر)، (الشجرة، والفيل)، (الخشبة، والنار)، فهذه ألفاظ مختلفة من جهة اللفظ، ومن جهة المعنى.

فهي متباينة: في ألفاظها، وفي معانيها (وهذا هو التباين) [1].

س94: اذكر بعض الأدلة على أن أسماء الله: أعلام، وأوصاف.

ج ـ من الأدلة على الترادف والتباين في الأسماء:

أولًا: أسماء الله: أعلام من جهة الدلالة على الذات:

من دلائل ذلك:

قال الله ﷻ:﴿ **قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** ﴾ [الإسراء:110].

وجه الاستدلال: أن الله أمرنا بدعائه وعبادته، سواءٌ أدَعونا وعبَدنا الله، أمِ الرحمنَ، فلَهُ الأسماء الحسنى التي هي أعلام على ذات الله ﷻ.

فلو قلت: "يا اللهُ، اغفر لي! يا رحمنُ، اغفر لي! يا كريمُ، اغفر لي!" فأنت تعبد الله المعبود، وهذه دلالة على الترادف في ناحية الأسماء لدلالتها على

(1) ـ وهناك الاشتراك، وهو: (ما اتفق لفظه، واختلف معناه)، مثل: "العين" فيُطلق: على عين الماء، وعلى العين الباصرة، وعلى الجاسوس، فهذا لفظ واحد، والمعنى مختلف (هذا هو الاشتراك).

المعبود.

ثانيًا: أسماء الله: أوصاف من جهة ما تضمنته من معانٍ:

من دلائل ذلك:

((الدليل الأول)):

قال الله ﷻ:﴿**وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الأحقاف:8].

وقال ﷻ:﴿**وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ**﴾ [الكهف:58].

وجه الاستدلال: في آية قال: "الرحيم"، وفي الآية الأخرى قال: "ذو الرحمة"، فالرحيم -إذَن- هو ذو الرحمة، الرحيم: يتضمن صفة الرحمة.

((الدليل الثاني)):

قال الله ﷻ:﴿**وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ**﴾[الشورى:19].

قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾[الذاريات:58].

وجه الاستدلال: في آية قال: "القويّ"، و"القوي": يتضمن صفة القوة.

سؤال: ومن أين أتينا بذلك؟

الجواب: أنه قال في الآية الأخرى: "ذو القوّة"، فعَلِمنا أن القوي هو "**ذو القوة**" وعلمنا أن كل اسم: يتضمن صفة.

((الدليل الثالث)):

قال الله ﷻ:﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[الشورى:11].

وجه الاستدلال: أثبت الله لنفسه اسم السميع، وهو يتضمن صفة السمع.

سؤال: ومن أين أتينا بذلك أن (السميع) يتضمن صفة (السمع)؟

الجواب:

في قوله الله ﷻ:﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [المجادلة:1].

فهو السميع الذي يسمع، فالسميع: اسم يتضمن صفة السمع،

ولذلك قالت أمُّنا عائشة رضي الله عنها:((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتْ خَوْلَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْكُو زَوْجَهَا، فَكَانَ يَخْفَى عَلَيَّ كَلَامُهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [المجادلة:1]. الْآيَةَ)) [1].

((الدليل الرابع)):

قال الله ﷻ:﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾[نوح:10].

وجه الاستدلال: أنه أمَر بالاستغفار، ثم بيَّن أنَّه -تعالى- اسمُه الغفّار، وهو يتضمن صفة المغفرة، فهو الغفار الغفور الذي يغفر الذنوب، وإنما جاء الأمر بالاستغفار في الآية مقرونًا باسم الغفار لِبيانِ أن كل اسم: يتضمن صفة.

((الدليل الخامس)):

قال الله ﷻ:﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة:227].

وجه الاستدلال: لَمّا كان الطلاق لفظًا يُسمعُ، ومعنًى يُقصَدُ-عقَّبه ربُّنا سبحانه وتعالى باسم السميع، الذي يتضمن صفة السمع، والمقصود:- بأنه سميع للنطق، عليم للقصد، فهو سبحانه وتعالى سميع لهذا اللفظ، عليم بما في النية.

---

(1) ـ **صحيح:** رواه أحمد (24195)، والبخاري معلقًا، والنسائي (3460)، وابن ماجة (188).

((الدليل السادس)):

من النظر، واللغة: فقد أجمع أهل اللغة والعرف والعقل أنه لا يقال:

"عليم" إلا لِمَن له علمٌ، ولا يقال: "بصير" إلا لمن له بصر، ولا يقال: "قويٌّ" إلا لمن له قوة.

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على ما ذكرناه.

أسئلة تتعلق بالأصل الرابع:((وأنها غير مخلوقة))

س95: ما معنى "صفات الله: غير مخلوقة"؟

ج ـ معنى هذا الأصل: أن صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أزَلية أبَدية يتصف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها من الأزل، وهي ليست مخلوقة ولا محدَثة، فهي أزلية لا أوّلَ لها من جهة الأصل، لكنها تتجدد [1].

س96: اذكر بعض الأدلة على هذا الأصل.

ج ـ الأدلة على هذا الأصل (صفات الله: ليست مخلوقة):– كثيرة، منها:

((الدليل الأول)):

قال الله جَلَّ جَلَالُهُ:﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾[النحل:60].

وجه الاستدلال: سبق أن قلنا: إنَّ "المثل الأعلى" على وجه من وجوه التفسير يعني: "الوصف الأعلى".

ووجه الاستدلال من الآية: أن الوصف الأعلى هو الذي لا مثيل له، ولو كانت صفات الله مخلوقة لم يكُن له الوصف الأعلى؛ لأنه سيكون له مثيلٌ؛ لأن صفاتِه مخلوقة، والكائناتُ والمخلوقاتُ صفاتُهم مخلوقة، فلما كان لله المثل الأعلى علِمنا أن هذه الصفاتِ ليست مخلوقة؛ لأن الوصف الأعلى هو الذي لا مثيل له.

---

(1) ـ فمن صفات الله: ما هو قديم النوع حادث الأفرادِ والآحادِ ـكالصفات الفعليةـ.
والمقصود بقولنا: **"قديمة النوع"**: اعتبار أصل الصفة فهي "قديمة، أزلية".
والمقصود بقولنا: **"متجددة حادثة الأفراد"**: اعتبار آحاد الصفة وحدوثها في وقت معين.

((الدليل الثاني)):

قال الله ﷻ: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ [الروم:27].

وجه الاستدلال: كسابقه.

((الدليل الثالث)):

قال الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:11].

وجه الاستدلال: القول بأن صفاته مخلوقة فيه تكذيب لهذا الخبر؛ لأنه لو كانت صفاته مخلوقة لكانت مثل صفات المخلوقين من هذه الجهة.

((الدليل الرابع)):

أدلة فيها جواز الاستعاذة بصفات الله ﷻ، ولو كانت صفاتُ الله مخلوقة لَمَا جاز صرفها للمخلوق على وجه التعبد، ولَمَا جاز التعوذ بالمخلوق [1]، ومن ذلك:

أ ـ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: سَمِعْتُ خَوْلَةَ بِنْتَ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةَ رضي الله عنها، تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **((مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ))** [2]

---

(1) ـ لأن الاستعاذة عبادة، و"كلُّ عمل ثبت بالشرع أنه عبادة: صرفُهُ لله: توحيد، وصرفُهُ لغير الله على الوجه الذي لا يليق إلا بالله: هو من الشرك الأكبر".

((تنبيه)):

قيدنا بقولنا: "على الوجه الذي لا يليق إلا بالله"؛ لأن من العبادات: ما يجوز صرفها لغير الله لا على وجه التعبد، وإنما من باب التعاون على البر والتقوى والأخذ بالأسباب التي أمر الله بها، بشروط وقيود (حيّ، حاضر، قادر).

(2) ـ رواه مسلم (2708).

ب ـ عَنْ جابِرٍ رضي الله عنه، قالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾[الأنعام: 65]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((أَعُوذُ بِوَجْهِكَ))، قَالَ: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾[الأنعام: 65]، قَالَ: ((أَعُوذُ بِوَجْهِكَ)) ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: 65] قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((هَذَا أَهْوَنُ)) أَوْ ((هَذَا أَيْسَرُ)) [1].

((الدليل الخامس)):

أدلة فيها جواز الحَلِف بالصفات، ولو كانت الصفات مخلوقة لَمَا جاز الحلف بالمخلوق، ومن ذلك:

أ ـ الحديث الطويل، حديث (آخر أهل النار دخولًا الجنة)، وفيه:

((.....يَا رَبِّ، اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا فَيَقُولُ هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فُعِلَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي اللَّهَ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الجَنَّةِ، رَأَى بَهْجَتَهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ قَدِّمْنِي عِنْدَ بَابِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ العُهُودَ وَالمِيثَاقَ أَن لا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ؟ فَيَقُول: يَا رَبِّ لاَ أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ، لاَ أَسْأَلُ غَيْرَ ذَلِكَ، فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا، فَرَأَى زَهْرَتَهَا، وَمَا فِيهَا مِنَ

---

(1) ـ رواه البخاري (4628).

النَّضْرَةِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، فَيَقُولُ :يَا رَبِّ، أَدْخِلْنِي الجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللَّهُ :وَيْحَكَ يَا بْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ، أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ العُهُودَ وَالمِيثَاقَ أَن لاَ تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لاَ تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ،فَيَضْحَكُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ،ثُمَّ يَأْذَنُ لَهُ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ فَيَقُولُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ أُمْنِيَّتُهُ، قَالَ اللَّهُ –عَزَّ وَجَلَّ–: "مِنْ كَذَا وَكَذَا"، أَقْبَلَ يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ، حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ قَالَ اللَّهُ –تَعَالَى: لَكَ: ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ)) [1].

فأقسم بعزة الله ﷻ، وأقره الله.

ب ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:((بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ لاَ غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ)) [2].

فأقسم نبي الله أيوب ﷺ بعزة الله.

ج ـ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:((يُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ كَانَ بَلَاءً فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: اصْبُغُوهُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ فِيهَا صَبْغَةً، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: يَا بْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ، أَوْ شَيْئًا تَكْرَهُهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَكْرَهُهُ قَطُّ، ثُمَّ يُؤْتَى بِأَنْعَمِ النَّاسِ كَانَ فِي

---

(1) ـ رواه البخاري (806)، ومسلم (301).

(2) ـ رواه البخاري (279).

الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيَقُولُ: اصْبُغُوهُ فِيهَا صَبْغَةً، فَيَقُولُ: يَا بْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ قُرَّةَ عَيْنٍ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، مَا رَأَيْتُ خَيْرًا قَطُّ، وَلَا قُرَّةَ عَيْنٍ قَطُّ)) [1].

د ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه : قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم :((لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ وَعِزَّتِكَ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ)) [2].

فأقسمت النار بعزة الله سبحانه وتعالى.

فهذه الأدلة فيها جواز الحلف بصفات الله سبحانه وتعالى، ولو كانت مخلوقة لَمَا جاز الحلف بها؛ لأن الحلف بغير الله شرك كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم :

أ ـ عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنه سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: لَا وَالكَعْبَةِ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: لَا يُحْلَفُ بِغَيْرِ اللَّهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ)) [3].

ب ـ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ:((مَنْ قَالَ فِي حَلِفِهِ: "وَاللَّاتِ، وَالعُزَّى" فَلْيَقُلْ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ")) [4].

((الدليل السادس)):

كل دليل فيه أن الأسماء ليست مخلوقة: هو دليل على أن الصفات ليست

---

(1) ـ رواه أحمد (13660)، ومسلم (2807).

(2) ـ رواه البخاري (6661)، ومسلم (2848).

(3) ـ **صحيح**: رواه أبو داود (3251).

(4) ـ صحيح: رواه الترمذي (1535).

مخلوقة، ومن ذلك:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ –بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ– أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ: رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي" إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا**))، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ:((**بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا**)) [1].

---

(1) ـ **صحيح:** رواه أحمد (3712)، وابن حبان (927).

وقد تكلم بعضهم في هذا الحديث، والصواب ثبوته، وقد حقق ذلك الإمام الألباني ــرحمه الله ــ في كلام نفيس، أحببت أن أذكره بتمامه:

قال الإمام -رحمه الله ــ:((رواه أحمد (3712) والحارث بن أبي أسامة في مسنده (ص 251 من زوائده) وأبو يعلى (ق 156 / 1) والطبراني في " الكبير " (3 / 74 / 1) وابن حبان في " صحيحه " (2372) والحاكم (1 / 509) من طريق فضيل بن مرزوق حدثنا أبو سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فذكره.

وقال الحاكم: "حديث صحيح على شرط مسلم، إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه، فإنه مختلف في سماعه من أبيه".

وتعقبه الذهبي بقوله: "قلت: وأبو سلمة لا يدري من هو ولا رواية له في الكتب الستة".

قلت: وأبو سلمة الجهني ترجمه الحافظ في "التعجيل" وقال:" مجهول. قاله الحسيني. وقال مرة: لا يدري من هو.

وهو كلام الذهبي في"الميزان"، وقد ذكره ابن حبان في " الثقات "، وأخرج حديثه في " صحيحه "، وقرأت بخط الحافظ بن عبد الهادي: يحتمل أن يكون خالد بن سلمة.

قلت: وهو بعيد لأن خالدا مخزومي وهذا جهني ".

قلت: وما استبعده الحافظ هو الصواب، لما سيأتي، ووافقه على ذلك الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى في تعليقه على المسند (5 / 267) وأضاف إلى ذلك قوله:

"وأقرب منه عندي أن يكون هو " موسى بن عبد الله أو ابن عبد الجهني ويكنى أبا سلمة، فإنه من هذه الطبقة ". =

وجه الاستدلال: "سميتَ به نفسك" فأسماء الله سمى الله بها نفسه، فهي ليست مخلوقة، وكل اسم يتضمن صفة، فإذا كان الاسم ليس مخلوقًا، فما يتضمنه من صفة :- ليس بمخلوق.

((الدليل السابع)):

أن الصفة تابعة للموصوف، فإذا كان الموصوف مخلوقًا فالصفة مخلوقة، وإذا لم يكن الموصوف مخلوقًا فالصفة ليست مخلوقة.

فالكلام في الصفات -إذن- فرع [1] على الكلام في الذات.

((الدليل الثامن)):

صفات الله ﷻ هي صفات كمال، ونُعوتُ جلال، ومَن زعم أنها مخلوقة مُحْدثة يلزمه أن الله ﷻ لم يتصف بهذه الصفات في وقت، وفَقْدُ صفاتِ الكمال في وقت:- فيه نقص. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا! ولازمه أنه قد حصل له الكمال بعد أن كان غير متصف به، وهذا نقص ينزَّه ربنا ﷻ عنه.

س97: وهل يجوز الحلف بكل صفات الله؟

= قلت: وما استقر به الشيخ هو الذي أجزم به بدليل ما ذكره، مع ضميمة شيء آخر وهو أن موسى الجهني قد روى حديثا آخر عن القاسم بن عبد الرحمن به، وهو الحديث الذي قبله فإذا ضمت إحدى الروايتين إلى الأخرى ينتج أن الراوي عن القاسم هو موسى أبو سلمة الجهني، وليس في الرواة من اسمه موسى الجهني إلا موسى بن عبد الله الجهني وهو الذي يكنى بأبي سلمة وهو ثقة من رجال مسلم، وكأن الحاكم رحمه الله أشار إلى هذه الحقيقة حين قال في الحديث " صحيح على شرط مسلم... "فإن معنى ذلك أن رجاله رجال مسلم ومنهم أبو سلمة الجهني ولا يمكن أن يكون كذلك إلا إذا كان هو موسى بن عبد الله الجهني. فاغتنم هذا التحقيق فإنك لا تراه في غير هذا الموضع. والحمد لله على توفيقه.
السلسلة الصحيحة (383/1 – 384) حديث رقم:(199) ط (مكتبة المعارف) الرياض.

(1) ـ المقصود: الكلام في الصفات، كالكلام في ذات الله؛ لأن الصفة تقوم بالذات.

ج - **نقول**: اتفق العلماء على جواز الحلف بصفات الله ﷻ في الجملة، وأن اليمين تنعقد بها، لكنهم اختلفوا في الصفات التي يجوز القسَم بها على أقوال:

القول الأول:

أنه يجوز الحلف بكل صفات الله ﷻ.

وهذا مذهب أكثر أهل العلم، وهذا قول عند المالكية، وقال به الشافعي، والحنابلة.

والقول الثاني:

أنه يجوز الحلف بصفات الذات دون صفات الفعل.

وهذا قول للحنفية، وقول عند المالكية.

القول الثالث:

أنه يجوز الحلف بما جرى به العرف.

وهذا الأصح عند المالكية.

والراجح في نظري -والعلم عند الله تعالى- هو مذهب الجمهور، وأنه يجوز الحلف بكل صفات الله ﷻ، وقد فصلنا الكلام في هذه المسألة بدلائلها في غير هذا الموضع [1].

تنبيه: قد قلنا بجواز الحلف بكل صفات الله، لكن على المسلم ألا يأتي بأشياء مستغربة عند الناس ويقولها وينثرها أمامهم، من باب: (خاطِبوا الناس على

(1) ـ في شرحنا لـ "مسائل وأصول تفصيلية في توحيد الألوهية"، يسَّر الله نشره وظهوره، وقد ذكرنا هذه المسألة بأدلتها ومذاهب العلماء فيها، والله الموفِّق.

قدر عقولهم).

س98: هناك نصوص تدل على أن صفات الله مخلوقة، ومن ذلك:حديث:
((إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً....))

وفي رواية:**((إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ...))، فهذه النصوص في الصحيح قد يُفهم منها أن رحمة الله مخلوقة، فكيف الجواب عن ذلك؟**

ج - هناك نصوص تدل على ذلك كما في الصحيح:

أ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: **((إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْأَسْ مِنَ الجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ المُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ العَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ))** [1].

ب - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: **((إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))** [2].

ففي هذه النصوص:خلق الله الرحمة مائة جزءٍ: جزء يتراحم به الخلائق، وتسعة

---

(1) ـ رواه البخاري (6469).
(2) ـ رواه مسلم (2752).

وتسعون عند الله يرحم به العباد، فهذه دلالة على أن رحمة الله ﷻ مخلوقة.

واجلواب عن ذلك:

أن نقول –بعون الله–: الرحمة المضافة إلى الله ﷻ ليست نوعًا واحدًا، وإنما نوعان:

أ ـ رحمة مخلوقة.

ب ـ رحمة هي صفة لله ﷻ.

فالإضافةُ –إذن– إلى الله إضافةُ صفة لموصوف، ومخلوق لخالقه، –وسيأتي الكلام على ذلك بالتفصيل في أصلٍ مستقل– وإليك مثالًا على ذلك:

الرحمة المخلوقة (إضافة مخلوق لخالقه):

أ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

((تَحَاجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الجَنَّةُ: مَا لِي لاَ يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ؟ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا)) [1].

وفي رواية:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قال: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **((اخْتَصَمَتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَى رَبِّهِمَا، فَقَالَتِ الجَنَّةُ: يَا رَبِّ، مَا لَهَا لاَ يَدْخُلُهَا إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ؟ وَقَالَتِ النَّارُ يَعْنِي: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، فَقَالَ اللَّهُ –تَعَالَى–**

---

[1] ـ رواه البخاري (4850)، ومسلم (2846).

لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي، أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا)) (1).

وفي رواية:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((**احْتَجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ، وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتْ هَذِهِ: يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِهَذِهِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ -وَرُبَّمَا قَالَ: أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ- وَقَالَ لِهَذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا**)) (2).

"**قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي**" والجنة: مخلوقة، فهذه رحمة مخلوقة أضيفت إلى الله سبحانه وتعالى من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، وسماها ربنا سبحانه وتعالى: "رَحْمَتَهُ"، وأضافها إلى نفسه من باب الملكية؛ لأنه خالقُها، ومن باب التشريف لهذه الجنة ولمن يدخلها.

وكذلك من جنس إضافة المخلوق لخالقه:

قول الله جل جلاله:﴿**وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً**﴾ [هود:9].

"**رَحْمَةً**" **أي**: رخاء وسعةً في الرزق والعيش، فبسطنا عليه من الدنيا (3).

ومنه: تسمية المطر رحمةً، كما في قول الله تعالى:

---

(1) ـ رواه البخاري (7449).

(2) ـ رواه مسلم (2846).

(3) ـ تفسير الطبري (329/6) ط (دار الحديث) القاهرة.

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾[الفرقان:48].

"رحمتِهِ" **أي**: المطر.

فأضاف المطر إلى نفسه على أنه رحمة، لكن هذه رحمة مخلوقة، أضيفت إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من باب التشريف، وأضيفت إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من باب إضافة المخلوق إلى خالقه في هذا الباب.

الرحمة غير المخلوقة (رحمة هي صفة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ):

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ:

((يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ)) [1].

"**برحمتك أستغيث**":(برحمتك): هذه صفة من صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذه الرحمة مُضَافة إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-، لكنها إضافة صفة إلى موصوف.

خلاصة الكلام:

النصوص التي فيها "**خلق الله الرحمة**": المقصود فيها: الرحمة المضافة إلى الله، خلقًا، وتشريفًا، لا الرحمة التي هي صفة لله.

---

(1) ـ **حسن:** رواه الترمذي (3524)، وابن السُّنِّيّ في "عمل اليوم والليلة" (337).

أسئلة تتعلق بالأصل الخامس: ((وأنها تثبت بخبر الواحد))

س99: ما معنى هذا الأصل "وأنها تثبت بخبر الواحد "؟

ج ـ معناه أن نصوص الصفات تثبت بخبرِ الآحاد أو خبرِ الواحد، ولا يشترط في ثبوت الصفات أن تثبت بخبر متواتر.

س100: ما أقسام الأخبار باعتبار عدد الرواة؟

ح ـ الأخبار من حيث عدد الرواة تنقسم قسمين:

القسم الأول: خبر الآحاد، أو خبر الواحد.

القسم الثاني: الخبر المتواتر.

س101: ما تعريف الخبر المتواتر وشروطه؟

ج ـ التواتر لغةً: التتابع (1)، قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾[المؤمنون:44].

الخبر المتواتر اصطلاحًا: ما رواه جمع عن جمع، في كل طبقة من طبقات السند، تُحِيلُ العادةُ أو يُحيلُ العقلُ تواطُؤَهُم على الكذب، ويكون مستند خبرِهم: الحسَّ.

وهذا التعريف يتضمن شروطًا للخبر المتواتر:

الشرط الأول:

"هو ما رواه جمعٌ عن جمع"

فلا يكفي فيه رواية الرجل الواحد؛ كحديث:

((إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى....)) (2).

---

(1) ـ المصباح المنير، الفيومي (صـ 384) ط (دار الحديث) القاهرة.

(2) ـ رواه البخاري (1)، ومسلم (1907).

هذا حديث قاله النبي ﷺ وتفرد به من أصحاب النبي ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتفرَّد به عن عمر: علقمة بن أبي وقاص الليثي، وتفرد به: محمد بن إبراهيم التيمي عن علقمة، وتفرد به يحيي بن سعيد عن محمد بن إبراهيم التيمي، ورواه عن يحيي بن سعيد عدد كثير.

والمقصود من شرط المتواتر: أن يرويه جمع عن جمع.

سؤال: ما الحد الفاصل في هذا الجمع؟

هذا فيه خلاف بين أهل العلم:

فمن العلماء من قال: إن التواتر يكون باثنينِ مِن عُدول، ثقاتٍ، أثباتٍ. **ومن العلماء مَن قال**: "**أربعة فما فوقَ**"؛ قياسًا على: (الشهود على حد الزنا).

ومن العلماء من قال: "**خمسة**" اعتبارًا لعدد اللِّعان.

ومن العلماء من قال: العدد المعتبر في التواتر: "**عشرة**".

ومن العلماء من قال: "**سبعون**"؛ لقوله جل جلاله:﴿**وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا**﴾ [الأعراف:155].

وقيل غيرُ ذلك في هذا الباب، وكلٌّ له دليله في الباب.

ومن العلماء من قال: إنه لا حد للتواتر، بمعنى أنه لا عددَ يُحَدُّ ويُضبَطُ به التواتر،بل متى حدث القطع فهو ذاك، ولا يشترط في ذلك العددُ، فمتى حدث القطع واليقين بعشرة، أو بخمسة عشر،أو بثمانية، أو بأربعة، وأصبح هذا الخبر متواترًا أفاد القطع واليقين فيكون هذا متواترًا ولا يُشترط عدد معين.

وهذا القول قال به كثير من العلماء، فهو قول الجمهور [1] وفيه ما فيه من

---

(1) ـ الفتاوى الكبرى، ابن تيمية (81/5) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

القوة ولعلَّه أرجح الأقوال.

((الشرط الثاني)):

"أن يكون التواتر أي العدد الذي يحدث به التواتر:- في كل طبقات الإسناد، والعبرةُ بأقلِّه".

فلو روى هذا الحديث عن النبي ﷺ عشرون صحابيًّا، ورواه عن الصحابة عشرة، وعن العشرة رواه خمسة، وعن الخمسة رواه واحد أو اثنان، فالعبرة والحكم على الحديث بكونه متواترًا أو آحادًا في هذا الباب: بأقل طبقةٍ من طبقات السند، ويكون هذا الحديث: من خبر الآحاد.

((الشرط الثالث)):

"تُحيلُ العادةُ التواطُؤَ على الكذب"

فلو كانت العادة لا تُحيل التواطُؤَ على الكذب لم يكُن هذا الحديث متواترًا، قد يكون عددًا كثيرًا، وهو طبقة واحدة، لكن العادة لا تُحيل التواطؤَ على الكذب.

مثال:

لو أن ثلاثين شابًّا يستهزئون بالناس، ومرَّ عليهم رجل أراد أن يذهب إلى المسجد، فقالوا له: "لا تذهبْ لأن المسجد يحترق"، هؤلاء عدد كبير، لكن العادة لا تُحيل التواطؤَ على الكذب، قد يفعلون ذلك على سبيل المداعَبة، هذا كذبٌ،فهذا الخبر لا يكون متواترًا،فلا بد أن تُحيل العادةُ التواطؤَ على الكذب.

((الشرط الرابع)):

"أن يكون مستنَدُ خبرِهم: الحِسَّ".

يكون مستند هذا الخبر المتواتر: إحدى الحواسِّ: (الرؤية، السمع، اللمس)؛ لأن الخبر قد يرويه جمعٌ عن جمع، والعادة تُحيل التواطؤَ على الكذب، لكن قد يقع في هذا الخبر الخطأُ؛ كنظرية (دَرْوِنْ) في أن التطور يحدث للإنسان، وأن الإنسان أصلُه القردُ...وما شابه ذلك، فهذا تتابَع عليه الناس، وهو خطأ فادح، نعم إنهم عدد كبير ورغم ذلك تتابعوا على هذا الخطأ والخلل؛ لأن مستند هذا الأمر ما هو إلا ظنٌّ كاذب.

وهذا بالنسبة للخبر المتواتر.

س102: ما أقسام الخبر المتواتر؟

ج ـ الخبر المتواتر ينقسم أقسامًا:

أ ـ المتواتر اللفظي. **ب ـ المتواتر المعنوي.**

المتواتر اللفظي:

هو **"ما تواتر لفظه ومعناه"**

فالرواة الذين بلغوا حد التواتر قد اتفقوا على رواية الخبر لفظًا ومعنى [1].

فيتواتر بـ: اللفظ، والمعنى، ومن ذلك:

---

(1) ـ فريق من العلماء يُدخل في المتواتر اللفظي: ما يسمونه "تواتُر الواقعة الواحدة"، وإن جاء التعبير عنها بألفاظ مترادفة وأساليبَ متعددةٍ، ما دامت الروايات قد اتفقت جميعًا على أصل الواقعة الواحدة، وهذا إلحاق بـ: المتواتر اللفظي؛ لأن الواقعة الواحدة قد تتعدد، فمثلًا: رواة ينقلون لنا شيئًا عن غزوة من الغزوات، تباينت أو اختلفت ألفاظهم؛ لكن أصل الواقعة ثابت في هذه الروايات المتعددة فإنهم، يلحقونه بالمتواتر اللفظي، وهذا قول بعض العلماء.

وهناك من قال: إن المتواتر اللفظي هو أن يكون قد ورد باللفظ المحدد بدون تغيير أو تبديل عند الرواة جميعًا.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

((مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)) [1].

فهذا الحديث رواه عن رسول الله ﷺ أكثر من اثنين وسبعين صحابيًّا، ورواه عنهم جمع غفير لا يمكن أن نحصرهم، فهذا الحديث تواتَر لفظًا ومعنًى.

المتواتر المعنوي:

هو **"ما تواتر معناه دون لفظه"**

أي: أتى المعنى متواترًا، لكن اللفظ ليس متواترًا.

كأن يتفق الرواة جميعًا على أصل المعنى مع اختلاف الوقائع وتعددها ــولم تبلغ الوقائع بأفرادها حدَّ التواترــ لكنّ القدر المشترك بين هذه الوقائع جميعًا قد تعدَّد بتعدد الوقائع؛ فيكون التواتر حينئذٍ تواترًا معنويًّا،

ومن صور ذلك:

أحاديث رفع اليدين في الدعاء، هذا جاء متواترًا من جهة المعنى لا من جهة اللفظ، في وقائعَ متعددة، منها:

أ - أحاديث رفع يديه في دعاء القنوت.

ب - جاء عند المقبرة في البَقيع ورفع يديه ثلاثًا وهو يدعو لأهل البقيع.

ج - رفع يديه في الاستسقاء.

د - في دعائه في ليلة غزوة بدر.

هـ - رفع يديه وقال: "اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالدٌ"

([1]) ـ رواه أحمد (11942)، والبخاري (108)، ومسلم (2)، والترمذي (2661)، وابن ماجة (32).

و - في فتح مكة رفع يده وجعل يحمدُ الله ويدعو.

ز - رفع يديه لما دعا لعثمان

ح - في الكسوف.

ك - مع أسامة بعرفاتٍ لما سقط خطام الناقة.

وغير تلك من المواضع والمواطن.

ل - وورد كذلك في أدلة قولية:

قال رسول الله ﷺ: **((إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ -إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ- أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا))** [1].

قال أبو هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ:

((...ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: "يَا رَبِّ، يَا رَبِّ"، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!)) [2].

وجملة القول: أن أحاديث رفع اليدين في الدعاء قد ورد فيها عن النبي ﷺ قرابة مئة حديث، حتى جمعها السيوطي في جزء سماه:

"فضُّ الوعاء في أحاديث رفع اليدين في الدعاء"

س103: ما حكم الخبر المتواتر؟

ج - اختلف العلماء في ذلك على قولين:

---

(1) - **صحيح:** رواه أحمد (23714)،وأبو داود (1488)،والترمذي (3556)،وابن ماجة (3865)،وابن حبان (876).

(2) - رواه أحمد (8348)، ومسلم (1015)، الترمذي (2989).

القول الأول:

الخبر المتواتر يفيد العلم أي: **"اليقين"**

أي: يجب تصديقه ضرورة؛ لأنه قطعي الثبوت، وهذا قول الجمهور.

القول الثاني:

ومن العلماء من قال: يفيد الظن.

والحق هو قول الجمهور.

فالخبر المتواتر قطعي الثبوت، يفيد اليقين.

س104: اذكر تعريف خبر الآحاد؟

ج ـ **الآحاد لغةً**: الواحد، والانفراد (1).

وخبر الواحد لغةً: هو ما يرويه شخص واحد.

تعريف خبر الواحد اصطلاحًا: هو ما لم يجمع شرط المتواتر.

س105: ما حكم الخبر الآحاد؟

ج ـ الأصل في خبر الواحد أنه لا يفيد العلم واليقين ،وإنما يفيد الظن.

وقال كثير من أهل العلم: إذا أحاطت بخبر الواحد القرائن فقد يفيد العلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة:

((وَلِهَذَا كَانَ الصَّحِيحُ: أَنَّ خَبَرَ الْوَاحِدِ قَدْ يُفِيدُ الْعِلْمَ إذَا احْتَفَّتْ بِهِ قَرَائِنُ تُفِيدُ الْعِلْمَ.

---

(1) ـ لسان العرب، ابن منظور، مادة: "وحد" (235/9) ط (دار الحديث) القاهرة.

وَعَلَى هَذَا فَكَثِيرٌ مِنْ مُتُونِ الصَّحِيحَيْنِ مُتَوَاتِرُ اللَّفْظِ عِنْدَ (أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ) وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْ غَيْرُهُمْ أَنَّهُ مُتَوَاتِرٌ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَكْثَرُ مُتُونِ الصَّحِيحَيْنِ: مِمَّا يَعْلَمُ عُلَمَاءُ الْحَدِيثِ عِلْمًا قَطْعِيًّا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَهُ؛ تَارَةً لِتَوَاتُرِهِ عِنْدَهُمْ وَتَارَةً لِتَلَقِّي الْأُمَّةِ لَهُ بِالْقَبُولِ. وَخَبَرُ الْوَاحِدِ الْمُتَلَقَّى بِالْقَبُولِ: يُوجِبُ الْعِلْمَ عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ، وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ أَصْحَابِ الْأَشْعَرِيِّ كالإسفراييني وَابْنِ فورك؛ فَإِنَّهُ -وَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ لَا يُفِيدُ إلَّا الظَّنَّ- لَكِنْ لَمَّا اقْتَرَنَ بِهِ إجْمَاعُ (أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ) عَلَى تَلَقِّيهِ بِالتَّصْدِيقِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ: إجْمَاعِ (أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْفِقْهِ) عَلَى حُكْمٍ مُسْتَنِدِينَ فِي ذَلِكَ إلَى ظَاهِرٍ أَوْ قِيَاسٍ أَوْ خَبَرِ وَاحِدٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ الْحُكْمَ يَصِيرُ قَطْعِيًّا عِنْدَ الْجُمْهُورِ وَإِنْ كَانَ بِدُونِ الْإِجْمَاعِ لَيْسَ بِقَطْعِيِّ؛ لِأَنَّ الْإِجْمَاعَ مَعْصُومٌ، فَأَهْلُ الْعِلْمِ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ: لَا يُجْمِعُونَ عَلَى تَحْلِيلِ حَرَامٍ وَلَا تَحْرِيمِ حَلَالٍ، كَذَلِكَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ، لَا يُجْمِعُونَ عَلَى التَّصْدِيقِ بِكَذِبِ وَلَا التَّكْذِيبِ بِصِدْقِ. وَتَارَةً يَكُونُ عِلْمُ أَحَدِهِمْ لِقَرَائِنَ تَحْتَفُّ بِالْأَخْبَارِ تُوجِبُ لَهُمْ الْعِلْمَ، وَمَنْ عَلِمَ مَا عَلِمُوهُ حَصَلَ لَهُ مِنْ الْعِلْمِ مَا حَصَلَ لَهُمْ)) [1].

س106: من أول من قسم الأحاديث إلى: آحاد، ومتواتر؟

ج - أول من قسم هذا التقسيم: أهل البدع، من الجهمية، والمعتزلة، ومَن وافقهم من أهل الكلام؛ من أجل طرح النصوص الصحيحة في باب العقائد، أو النصوص الثابتة في باب العقائد، لا سيما في باب الصفات؛ لأن غالب نصوص السنة: من أخبار الآحاد، ولما عَسُر عليهم طرح هذه النصوص لجَؤوا

(1) ـ الفتاوى الكبرى، ابن تيميّة (81/5) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

لهذا التقسيم وقالوا:

"هذا خبر آحاد، وخبر الآحاد لا يُعمل به في باب الاعتقاد"!!

س107: هل تقسيم الأحاديث إلى: آحاد، ومتواتر:– تقسيم بدعيٌّ؟

بعض العلماء المعاصرين أشاروا إلى أن هذا التقسيم محدَث بدعيٌّ وإلى أن أولَ مَن أحدثه هم أهل الكلام فلا يجوز استعماله.

وهذا الكلام ليس بسديد، وفيه نظرٌ، وقائله مصيب ومخطئ.

وإليك بيان ذلك:

رغم أن هذا المصطلح أولُ من استحدثه أهل البدع، إلا أنه قَبِلَه العلماء، وقد تلقَّوه بالقبول من جهة كونه تقسيمًا اصطلاحيًّا بعيدًا عن مآرِبِ أهل البدع ومَشاربهم، والتفريقِ في العمل بين القسمين، بل ذكروه في كتبهم ونصُّوا عليه.

وكان الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يطلق على الخبر المتواتر: "خبر العامة"

ويطلق على الآحاد: "خبر الخاصة".

يقول الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

((ولو جاز لأحد من الناس أنْ يقول في علم الخاصة: "أَجْمَعَ المسْلِمُونَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا عَلَى تَثْبِيتِ خَبَرِ الوَاحِدِ وَالانْتِهَاءِ إِلَيْهِ" –بِأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ مِنْ فُقَهَاءِ المسْلِمِيْنَ أَحَدٌ إلّا وَقَدْ ثَبَّتَهُ– جَازَ لِي....)) [1].

والإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بوب في صحيحه: ((**بَابُ: مَا جَاءَ فِي إِجَازَةِ خَبَرِ الوَاحِدِ الصَّدُوقِ فِي**

(1) ـ الرسالة، الإمام الشافعي (صـ 457) رقم: (1248) ت: شاكر، ط الأولى (مطبعة مصطفى الحلبي) مصر.

الأَذَانِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ وَالفَرَائِضِ وَالأَحْكَامِ)).

وذكر في هذا الباب خمسة عشر حديثًا.

وورد أيضًا عن:

((أحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام، وابن أبي عاصم، ومحمد بن نصر... وغيرهم)).

ومما سبق يتبين:

أن مَن أشار إلى بدعية التقسيم قد أصاب، وأخطأ:

أصاب من جهة الأصل، حيث إن التقسيم محدَث، وأوّلَ مَن أحدثه: الجهمية، والمعتزلة.

وأخطأ في غالب الكلام، فالتقسيم لا يُعَدُّ في الجملة تقسيمًا بدعيًّا؛ لأن العلماء قد تلقَّوه بالقبول من جهة كونه تقسيمًا اصطلاحيًّا، بعيدًا عن مآرب أهل البدع ومَشاربهم، وبعيدًا عن التفريق في العمل بين القسمين.

س108: ما معنى هذا الأصل (وأنها تثبت بخبر الواحد)؟

ج - معنى هذا الأصل: أن أخبار الآحاد الثابتة عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حجةٌ مقبولة في نصوص الصفات على سبيل الخصوص، وفي مسائل الاعتقاد على سبيل العموم.

س109: ما حكم القول بعدم ثبوت الصفات بخبر الواحد؟ وما حكم التفريق في العمل بين خبر الواحد والخبر المتواتر في العقائد عمومًا؟

ج - التفريق في الاحتجاج في باب العقائد وباب العبادات بين خبر الواحد

والخبر المتواتر :- قولٌ مبتدَع مخالف لطريقة السلف، ومخالف لكثير من النصوص الشرعية.

س110: ما الدليل على هذا الأصل (وأنها تثبت بخبر الواحد)؟

ج ـ ثمةَ الكثير من الأدلة على هذا الأصل، ومن ذلك:

((الدليل الأول)):

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر:7].

وجه الاستدلال: الأمر بالأخذ بما جاء عن الرسول ﷺ، و(ما): من صيغ العموم، فيشمل هذا: المتواتر، والآحاد.

فخُذوه، واعمَلوا به.

((الدليل الثاني)):

قال الله ﷻ:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات:6].

وجه الاستدلال: مفهوم المخالفة من هذه الآية: إنْ جاءكم العدل الثقة فلا تتبيَّنُوا، وإن جاءكم العدل فاقبلوا خبره.

((الدليل الثالث)):

قال الله ﷻ:﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾[التوبة:122].

وجه الاستدلال: الطائفة تطلق على: الواحد، وما فوقَ، وهذا معلوم مشهور

في اللغة (1)، وقد ورد عن بعض أصحاب النبي ﷺ -كابن عباس رضي الله عنهما- في قول الله جل جلاله:﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:2] أنه قال: ((الطَّائِفَةُ الرَّجُلُ فَمَا فَوْقَ)) [2].

وورد أيضًا عن جماعة من السلف (3).

والنذارة هنا على عمومها في، المسائل العلمية (الاعتقادية)، والمسائل العملية.

((الدليل الرابع)):

قال الله جل جلاله:﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:43].

وجه الاستدلال: أمر الله بسؤال أهل العلم عند الجهل [4]، والسؤال: قد يكون في أمر عقديٍّ، والمسؤول قد يكون فردًا واحدًا، ويُقبل خبره، ويَلزم العملُ به.

((الدليل الخامس)):

عن أَبِي مَعْبَدٍ، مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما يَقُولُ: لَمَّا

([1]) ـ انظر تفسير الطبري (342/8) ط (دار الحديث) القاهرة.

([2]) ـ تفسير ابن أبي حاتم، رقم: (14109).

([3]) ـ ورد وثبت عن:(مجاهد، حماد، وإبراهيم) انظر: "تفسير الطبري (340/8 – 341)، الآثار رقم: (25760 : 25768)، وقد ورد أيضًا عن (عكرمة، وقتاد) في تفسير ابن أبي حاتم.

([4]) ـ ولا يُعارَض هذا الاستدلال بأنَّ جمهور المفسرين حملوا "أهل الذكر" على: **"أهل الكتاب"** وقالوا: إن المقصودَ سؤالُ المشركين أهلَ الكتاب الذين آمنوا ليَعلموا صدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

فأقول -بعون الله-: في كل الأحوال، الاستدلال بالآية صحيح، وبرهان ذلك:

أ ـ حملُها على قول جمهور المفسرين فيه دلالة على العمل بخبر الواحد في باب العقائد، وهو ظاهرٌ.

ب ـ ولو سلّمنا -تنزلًا- بأنها خاصة بأهل الكتاب وسؤال المشركين إياهم، فجوابه: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وبالله التوفيق.

بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ اليَمَنِ قَالَ لَهُ:

((إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ))[1].

وجه الاستدلال: معاذ ــرضي الله عنهــ: هذا واحد، وسيذهب يُعلِّم الناس العقيدة، وهو حجة عليهم في هذا الباب، وهذه دلالة على قبول خبر الواحد في أبواب العقيدة.

((الدليل السادس)):

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ أَهْلَ الْيَمَنِ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا يُعَلِّمْنَا السُّنَّةَ وَالْإِسْلَامَ، قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَقَالَ:

((هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ))[2].

وجه الاستدلال: هنا أرسل النبي ﷺ أبا عبيدة، وهذا التعليم يشمل: العقائد، والمعاملات، وهو يدل على قبول خبر الواحد في العقائد.

((الدليل السابع)):

بعث النبي ﷺ الملوكَ والأمراء –كما ورد في الصحيحين– في حديث أبي سفيان، وفيه:

---

(1) ـ رواه البخاري (7372)، ومسلم (19).

(2) ـ رواه مسلم (2419).

((...ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَرَأَهُ، فَإِذَا فِيهِ:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ، وَ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ......)) (1).

وقد بعث لكِسرى، وللمقوقس ملِك مصرَ.....إلخ.

وجه الاستدلال: أنه بعث هذه الكتب والرسائل مع آحاد الصحابة، فهي خبر آحاد، وهي حجة على هؤلاء، وأقيمت الحجة عليهم بخبر الواحد، وفي هذا دلالة على قبول خبر الواحد في العقائد.

((الدليل الثامن)):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:((**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**)) (2).

وجه الاستدلال: هذا السماع قد يكون متواترًا، وقد يكون بخبر الواحد،وجعَله نبينا ﷺ حجة على من سمع،واستحق العقاب بمُوجَب السماع، على عمومه،

(1) ـ رواه البخاري (7541)، ومسلم (1773).

(2) ـ رواه مسلم (153).

متواترًا كان أو آحادًا [1].

((الدليل التاسع)):

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ:((**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**)) [2].

وجه الاستدلال: مَن بلَّغ فقد أقام الحجة -في الجملة-، وهذا البلاغ: قد يكون في العبادات، أو العقائد، وقد يكون البلاغ متواترًا أو آحادًا.

((الدليل العاشر)):

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه،قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:((**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ**)) [3].

---

(1) ـ وأما مَن وصل إليه الكلام عن الإسلام ونبيّ الإسلام بصورة مشوهة غير حقيقية -كمن يصل إليه عن الإسلام أنه فكرة، أو أن محمدًا صلى الله عليه وسلم ما هو إلا قائد أو مقاتِل ــبأبي هو وأميــ أو أن الدين تُكَأة لقتل الناس، وسبْي النساء وأخْذ أموالهم وأرَضِيهم ....إلخ هذا الإفكِ والتُّرَّهاتِ- فاختلف الناس فيه:

فمنهم من قال: أقيمت عليه الحجة، ومنهم: من قال: لم تُقم عليه الحجة، وهو في منزلة أهل الفترة، ومنهم مَن فصَّل في الباب، والتفصيل أقرب للصواب، وهو على ما يلي:

أ ـ إنْ بلَغه مشوهًا، وكان عنده من يسألهم من أهل العلم وقصَّر فقد أقيمت عليه الحجة.

ب ـ إنْ بلغه مشوهًا، وأراد أن يبحث في الأمر ليعرف الحق، ولم يدركه ذلك أو مات أثناء البحث وهو مريد للحق، فهذا هو محل النظر في الباب، والله أعلم بالصواب.

ج ـ إن بلغه مشوهًا، ولم يكن عنده مَن يسألهم أو يعرف منهم -كمن كان يسكن في بادية بعيدة- فهذا أيضًا محل نظر، وللمسألة تفاصيل لا يتسع المقام لها.

(2) ـ رواه البخاري (3461) وغيره.

(3) ـ **صحيح:** رواه أبو داود (3660)، والترمذي (2656)، وابن ماجة (230).

وجه الاستدلال:أن النبي ﷺ اعتبر هذا البلاغ،وهذا البلاغ:على عمومه [1] في باب العبادات، أو العقائد.

((الدليل الحادي عشرَ)):

حديث تميمٍ الداريّ رضي الله عنه في قصة الدجال الطويلة في صحيح مسلم، وفيها:

قالت فاطمة بنت قيس رضي الله عنها :

((سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي، مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، يُنَادِي، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: **((لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ))**، ثُمَّ قَالَ: **((أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟))** قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **((إِنِّي –وَاللهِ– مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي**

---

[1] ـ ولا يعارض هذا الاستدلال بأن يقال لنا: هذا يتعلق بالعمَليات لا العِلميات؛ لأنه نصّ فيه وقال: **"فرُبَّ حاملِ فقه ليس بفقيه"** فمدار الحديث على الفقه، على الأمور العملية دون العلمية، بل قد يكون حجة عليكم لتخصيصه بالفقه!!

وجواب ذلك: مِن وجوه:

الوجه الأول:

أن قول النبي صلى الله عليه وسلم: **"نضر الله امرأً سمع منا حديثًا..."** عام فيدخل فيه: أحاديث العقيدة.

الوجه الثاني:

قوله: **"رُب حامل فقه ليس بفقيه"** المراد به: العلم، كما ذكَر بعض الشرّاح، وقد ذكر ابن الملقن على هذا الحديث في التوضيح لشرح الجامع الصحيح _أي: صحيح البخاري_ في ((باب الفَهم في العلم)) والكلام هنا على: حال الفهم في النصوص وأحوال الناس، فمنهم: حاملٌ ليس بفقيه، ومنهم: فقيه، ولكنه يَحمله لمن هو أفقه منه في الاستنباط والفهم، وليس المقصود: الفقه بالمصطلح المعروف.

الوجه الثالث:

ولو تنزلنا وقلنا: إن المراد به " الفقه والعمليات كما ذكر في آخره"- فغايتُه أنه: "ذِكر فرد من أفراد العموم المساوي له في الحكم فلا يخصصه"؛ وذلك لأنه ذكر العموم في مطلعه.

وبالله التوفيق...

حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمِ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَؤُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ؛ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ! مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ، انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا، حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟! قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ، لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ، فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا، هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَلَّا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا

تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الْأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الْأَرْضِ فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً – أَوْ وَاحِدًا – مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا، يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا)) قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ – وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ-: ((هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ – يَعْنِي:الْمَدِينَةَ- أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟)) فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ، ((فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ، أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ، أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا، بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ)) وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ، قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ [1].

([1]) ـ رواه مسلم (2942).

وجه الاستدلال: أن النبي ﷺ قبِل خبرَ تميمٍ الداريّ [1]، وأخبر به الصحابة في أمرٍ علميّ عقديّ، وهو خبر الدجال.

فإن قيل: لكن الحجة هنا ليست بخبر تميمٍ الداريّ رضي الله عنه وإنما الحجة في إقرار النبي ﷺ.

قلنا: لكن فعله ﷺ تشريعٌ لأمته، وبيانٌ منه لجواز قبول خبر الواحد في العقائد، والأصل عدم الخصوصية، ولو كان الأمر لا يجوز لبيَّن النبي ﷺ لأصحابه؛ إذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة.

((الدليل الثاني عشرَ)):

عَنْ أَبِي قِلاَبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكٌ، أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا -أَوْ قَدِ اشْتَقْنَا- سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، قَالَ: **((ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ -وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لاَ أَحْفَظُهَا- وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ))** [2].

---

(1) ـ وهذا من اللطائف، يقولون: مَن الصحابي الذي حدَّث عنه النبي ﷺ؟

والمعلوم أن الصحابة يحدِّثون عن رسول الله ﷺ لكن مَن الصحابي الذي حدَّث عنه النبي ﷺ؟ هو تميمٌ الداريُّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

وهو من: رواية الأكابر عن الأصاغر.

والمقصود برواية الأكابر عن الأصاغر في اصطلاح المحدثين: "رواية الشخص عمن هو دونه في السن، والطبقة، أو في العلم، والحفظ، أو فيهما معًا".

وحديث تميم الداري من أشهر أدلة مشروعية رواية الأكابر عن الأصاغر.

(2) ـ رواه البخاري (631).

وجه الاستدلال: أن كل واحد من هؤلاء الصحابة سَيُعَلِّم أهله، وهذا التعليم يشمل: العبادات، والعقائد، وهو آحاد، وكان هذا حجة.

((الدليل الثالث عشرَ)):

الإجماع.

فقد نقل جمع من العلماء الإجماع على أن خبر الواحد الثابتَ عن رسول الله ﷺ حجة في العقائد.

وقد وقع هذا الإجماع في هذا الباب في كلام الشافعي –وقد سبق ذكره–.

((الدليل الرابع عشر)):

القياس:

قياس العقائد على العبادات، فإنه يجوز قبول خبر الواحد في العبادات،فكذلك في باب العقائد، ولا فرق بينهما، بجامع أن الرجال الذين نقلوا لنا العبادات بخبر الواحد وقبِلناه:– هم الذين نقلوا لنا خبر الواحد في العقائد.

جملة من الأدلة التي يُستأنس بها في الباب:

هذه بعض الأدلة التي قد يستأنس بها في الباب، وقد تكون متعلقة بقبول خبر الواحد عمومًا، وليست متعلقة بمحل النزاع المطلوب، أو تكون لا تَسلم من معارَضة، وإنما ذكرناها استئناسًا وتعضيدًا لهذه المسألة المهمة الفارقة بين أهل السنة وغيرهم من أهل البدع.

ومن هذه الأدلة التعضيدية:

((الدليل الخامس عشر)):

الأنبياء الذين أرسلهم الله ﷻ.

فقد أرسل الله لخيرِ أمةٍ أُخرجت للناس رسولًا واحدًا ــوهو خير الرسل،صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعيَن ــ وهو واحد، وجعله الله مبلغًا، مبينًا لشريعته، وهو واحدٌ ﷺ.

فلو قلنا: إن خبر الواحد ليس بحجة في العقائد لَلَزِمَ من ذلك إبطال الشرائع ؛ لأن الدين جاءنا عن طريق النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ-.

قلت:وهذا الدليل قد يعارَض بأن النبي ﷺ قد عصمه الله تعالى من الخطأ.
لكنه دليل يُستأنس به.

((الدليل السادس عشر)):

قبول خبر الواحد هو منهج الأنبياء والمرسلين.

أ ـ موسى ﷺ :

قال الله ﷻ:﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ

﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾[القصص:20].

فقبِل موسى ﷺ خبره، وخرج من أرض مصر، وهو خبرُ واحد.

ولما جاءته المرأة قبِل موسى ﷺ خبرها ، وهو خبرُ واحد، كما قال ﷻ:

﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص:25].

وقد قبِل الرجل الصالح -وقيل: هو شعيب ﷺ [1]- خبرَ موسى، وهو خبرُ واحد، كما قال تعالى:﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص:25].

ب ـ يوسفُ ﷺ :

قال الله ﷻ:﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾[القصص:20].

فقبِل خبر الرسول، وأعطاه الردَّ والجواب على دعوة الملِك إياه.

ج ـ محمد ﷺ :

قبِل خبر الواحد في مواطنَ كثيرة، منها:

في بَدء الوحي، قبِل خبر ورقة بن نوفل.

وقبِل خبر الخريت في الهجرة.

وقبِل خبرَ مَن أخبره بشجار أهل قُباء.

---

(1) ـ وثبت هذا عن الحسن -رحمه الله- أنه قال: "يقولون: شعيب صاحب موسى".
انظر: تفسير الطبري (778/8) رقم: (27433) ط (دار الحديث) القاهرة.

وقبِل خبر عائشة في هديّة بريرةَ والصدقة.

وقبِل خبر أبي بكر وعمرَ لما أخرجهما الجوع.

وقبِل خبرَ عبدِ الله بن زيد بن عبد ربّه في رؤيا الأذان، وكذلك عُمرُ.

وقبِل خبر الواحد في المُختلِعة التي قالت: (وأكرهُ الكفرَ في الإسلام).

وقبِل خبر الواحد من ابن عوف لما أخبره أنه تزوَّج.

وقبِل خبر حذيفةَ لما أتاه بخبر القوم في غزوة الخندق.

والسيرة العطرة مملوءة بمئات الحوادث في قبول خبر الواحد.

((الدليل السابع عشر)):

قبول خبر الواحد: منهج الصحابة وإجماعهم رضي الله عنهم :

لم يُنقل عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم أنه أنكر قَبول خبر الواحد [1]

([1]) ـ ولا يُعارَض هذا فيُستدل بـ : توقف النبي صلى الله عليه وسلم في خبر ذي اليدَين، وتوقفِ الصديق رضي الله عنه في ميراث الجدة لما جاءه خبر المغيرة بن شعبةَ حتى تابعه محمد بن مسلمةَ، وتوقفِ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خبر أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في الاستئذان- على عدم قبول خبر الواحد، وجواب ذلك: من وجوه:

أما خبر ذي اليدَين فجوابه -باختصار-:

الأول: النبي صلى الله عليه وسلم ما ردَّ خبر الواحد هنا وإنما توقَّف وحسْب، ولم يرِد عنه أنه توقف في خبر الواحد في سيرته إلا في هذا الموطن ــفيما أعلمُــ وفي قوله وفعله وإقراره عشرات المواقف التي فيها العمل بخبر الواحد، فإنْ تَعْجَبْ فاعْجَبْ من متبجّح يترك كل ما سبق ويتمسك بهذا التوقف، فتركوا (المتواتر -المعنوي- عنه) في قبول خبر الواحد، وتمسكوا بتوقفٍ نادرٍ ــله توجيهات ذكرها العلماءــ وبدلَ حملِ المحتمل على المحكَم، عارَضوا المحكَم بالمحتمل؛ فأيُّ هوًى متبَعٌ سلكه مَن أنكر خبر الواحد.

فإن قيل: ولِمَ توقَّف؟

فالجواب: لأنه لما قال له ذو اليدين: **((أقَصُرت الصلاةُ أم نَسِيتَ؟....))** توقف النبي صلى الله عليه وسلم لأمور، منها:

أ ـ كان صلى الله عليه وسلم يظن نفسَه صلى أربعًا، وغلب ذلك على ظنه، فلما سأله ذو اليدين رضي الله عنه توقَّف.

ب ـ كان من الصحابة مَن هم أفضل وأحرص على الصلاة من ذي اليدين ــمن جهة العدد (وهم الصحابةالذين صلَّوا =

= معه)، ومن جهة الأفراد (كأبي بكرٍ وعمرَ وغيرهم)_ فلما لم يتكلم هؤلاء وانفرد ذو اليدين رضي الله عنه مع ظن النبي صلى الله عليه وسلم نفسَه صلى أربعًا، كانت هذه كأنها قرائن على وهم ذي اليدين، وهنا ما ردَّ النبي صلى الله عليه وسلم خبرَه وإنما توقف واستفسر وسأل: ((أَصَدَقَ ذو اليدين؟))، فلما قيل له: نعم، أخَذ بخبره.

وأما توقف الصديق رضي الله عنه لجوابه -باختصار-: من وجوه:

((الأول)):

الصديق رضي الله عنه لم يردَّ خبر الواحد، وإنما توقف فيه للتثبت والتأكد في باب الفرائض، وهو باب عظيم، جلُّه توقيفيٌّ مَحْضٌ، فأراد التثبت ولم يردَّ خبر الواحد.

((الثاني)):

الثابت عنه قبول خبر الواحد، فقد قبِل خبر عائشة لما سألها: في كم كفنتم النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت: في ثلاثة أثواب بِيضٍ سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة....))، بل جعَل خبره -وهو خبرُ واحدٍ- حجةً على فاطمةَ بنت محمد صلى الله عليه وسلم بأن الأنبياء لا تُورَثُ.

((الثالث)):

ولو أعرضنا عن كل ذلك صفحًا لقلنا: فعلُ أبي بكر الصديق رضي الله عنه حجة عليكم؛ لأنه قبِل الخبر لما تابع محمدُ بن مسلمة الـمُغيرةَ، ومتابعة محمد بن مسلمة لم تُخرج الخبر عن كونه آحادًا؛ فكان هذا حجة عليكم لا لكم.

وأما توقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجوابه باختصار: من وجوه:

((الأول)):

عمر بن الخطاب لم يردَّ خبر الواحد، وإنما توقف فيه للتثبت والتأكد، وقد صرح بذلك، فورَد في بعض الروايات: لما قال له أُبيٌّ: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك فلا تكونن عذابًا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عمر: **((سبحان الله! إنما سمعتُ شيئًا فأحببتُ أن أتثبتَ))**

وفي رواية: قال عمر لأبي موسى رضي الله عنهما: **((أمَا إني لم أتّهِمك ولكني خشيت أن يتقوّل الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم))**

وفي رواية: ((... أجَل، أحببتُ أن أتثبت)).

((الثاني)):

الثابت عنه قبول خبر الواحد، فقد قبِل خبر حذيفة رضي الله عنه لما سأله: "أسَمّاني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟" يعني: في المنافقين، والمعلوم أنه كان يُناوِبُ صاحبًا له في العمل ومَجلسِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يخبره صاحبُه ما أخذه من العلم في المجلس، وكان يَقبله، وقبِل خبر عائشة رضي الله عنها (إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل)، وقبِل خبر ابن عوف في الطاعون.

((الثالث)):

ولو أعرضنا عن كل ذلك صفحًا لقلنا: إنَّ فعل عمر رضي الله عنه حجة عليكم؛ لأنه قبِل الخبر لما تابعه أبو سعيد الخدري، =

أو قولُ: " **إنَّ هذا خبرُ واحد يمكن عليه الخطأ فلا تقوم به الحجة ولا نقبله حتى يتواتر**"!

ولو قال أحد منهم ذلك لنُقل إلينا.

بل الثابت عنهم إجماعهم على قبول خبر الواحد عمومًا، ومن ذلك:

أ ـ حديث إلقاء الخمر لما حُرمت (ألقَوْها بخبر آحاد)

ب ـ حديث أهل قُباء لما نزل تحويل القبلة وجاءهم الخبر في الصلاة فاستداروا.

جـ ـ حديث الأمر بصيام عاشوراءَ، فقد أرسل لهم النبي ﷺ رجلًا ينادي فيهم بصيام عاشوراء وعمِلوا بقوله وهو واحد.

د ـ قبولهم للروايات التي روتْها أزواج النبي ﷺ في بيت النبوّة، ولم يروِها غيرُ بعض أزواجه، أو إحداهنَّ، وهذا خبرُ واحد.

هـ ـ عمرُ قبِل خبر ابن عوف في الطاعون.

وقبِل الصديقُ خبرَ المُغيرةِ وابنِ مَسلمةَ في ميراث الجدة، وهما آحادٌ.

وفي حديث ...

وكان منهم مَن يسمع الحديث مِن غيره ويَقبله، وهذا معلوم.

= ومتابعة أبي سعيد لم تُخرج الخبر عن كونه آحادًا؛ فكان هذا حجة عليكم لا لكم.

على أنه قد يقال: إن عددًا من الصحابة أقروا بالحديث، وقد سمعوه، وأرسلوا أصغرهم سنًّا ليَعْلَمَ عمرُ أنهم قد سمعوه من رسول الله ﷺ.

((الدليل الثامن عشر)):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الجُهَنِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالاَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ، فَقَامَ خَصْمُهُ فَقَالَ: صَدَقَ، اقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا، فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ، فَقَالُوا لِي: عَلَى ابْنِكَ الرَّجْمُ، فَفَدَيْتُ ابْنِي مِنْهُ بِمِائَةٍ مِنَ الغَنَمِ وَوَلِيدَةٍ، ثُمَّ سَأَلْتُ أَهْلَ العِلْمِ، فَقَالُوا: إِنَّمَا عَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ، أَمَّا الوَلِيدَةُ وَالغَنَمُ فَرَدٌّ عَلَيْكَ، وَعَلَى ابْنِكَ: جَلْدُ مِائَةٍ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَأَمَّا أَنْتَ يَا أُنَيْسُ -لِرَجُلٍ- **فَاغْدُ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا، فَارْجُمْهَا))**، فَغَدَا عَلَيْهَا أُنَيْسٌ فَرَجَمَهَا [1].

وجه الاستدلال: عمِل النبي ﷺ بخبر الواحد في حد من حدود الله، فيه إزهاق نفس في حد، والمعلوم أن حفظ النفس مقدَّم على غيره من الضرورات الخمس -في الأصل-.

([1]) ـ رواه البخاري (2695)، ومسلم (1697).

أسئلة تتعلق بالأصل السادس:((صفات الله تجري على ظاهرها))

س111: ما معنى هذا الأصل "وأنها تجري على ظاهرها"؟

ج - هذا الأصل من أهم أصول أهل السنة والجماعة في باب الصفات، وهو علامة فارقة بين أهل السنة والجماعة ،وبين الطوائف المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة في باب الصفات. ومعناه أن نصوص الصفات الواردة في الكتاب أو السنة يجب حملها وإجراؤها على ظاهرها، وهي ثابتة لله ﷻ على الحقيقة لا المجاز.

س112: ما المقصود بالحقيقة والمجاز، مع ذكر أمثلة؟

ج - المقصود بالحقيقة والمجاز لغةً:

"الحقيقة" هي: اللفظ المستعمل لما وُضِعَ له، (المعنى المتبادر للذهن).

"المجاز" هو: هو اللفظ المستعمل في غير ما وُضع له لعلاقة ما، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

فالعلاقة: هي المجوزة للاستعمال.

والقرينة: هي الموجبة للحمل.

فأما القرينة: فلا بد للمجاز من قرينة تمنع من إرادة الحقيقة عقلًا أو حسًا أو عادة أو شرعًا.

مثال تطبيقي على "الحقيقة":

لو قلت لك: "**رأيت أسدًا** "، فالمعنى الحقيقي للأسد هو الحيوان ذو الناب المعلوم المعروف المتوحش الذي يعدو بنابه، وهذا المعنى الحقيقي المتبادر إلى

الذهن، وهو اللفظ الدال على ما وُضِعَ له.

فهذا الاستعمال "حقيقة"؛ لاستعماله فيما وضع له.

مثال تطبيقي على "المجاز":

ككلمة أسد في الرجل الشجاع.

لو قلت لك: "**رأيت أسدًا يحمل سيفًا في أرض المعركة** ".

الأسد هنا حمل على المعنى المجازي وهو الرجل الشجاع، لوجود قرينة، وهي حمل السيف.

وكما لو قال رجل لزوجته: "جاءَ قمري"

فهذه الجملة على سبيل المجاز وليس الحقيقة، والدليل على ذلك لفظة (جاء) فالقمر لا يأتي ولا يذهب في الأرض.

والغرض المقصود:

أن من أصول أهل السنة والجماعة في الصفات:- حملها وإجراءها على الحقيقة، لا المجاز.

س113: وما علاقة الحقيقة والمجاز بنصوص الصفات؟

ج ـ كثير من الطوائف المخالفة لأهل السنة والجماعة لجؤوا للمجاز من أجل التعطيل، ومن العلماء من قال: أحدثه المعطلون لصفات الله ﷻ؛ ليكون مطية لتعطيلهم، ولنفي ما أثبته الله ﷻ لنفسه.

س114: وهل هناك مجاز في القرءان؟

ج ـ اختلف العلماء في وجود المجاز في كلام العرب واللغة على قولين:

القول الأول: وجود المجاز في اللغة، وهو قول جماهير أهل العلم.

القول الثاني: نفي المجاز في اللغة وكلام العرب، وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية، وجماعة من المعاصرين.

وأما وجود المجاز في القرءان، ففيه خلاف أيضًا:

القول الأول:

يوجد مجاز في القرءان.

وهذا قول جماهير أهل العلم من (الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة وعلماء اللغة والبيان).

القول الثاني:

نفي وجود المجاز في القرءان.

وبهذا قال الأستاذ/ أبو إسحاق الإسفراييني، وأبو علي الفارسي والظاهرية، وابن خويز منداد، ومنذر بن سعيد البلوطي، وابن تيمية.

القول الثالث:

يوجد مجاز في القرءان خلا نصوص الصفات.

والذي نريد التنبيه عليه هنا هو:

أن القول بوجود المجاز في القرآن لا يستلزم تأويل الصفات الثابتة لله سبحانه وتعالى، كالاستواء، واليد، والعين، والوجه.......إلخ.

وأنقل لك في هذا الباب كلامًا بديعًا لشيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته المعروفة بـ **(الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله)**:

((....قُلْت لَهُ: إذَا وَصَفَ اللَّهُ نَفْسَهُ بِصِفَةِ أَوْ وَصَفَهُ بِهَا رَسُولُهُ أَوْ وَصَفَهُ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ -الَّذِينَ اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ - فَصَرْفُهَا عَنْ ظَاهِرِهَا اللَّائِقِ بِجَلَالِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَحَقِيقَتِهَا الْمَفْهُومَةِ مِنْهَا: إلَى بَاطِنٍ يُخَالِفُ الظَّاهِرَ وَمَجَازٍ يُنَافِي الْحَقِيقَةَ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ:

أَحَدُهَا: أَنَّ ذَلِكَ اللَّفْظَ مُسْتَعْمَلٌ بِالْمَعْنَى الْمَجَازِيِّ؛لِأَنَّ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَكَلَامَ السَّلَفِ جَاءَ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِشَيْءٍ مِنْهُ خِلَافُ لِسَانِ الْعَرَبِ أَوْ خِلَافُ الْأَلْسِنَةِ كُلِّهَا؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْمَعْنَى الْمَجَازِيُّ مَا يُرَادُ بِهِ اللَّفْظُ وَإِلَّا فَيُمْكِنُ كُلُّ مُبْطِلٍ أَنْ يُفَسِّرَ أَيَّ لَفْظٍ بِأَيِّ مَعْنًى سَنَحَ لَهُ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ فِي اللُّغَةِ.

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ مَعَهُ دَلِيلٌ يُوجِبُ صَرْفَ اللَّفْظِ عَنْ حَقِيقَتِهِ إلَى مَجَازِهِ وَإِلَّا فَإِذَا كَانَ يُسْتَعْمَلُ فِي مَعْنًى بِطَرِيقِ الْحَقِيقَةِ وَفِي مَعْنًى بِطَرِيقِ الْمَجَازِ لَمْ يَجُزْ حَمْلُهُ عَلَى الْمَجَازِيِّ بِغَيْرِ دَلِيلٍ يُوجِبُ الصَّرْفَ بِإِجْمَاعِ الْعُقَلَاءِ ثُمَّ إنْ ادَّعَى وُجُوبَ صَرْفِهِ عَنْ الْحَقِيقَةِ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ دَلِيلٍ قَاطِعٍ عَقْلِيٍّ أَوْ سَمْعِيٍّ يُوجِبُ الصَّرْفَ. وَإِنْ ادَّعَى ظُهُورَ صَرْفِهِ عَنْ الْحَقِيقَةِ فَلَا بُدَّ مِنْ دَلِيلٍ مُرَجِّحٍ لِلْحَمْلِ عَلَى الْمَجَازِ.

الثَّالِثُ: أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَسْلَمَ ذَلِكَ الدَّلِيلُ -الصَّارِفُ- عَنْ مُعَارِضٍ؛ وَإِلَّا فَإِذَا قَامَ دَلِيلٌ قُرْآنِيٌّ أَوْ إيمَانِيٌّ يُبَيِّنُ أَنَّ الْحَقِيقَةَ مُرَادَةٌ امْتَنَعَ تَرْكُهَا ثُمَّ إنْ كَانَ هَذَا الدَّلِيلُ نَصًّا قَاطِعًا لَمْ يُلْتَفَتْ إلَى نَقِيضِهِ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرًا فَلَا بُدَّ مِنْ التَّرْجِيحِ)

الرَّابِعُ: أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذَا تَكَلَّمَ بِكَلَامِ وَأَرَادَ بِهِ خِلَافَ ظَاهِرِهِ وَضِدَّ حَقِيقَتِهِ فَلَا بُدَّ أَنْ يُبَيِّنَ لِلْأُمَّةِ أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ حَقِيقَتَهُ وَأَنَّهُ أَرَادَ مَجَازَهُ سَوَاءٌ عَيَّنَهُ أَوْ لَمْ يُعَيِّنْهُ لَا سِيَّمَا فِي الْخِطَابِ الْعِلْمِيِّ الَّذِي أُرِيدَ مِنْهُمْ فِيهِ الِاعْتِقَادُ وَالْعِلْمُ؛

دُونَ عَمَلِ الْجَوَارِحِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الْقُرْآنَ نُورًا وَهُدًى وَبَيَانًا لِلنَّاسِ وَشِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إلَيْهِمْ وَلِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَلِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ. ثُمَّ هَذَا " الرَّسُولُ " الْأُمِّيُّ الْعَرَبِيُّ بُعِثَ بِأَفْصَحِ اللُّغَاتِ وَأَبْيَنِ الْأَلْسِنَةِ وَالْعِبَارَاتِ ثُمَّ الْأُمَّةُ الَّذِينَ أَخَذُوا عَنْهُ كَانُوا أَعْمَقَ النَّاسِ عِلْمًا وَأَنْصَحَهُمْ لِلْأُمَّةِ وَأَبْيَنَهُمْ لِلسُّنَّةِ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَكَلَّمَ هُوَ وَهَؤُلَاءِ بِكَلَامِ يُرِيدُونَ بِهِ خِلَافَ ظَاهِرِهِ إلَّا وَقَدْ نُصِبَ دَلِيلًا يَمْنَعُ مِنْ حَمْلِهِ عَلَى ظَاهِرِهِ؛ إمَّا أَنْ يَكُونَ عَقْلِيًّا ظَاهِرًا مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَعْلَمُ بِعَقْلِهِ أَنَّ الْمُرَادَ أُوتِيَتْ مِنْ جِنْسِ مَا يُؤْتَاهُ مِثْلُهَا وَكَذَلِكَ: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يَعْلَمُ الْمُسْتَمِعُ أَنَّ الْخَالِقَ لَا يَدْخُلُ فِي هَذَا الْعُمُومِ. أَوْ سَمْعِيًّا ظَاهِرًا مِثْلُ الدَّلَالَاتِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الَّتِي تَصْرِفُ بَعْضَ الظَّوَاهِرِ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُحِيلَهُمْ عَلَى دَلِيلٍ خَفِيٍّ لَا يَسْتَنْبِطُهُ إلَّا أَفْرَادُ النَّاسِ سَوَاءٌ كَانَ سَمْعِيًّا أَوْ عَقْلِيًّا؛ لِأَنَّهُ إذَا تَكَلَّمَ بِالْكَلَامِ الَّذِي يُفْهَمُ مِنْهُ مَعْنًى وَأَعَادَهُ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً؛ وَخَاطَبَ بِهِ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ وَفِيهِمْ الذَّكِيُّ وَالْبَلِيدُ وَالْفَقِيهُ وَغَيْرُ الْفَقِيهِ وَقَدْ أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَدَبَّرُوا ذَلِكَ الْخِطَابَ وَيَعْقِلُوهُ وَيَتَفَكَّرُوا فِيهِ وَيَعْتَقِدُوا مُوجَبَهُ ثُمَّ أَوْجَبَ أَنْ لَا يَعْتَقِدُوا بِهَذَا الْخِطَابِ شَيْئًا مِنْ ظَاهِرِهِ؛ لِأَنَّ هُنَاكَ دَلِيلًا خَفِيًّا يَسْتَنْبِطُهُ أَفْرَادُ النَّاسِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ ظَاهِرَهُ كَانَ هَذَا تَدْلِيسًا وَتَلْبِيسًا وَكَانَ نَقِيضَ الْبَيَانِ وَضِدَّ الْهُدَى وَهُوَ بِالْأَلْغَازِ وَالْأَحَاجِيِّ أَشْبَهُ مِنْهُ بِالْهُدَى وَالْبَيَانِ. فَكَيْفَ إذَا كَانَتْ دَلَالَةُ ذَلِكَ الْخِطَابِ عَلَى ظَاهِرِهِ أَقْوَى بِدَرَجَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ دَلَالَةِ ذَلِكَ الدَّلِيلِ الْخَفِيِّ عَلَى أَنَّ الظَّاهِرَ غَيْرُ مُرَادٍ أَمْ كَيْفَ إذَا كَانَ ذَلِكَ

الْخَفِيُّ شُبْهَةً لَيْسَ لَهَا حَقِيقَةٌ؟ . فَسَلَّمَ لِي ذَلِكَ الرَّجُلُ هَذِهِ الْمَقَامَاتِ))[1].

((خلاصة الكلام)):

النصوص التي وردت في الصفات –في الكتاب والسنة-: وجب حملها على الظاهر أي على الحقيقة لا على المجاز.

س115: ما شروط حمل اللفظ على المجاز؟

ج ـ لحمل اللفظ على المجاز، لابد من شروط، وهي:

أ ـ أن يكون هذا اللفظ مستعملًا في المجاز، وإلا أمكن لكل أحد التلاعب، وحمل اللفظ على خلاف اللغة، وقد جاء الشرع بلسان عربي.

ب ـ أن يكون هناك دليل يوجب صرف اللفظ عن ظاهره.

ج ـ لا بد أن يسلم الصارف من المعارض.

د ـ لو كان في أمر اعتقادي علمي، وأراد النبي ﷺ خلاف ما ذكره، فلا بد من أن يُبينه للأمة (2)؛ لأن هذا من أهم وظائف (3) النبي –بأبي هو وأمي ونفسي ﷺ– البلاغ والبيان، كما قال ﷻ:﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ**﴾[المائدة:67]، وقال الله ﷻ:﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾[النحل:44].

س116: ما الدليل على هذا الأصل "وأنها تجري على ظاهرها"؟

---

(1) ـ مجموع الفتاوى، ابن تيمية (6/360 ـ 362) ط (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد) السعودية.

(2) ـ المصدر السابق. وقد يعترض المعطلة والملفقة ومن وافقهم على هذا الشرط، مع أن النصوص الشرعية طافحة به!

(3) ـ **والأنبياء لهم وظائف كثيرة، منها:** (نشر التوحيد ومحاربة الشرك - البلاغ - والبيان - الدعوة إلى الله - إقامة الحجة - تصحيح العقائد وتزكية النفوس - التبشير والإنذار - رعاية مصالح الأمة - محاربة الأفكار المنحرفة..إلخ)

ج ـ هذا الأصل العظيم عند أهل السنة والجماعة قد دلت علية الكثير من الأدلة في الكتاب والسنة، ومنها:

((الدليل الأول)):

قال الله ﷻ:﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[القمر:17].

وجه الاستدلال: لو كانت نصوص الصفات ليست على ظاهرها فهذا ليس من اليسر في القرآن؛ لأنه سيحتاج لبحث من أجل فهم المراد، ولأجل الوصول لحقيقة المعنى، وهذا ينافي التيسير، وإنما اليسر أن يفهم على ظاهره.

((الدليل الثاني)):

قال الله ﷻ:﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [النساء:26].

وجه الاستدلال: هنا قال سبحانه وتعالى:﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾

ومحال أن يكون الله سبحانه وتعالى الذي يريد البيان للناس:- مريدًا من نصوص الصفات خلاف الظاهر.

((الدليل الثالث)):

قال الله ﷻ: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾[الشعراء:195].

وجه الاستدلال: أن هذا القرآن نزل بلسان عربي مبين، والأصل في اللسان العربي أنه يحمل على الحقيقة أم يحمل على المجاز؟ نقول: الأصل في اللسان العربي أنه يحمل على الحقيقة ولا يحمل على المجاز.

((الدليل الرابع)):

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم:4]،
قال الله ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾[النحل:44].

وجه الاستدلال: أن الله ﷻ أرسل الرسل بلسان قومهم ليفهم القوم الكلام، وجعل مهمة الأنبياء البلاغ والبيان، فلما قرأ النبي ﷺ نصوص الصفات الموجودة في القرآن، وذكر لنا نصوص الصفات في السنة، التي هي بلسان قومه، ولم يبين أنها على خلاف الظاهر علمنا من ذلك أنها على ظاهرها بلا ريب قطعًا، ويقينًا؛ لأن وظيفة النبي ﷺ البيان، فلو كانت نصوص الصفات ليست على ظاهرها، ولم يبين النبي ﷺ لكان لازم ذلك تكذيبًا لهذه الآيات،﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾، ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾، فلما لم يبين النبي ﷺ أن هذه النصوص على خلاف الظاهر علمنا قطعًا ويقينًا أنها على ظاهرها؛ لأن هذه وظيفة النبي ﷺ، وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.

((الدليل الخامس)):

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال:

((آخِرُ مَن يَدْخُلُ الجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهْوَ يَمْشِي مَرَّةً، ويَكْبُو مَرَّةً، وتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فإذا ما جاوَزَها التفَتَ إلَيْها، فقالَ: تَبارَكَ الذي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أعْطانِي اللَّهُ شيئًا ما أعْطاهُ أحَدًا مِنَ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ له شَجَرَةٌ، فيَقولُ: أيْ رَبِّ، أدْنِنِي مِن هذِه الشَّجَرَةِ فَلأَسْتَظِلَّ بظِلِّها، وأَشْرَبَ مِن

مائِها، فيَقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: يا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إنَّ أعْطَيْتُكَها سَأَلْتَنِي غيْرَها، فيَقولُ: لا، يا رَبِّ، ويُعاهِدُهُ أنْ لا يَسْأَلَهُ غيْرَها، ورَبُّهُ يَعْذِرُهُ لأنَّهُ يَرَى ما لا صَبْرَ له عليه، فيُدْنِيهِ مِنْها، فَيَسْتَظِلُّ بظِلِّها، ويَشْرَبُ مِن مائِها، ثُمَّ تُرْفَعُ له شَجَرَةٌ هي أحْسَنُ مِنَ الأُولَى، فيَقولُ: أيْ رَبِّ، أدْنِنِي مِن هذِه لأَشْرَبَ مِن مائِها، وأَسْتَظِلَّ بظِلِّها، لا أسْأَلُكَ غيْرَها، فيَقولُ: يا ابْنَ آدَمَ، ألَمْ تُعاهِدْنِي أنْ لا تَسْأَلَنِي غيْرَها، فيَقولُ: لَعَلِّي إنْ أدْنَيْتُكَ مِنْها تَسْأَلُنِي غيْرَها، فيُعاهِدُهُ أنْ لا يَسْأَلَهُ غيْرَها، ورَبُّهُ يَعْذِرُهُ لأنَّهُ يَرَى ما لا صَبْرَ له عليه، فيُدْنِيهِ مِنْها فَيَسْتَظِلُّ بظِلِّها، ويَشْرَبُ مِن مائِها، ثُمَّ تُرْفَعُ له شَجَرَةٌ عِنْدَ بابِ الجَنَّةِ هي أحْسَنُ مِنَ الأُولَيَيْنِ، فيَقولُ: أيْ رَبِّ، أدْنِنِي مِن هذِه لأَسْتَظِلَّ بظِلِّها، وأَشْرَبَ مِن مائِها، لا أسْأَلُكَ غيْرَها، فيَقولُ: يا ابْنَ آدَمَ، ألَمْ تُعاهِدْنِي أنْ لا تَسْأَلَنِي غيْرَها، قالَ: بَلَى يا رَبِّ، هذِه لا أسْأَلُكَ غيْرَها، ورَبُّهُ يَعْذِرُهُ لأنَّهُ يَرَى ما لا صَبْرَ له عليها، فيُدْنِيهِ مِنْها، فإذا أدْناهُ مِنْها فَيَسْمَعُ أصْواتَ أهْلِ الجَنَّةِ، فيَقولُ: أيْ رَبِّ، أدْخِلْنِيها، فيَقولُ: يا ابْنَ آدَمَ ما يَصْرِينِي مِنْكَ؟ أيُرْضِيكَ أنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيا ومِثْلَها معها؟ قالَ: يا رَبِّ، أتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ؟ فَضَحِكَ ابنُ مَسْعُودٍ، فقالَ: ألا تَسْأَلُونِي مِمَّ أضْحَكُ فقالوا: مِمَّ تَضْحَكُ، قالَ: هَكَذا ضَحِكَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فقالوا: مِمَّ تَضْحَكُ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: مِن ضَحِكِ رَبِّ العالَمِينَ حِينَ قالَ: أتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ؟ فيَقولُ:إنِّي لا أسْتَهْزِئُ مِنْكَ،

ولَكِنِّي علَى ما أشاءُ قادِرٌ)) [1].

وجه الاستدلال: النبي ﷺ حمل هذا الضحك على الحقيقة، وابن مسعود رضي الله عنه حمله على الحقيقة، والرواة حملوه على الحقيقة، وليس هذا فيه شيء من التشبيه إنما هذا يبين لك أن الله سبحانه وتعالى قد ضحك حقيقة ضحكًا يليق بجلاله وكماله وعظمته سبحانه وتعالى فقد أخبرنا النبي أنه يضحك، ولم يخبرنا كيف يضحك؟

((الدليل السادس)):

عَنْ وَكِيعِ بْنِ حُدُسٍ، عَنْ عَمِّهِ أَبِي رَزِينٍ رضي الله عنه ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : **((ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ))** قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَ يَضْحَكُ الرَّبُّ، قَالَ:**((نَعَمْ))**، قُلْتُ: لَنْ نَعْدَمَ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا [2].

((الدليل السابع)):

أَنّ عَوْفَ بْنَ الْحَارِثِ، وَهُوَ ابْنُ عَفْرَاءَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ مَا يُضْحِكُ الرّبّ مِنْ عَبْدِهِ؟ قَالَ: **((غَمْسُهُ يَدَهُ فِي الْعَدُوّ حَاسِرًا))** فَنَزَعَ دِرْعًا كَانَتْ عَلَيْهِ فَقَذَفَهَا ثُمّ أَخَذَ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ حَتَّى قتل [3].

((الدليل الثامن)):

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :**((...وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللهِ , وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟))**، قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ

---

(1) ـ رواه مسلم (187).

(2) ـ **ضعيف:** رواه أحمد (16187)، وابن ماجه (181).

(3) ـ **ضعيف:** رواه ابن أبي شيبة (19499) ح، البيهقي في الكبرى (18198).

بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ ((**اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ**)) [1]

ونحن والله يا رب نُشهِدُك وكفى بك شهيدًا، ونُشهِد حملة عرشك وجميع خلقك أن محمدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ- قد بلغ وبَيَّن الرسالة، وقد أدى، ونصح الأمة، وقضى ما عليه بإبي هو وأمي ورحي ونفسي -صلوات ربي وسلامه عليه-.

وجه الاستدلال: قد حمل النبي ﷺ نصوص الصفات على الظاهر.

سؤال: وكيف ذلك؟

الجواب: حملها على الظاهر عندما قال: اللهم اشهد، ورفع السبابة إلى السماء، وقد قال تعالى:﴿**أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**﴾ [الملك:16]، يعني مَن فوق السماء؛ لأن (في) تأتي بمعنى (فوق).

((الدليل التاسع)):

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ [2] فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَإِذَا الذِّئْبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأسَفُونَ) (فَصَكَكْتُهَا صَكَّةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ((**فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ**)) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: ((**ائْتِنِي بِهَا**))، فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: ((**أَيْنَ اللهُ؟**))، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ قَالَ:

---

[1] ـ رواه مسلم (1218)، وأبو داود (1905)، وابن ماجة (3074).

[2] ـ **الْجَوَّانِيَّةُ**: مكان بِقُرْبِ أُحُد - مَوْضِع فِي شَمَالِي الْمَدِينَة.

((مَنْ أَنَا؟))، قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ قَالَ: ((أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ)) [1].

وفي رواية للإمام أحمد:

قَالَ:((أَتُؤْمِنِينَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ؟))، قَالَتْ: نَعَمْ [2].

وجه الاستدلال: هذا تحقيق لصفة العلو على ظاهرها، وكان هذا الجواب الفطري من الجارية مقبولًا عند النبي ﷺ وحكم بإيمانها.

((الدليل العاشر)):

قال أَبُو يُونُسَ سُلَيْمُ بْنُ جُبَيْرٍ مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:58] قَالَ:((رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ))، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : ((رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَؤُهَا وَيَضَعُ إِصْبَعَيْهِ))، قَالَ ابْنُ يُونُسَ: قَالَ الْمُقْرِئُ: يَعْنِي: إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، يَعْنِي أَنَّ لِلَّهِ سَمْعًا وَبَصَرًا قَالَ أَبُو دَاوُدَ: "وَهَذَا رَدٌّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ" [3].

وجه الاستدلال: حمل النبي ﷺ الصفات على ظاهرها، فوضع الأصبع على الأذن والعين، يريد أن يُبيِّن للناس أن السمع والبصر لله سبحانه وتعالى صفات حقيقية لله تجري على ظاهرها، بما يليق بالله تعالى، وهذا ما فهمة أبو هريرة، وكذلك راوي الحديث ابن يونس.

---

(1) ـ رواه مسلم (537).

(2) ـ **صحيح**: رواه أحمد (15781).

(3) ـ **صحيح**: رواه أبو داود (4728).

((الدليل الحادي عشر)):

عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِقْسَمٍ، أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما كَيْفَ يَحْكِي رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:((يَأْخُذُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ، فَيَقُولُ: أَنَا اللهُ –وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا– أَنَا الْمَلِكُ)) حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمِنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ: أَسَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ؟ [1].

وجه الاستدلال:حمل النبي ﷺ الصفة على ظاهرها،فنسب الأخذ لليد، وقبض وبسط أصابعه،وهذا بيان للناس بأن نصوص الصفات تجري على ظاهرها.

س117: هل يفهم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما السابق ذكره:

((يَأْخُذُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ، فَيَقُولُ: أَنَا اللهُ –وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا– أَنَا الْمَلِكُ))، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه :((رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ))، جواز الإشارة باليد في الصفات، كمن يذكر حديث:

((إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ)) [2]. ويشير بإصبعيه؟

ج ـ هذا مما اختلف فيه علماء أهل السنة:

القول الأول:

جواز الإشارة مطلقًا.

فمن العلماء قال بالجواز؛ لأن هذا قد ورد عن النبي ﷺ في أحاديث،

---

(1) ـ رواه البخاري (7412)، ومسلم (2788).

(2) ـ رواه مسلم (2654)

كحديث اليهودي وغيره.

وهذا من باب التقريب، وتحقيق الصفة لا التشبيه.

قلت:وهذا قول ضعيف،وفيه توسع غير مُرضي –وقد قال به بعض المعاصرين–

القول الثاني:

المنع من ذلك مطلقًا.

فمن العلماء قال بالمنع مطلقًا، منعًا لإيهام التشبيه؛ وإنما فعل النبي ﷺ ذلك لأنه أراد تحقيق الصفة.

القول الثالث:

التفصيل، وهو:

أن من العلماء من فَصَّل، وقال بالجواز بشروط:

أ ـ ألا يُفعل ذلك أمام العامة.

ب ـ أن تُؤمَن الفتنة على من أمامه.

القول الرابع:

تفصيل آخر وهو:

أنه يجوز بشروط:

أ ـ ألا يُفعل ذلك إلا في النصوص التي ورد فيها الإشارة.

ب ـ ألا يُفعل ذلك أمام العامة، حتى لا يوهم عندهم تشبيهًا، وإنما أمام طلبة العلم الذين يفقهون هذه المعاني، ويعلمون أن هذا لا يقصد منه التشبيه.

ج ـ أن تُؤمَن الفتنة على من أمامه.

قلت: وأولى الأقوال بالصواب –في نظري– هو القول الرابع.

وحبذا لو بيَّن لمن فعل أمامهم ذلك.

س118: اذكر بعض آثار للسلف الدالة على هذا الأصل؟

ج ـ إليك بعض آثار السلف الدالة على هذا الأصل المهم [(1)].

أ ـ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما المتوفى سنة (84 هـ):

عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ:

((خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ: آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْعَرْشَ،وَالْقَلَمَ، وَجَنَّاتِ عَدْنٍ، ثُمَّ قَالَ لِسَائِرِ الْخَلْقِ: كُنْ فَكَانَ)) [(2)].

وجه الاستدلال: أنه ذكر الصفة على ظاهرها، فقال: خلق أربعة أشياء بيده، فجعل اليد هنا على حقيقتها.

ب ـ أبو العالية رحمه الله المتوفى سنة (93 هـ):

قال رحمه الله في قول الله جل جلاله: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[طه:5]، قال: "ارتفع" [(3)].

ج ـ مجاهد بن جبر رحمه الله المتوفى سنة (103 هـ):

قال رحمه الله في قول الله جل جلاله ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:5].

قال: "علا" [(4)].

وجه الاستدلال: حمل أبو العالية، ومجاهد العلو على حقيقته وظاهره.

---

(1) ـ أتينا ببعض الآثار في هذا الأصل ـ على خلاف شرط الاختصار المذكور في المقدمة ـ؛ لأهمية هذا الأصل، وكونه علامة فارقة بين أهل السنة، والمعطلة، والملفقة.

(2) ـ **إسناده صحيح:** رواه الدارمي (37)، والآجري في الشريعة (756)، وجود إسناده الذهبي.

(3) ـ **إسناده صحيح:** رواه البخاري معلقًا في كتاب التوحيد (باب: وكان عرشه على الماء).

(4) ـ **إسناده صحيح:** رواه البخاري معلقًا في كتاب التوحيد (باب: وكان عرشه على الماء).

د ـ أبو عبد الله عكرمة مولى ابن عباس المتوفى سنة (104 هـ): قال في قول الله ﷻ ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:64]. **"يعني: اليدين"** [1].

هـ ـ ابن أبي مليكة (117 هـ):

سئل ابن أبي مليكة عن يد الله أواحدة هي أم اثنتان؟

قال: **"بل اثنتان"** [2].

وجه الاستدلال: حمل عكرمة وابن أبي مليكة اليد على الحقيقة والظاهر.

و ـ الإمام حماد بن زيد رَحِمَهُ اللَّهُ المتوفى سنة (179):

سَأَلَ بِشْرُ بْنُ السَّرِيِّ حَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْمَاعِيلَ، الْحَدِيثُ الَّذِي جَاءَ «يَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» قَالَ:

((حَقٌّ كُلُّ ذَلِكَ كَيْفَ شَاءَ اللَّهُ)) [3].

وجه الاستدلال: قوله:**"حق"** يعني: حق على حقيقته وظاهره وأثبته لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

"كيف شاء" يعني: الكيفية نفوضها لله تعالى.

وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة، وهذا في غاية الوضوح.

ز ـ الوليد بن مسلم المتوفى سنة (195 هـ):

قال: سَأَلْتُ الْأَوْزَاعِيَّ، وَالثَّوْرِيَّ، وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، وَاللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ: عَنِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا الصِّفَاتُ؟ فَكُلُّهُمْ قَالَ:

---

(1) ـ **إسناده حسن:** رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (6580)، والدارمي في الرد على المريسي (51)

(2) ـ **إسناده صحيح:** رواه الدارمي في الرد على المريسي (52)، وأورده الذهبي في الأربعين في صفات رب العالمين (79) وصححه.

(3) ـ رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (158).

((أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا تَفْسِيرٍ)) [1].

وفي رواية: قال الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ: سَأَلْتُ الْأَوْزَاعِيَّ، وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، وَاللَّيْث بْنَ سَعْدٍ عَنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي، فِيهَا الرُّؤْيَةُ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَقَالُوا: ((أَمْضِهَا بِلَا كَيْفٍ)) [2].

وفي لفظ آخر: ((أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلا كَيْفَ)) [3].

أمروها كما جاءت: رد على المعطلة.

بلا كيف: رد على الممثلة.

((سؤال)):

قد يقال: هل يفهم من آثر الوليد بن مسلم أن السلف يفوضون المعنى؟

((الجواب)):

السلف لا يفوضون المعنى، -وقد بينا ذلك في غير هذا الموضع [4]-، وهم لو يريدون تفويض المعنى لأطلقوا، لقالوا:"**أمروها كما جاءت بلا معنى ولا كيف**" لكنهم لم يقولوا ذلك؛ لأن الصفات لها معان، ولها كيفية، فعندما قالوا:

"أمروها كما جاءت بلا كيف"

كما جاءت: يعني على ظاهرها.

بلا كيف: يعني بلا سؤال، ولا خوض في الكيفية.

فدل ذلك على أنهم يعرفون أن لها معاني، وهذه المعاني معلومة معروفة.

---

(1) ـ الشريعة، الآجري (720)، الإبانة الكبرى، ابن بطة (183).

(2) ـ كتاب "الصفات" الدارقطني (67).

(3) ـ أورده الذهبي في العرش (172).

(4) ـ في كتاب "أصول الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة في صفات الله"، يسر الله بإتمامه وطباعته.

وهؤلاء أئمة الدنيا في زمانهم، الأوزاعي والثوري، والليث -رحمهم الله تعالى ورضي عنهم-.

ح ـ الإمام سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ المتوفى سنة (189 هـ):

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ: سَأَلْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ قُلْتُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أُرِيدُ أَسْأَلُكَ، قَالَ: لَا تَسْأَلْ، قُلْتُ: إِذَا لَمْ أَسْأَلُكَ فَمَنْ أَسْأَلُ، قَالَ: سَلْ قُلْتُ مَا تَقُولُ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي رُوِيَتْ نَحْوَ: الْقُلُوبُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ، وَأَنَّ اللَّهَ يَضْحَكُ أَوَ يَعْجَبُ مِمَّنْ يَذْكُرُهُ فِي الْأَسْوَاقِ، فَقَالَ:

((أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلَا كَيْفٍ)) [1].

وجه الاستدلال: "كما جاءت" يعني: على ظاهرها.

ي ـ الإمام أحمد بن حنبل -رَحِمَهُ اللهُ- المتوفى سنة (241):

قال الْمَرُّوذِيُّ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ، قَالَ:

((نُمِرُّهَا كَمَا جَاءَتْ)) [2].

وقال أيضًا في شأن نصوص الصفات:

((يُسَلِّمُ بِهَا كَمَا جَاءَتْ فَقَدْ تَلَقَّاهَا الْعُلَمَاءُ بِالْقَبُولِ)) [3].

ط ـ الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ المتوفى سنة (279 هـ):

وما أعظم كلام الإمام الترمذي في الباب، وقد نقلته بتمامه لأهميته.

---

(1) ـ المراسيل لأبي داود (75).

(2) ـ **إسناده صحيح:** رواه ابن بطة في "الإبانة الكبرى" (253).

(3) ـ الجامع لعلوم الإمام أحمد (393/3).

قال الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ:

((إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ، فَيُرَبِّيهَا لِأَحَدِكُمْ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ، حَتَّى إِنَّ اللُّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ –عَزَّ وَجَلَّ–:وَ﴿هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾وَ﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾. هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ هَذَا.

وَقَدْ قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَمَا يُشْبِهُ هَذَا مِنَ الرِّوَايَاتِ مِنَ الصِّفَاتِ وَنُزُولِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالُوا: قَدْ تَثْبُتُ الرِّوَايَاتُ فِي هَذَا، وَيُؤْمَنُ بِهَا وَلَا يُتَوَهَّمُ وَلَا يُقَالُ كَيْفَ؟ هَكَذَا رُوِيَ عَنْ مَالِكٍ وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ :أَمِرُّوهَا بِلَا كَيْفٍ. وَهَكَذَا قَوْلُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَأَمَّا الْجَهْمِيَّةُ فَأَنْكَرَتْ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ وَقَالُوا: هَذَا تَشْبِيهٌ.

وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ الْيَدَ وَالسَّمْعَ وَالْبَصَرَ، فَتَأَوَّلَتِ الْجَهْمِيَّةُ هَذِهِ الْآيَاتِ فَفَسَّرُوهَا عَلَى غَيْرِ مَا فَسَّرَ أَهْلُ الْعِلْمِ، وَقَالُوا: إِنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقْ آدَمَ بِيَدِهِ! وَقَالُوا: إِنَّ مَعْنَى الْيَدِ هَهُنَا الْقُوَّةُ.

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ :إِنَّمَا يَكُونُ التَّشْبِيهُ إِذَا قَالَ: يَدٌ كَيَدٍ أَوْ مِثْلُ يَدٍ، أَوْ سَمْعٌ كَسَمْعٍ أَوْ مِثْلُ سَمْعٍ، فَإِذَا قَالَ سَمْعٌ كَسَمْعٍ أَوْ مِثْلُ سَمْعٍ فَهَذَا التَّشْبِيهُ [1].

---

(1) ـ وهذا الذي قاله أحمد حيث قال: ((وَقَدْ أَنْكَرَ أَحْمَدُ التَّشْبِيهَ، فَقَالَ فِي رِوَايَةِ حَنْبَلٍ: الْمُشَبِّهَةُ تَقُولُ: بَصَرٌ كَبَصَرِي، وَيَدٌ كَيَدِي، وَقَدَمٌ كَقَدَمِي، وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ فَقَدْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ)).

انظر: "الجامع لعلوم الإمام أحمد"، (344/3)ح، وإبطال التأويلات، أبو يعلى (43/1) ط (دار إيلاف العالمية) الكويت.

وَأَمَّا إِذَا قَالَ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَدٌ وَسَمْعٌ وَبَصَرٌ، وَلَا يَقُولُ كَيْفَ وَلَا يَقُولُ مِثْلُ سَمْعٍ وَلَا كَسَمْعٍ، فَهَذَا لَا يَكُونُ تَشْبِيهًا، وَهُوَ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾)) [1].

ك ـ قال الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ المتوفى سنة (280 هـ):

((وَالْقُرْآنُ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ، تُصْرَفُ مَعَانِيهِ إِلَى أَشْهَرِ مَا تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ فِي لُغَاتِهَا، وَأَعَمِّهَا عِنْدَهُمْ. فَإِنْ تَأَوَّلَ مُتَأَوِّلٌ مِثْلُكَ جَاهِلٌ فِي شَيْءٍ مِنْهُ خُصُوصًا، أَوْ صَرَفَهُ إِلَى مَعْنًى، بَعِيدٍ عَنِ الْعُمُومِ بِلَا أَثَرٍ، فَعَلَيْهِ الْبَيِّنَةُ عَلَى دَعْوَاهُ وَإِلَّا فَهُوَ عَلَى الْعُمُومِ أَبَدًا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَقَدْ كَفَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ تَفْسِيرَ هَذَا الْإِتْيَانِ، حَتَّى لَا تَحْتَاجَ لَهُ مِنْكَ إِلَى تَفْسِيرٍ، وَلَوْ لَمْ يَأْتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَنْ أَصْحَابِهِ فِيهِ أَثَرٌ لَمْ تَكُنْ مِمَّنْ يَعْتَمِدُ عَلَى تَفْسِيرِكَ لَمَّا أَنَّكَ فِيهِ ظَنِينٌ غَيْرُ أَمِينٍ)) [2].

ل ـ الإمام محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ المتوفى سنة (310 هـ).

((فإن قال لنا قائلٌ: فما الصواب من القول في معاني هذه الصفات التي ذكرت، وجاء ببعضها كتاب الله —عز وجل– ووحيه، وجاء ببعضها رسول الله ﷺ.

قيل: الصواب من هذا القول عندنا، أن نثبت حقائقها على ما نعرف من جهة الإثبات وننفي التشبيه، كما نفى ذلك عن نفسه —جل ثناؤه –فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. فيقال: الله سميعٌ بصيرٌ، له سمعٌ

---

[1] ـ انظر: سنن الترمذي (41/3)، تحت الحديث رقم: (662) ت: شاكر.

[2] ـ نقض الدارمي على المريسي (صـ 122 - 123) ت: الشوامي.

وبصرٌ؛ إذ لا يعقل مسمى سميعاً بصيراً في لغةٍ ولا عقلٍ في النشوء والعادة والمتعارف إلا من له سمعٌ وبصرٌ)) [1].

وجه الاستدلال: ذكر الإمام الطبري أن الصواب أن نثبت الصفات على الحقيقة من غير أن ندعي المجاز، ونقول أنها يلزم منها التشبيه في هذا الباب.

م ـ إمام الأئمة ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ المتوفى سنة (311 هـ):

((فَنَحْنُ وَجَمِيعُ عُلَمَائِنَا مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ وَتِهَامَةَ وَالْيَمَنِ، وَالْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ، مَذْهَبُنَا: أَنَّا نُثْبِتُ لِلَّهِ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ، نُقِرُّ بِذَلِكَ بِأَلْسِنَتِنَا، وَنُصَدِّقُ ذَلِكَ بِقُلُوبِنَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ نُشَبِّهَ وَجْهَ خَالِقِنَا بِوَجْهِ أَحَدٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، عَزَّ رَبُّنَا عَنْ أَنْ يُشْبِهَ الْمَخْلُوقِينَ، وَجَلَّ رَبُّنَا عَنْ مَقَالَةِ الْمُعَطِّلِينَ، وَعَزَّ أَنْ يَكُونَ عَدَمًا كَمَا قَالَهُ الْمُبْطِلُونَ، لِأَنَّ مَا لَا صِفَةَ لَهُ عَدَمٌ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْجَهْمِيُّونَ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ صِفَاتِ خَالِقِنَا الَّذِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ)) [2].

وجه الاستدلال: كأن الإمام ينقل الإجماع على إثبات الصفة على حقيقتها وعلى ظاهرها، وهو قول علماء أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر.

ن: الإمام اللالكائي رَحِمَهُ اللَّهُ المتوفي سنة (418 هـ):

قال الإمام: ((سِيَاقُ مَا دَلَّ مِنَ الْآيَاتِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ تَكَلَّمَ اللَّهُ بِهِ

(1) ـ التبصير في معالم الدين، الطبري (صـ 140 ـ 141) ط (دار العاصمة) السعودية.

(2) ـ كتاب التوحيد، ابن خزيمة (صـ 26) ط (دار الرشد) الرياض.

عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَأَنَّهُ أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَحَدَّى بِهِ، وَأَنْ يَدْعُوَ النَّاسَ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ الْقُرْآنُ عَلَى الْحَقِيقَةِ. مَتْلُوٌّ فِي الْمَحَارِيبِ، مَكْتُوبٌ فِي الْمَصَاحِفِ، مَحْفُوظٌ فِي صُدُورِ الرِّجَالِ، لَيْسَ بِحِكَايَةٍ وَلَا عِبَارَةٍ عَنْ قُرْآنٍ، وَهُوَ قُرْآنٌ وَاحِدٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَغَيْرُ مَجْعُولٍ وَمَرْبُوبٍ، بَلْ هُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ، لَمْ يَزَلْ بِهِ مُتَكَلِّمًا، وَمَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا فَهُوَ كَافِرٌ ضَالٌّ مُضِلٌّ مُبْتَدِعٌ مُخَالِفٌ لِمَذَاهِبِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ)) (1).

س: الإمام أبو يعلى رَحِمَهُ اللَّهُ المتوفى سنة (458 هـ):

((وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لا يَجُوزُ رَدُّ هَذِهِ الأَخْبَارِ عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، وَلا التَّشَاغُلُ بِتَأْوِيلِهَا عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الأَشْعَرِيَّةُ وَالْوَاجِبُ حَمْلُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا، وَأَنَّهَا صِفَاتٌ لِلَّهِ تَعَالَى لا تُشْبِهُ سَائِرَ الْمَوْصُوفِينَ بِهَا مِنَ الْخَلْقِ، وَلا نَعْتَقِدُ التَّشْبِيهَ فِيهَا، لَكِنْ عَلَى مَا رُوِيَ عَنْ شَيْخِنَا وَإِمَامِنَا أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ، وَغَيْرِهِ مِنْ أَئِمَّةِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ، أَنَّهُمْ قَالُوا فِي هَذِهِ الأَخْبَارِ :أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ، فَحَمَلُوهَا عَلَى ظَاهِرِهَا فِي أَنَّهَا صِفَاتٌ لِلَّهِ تَعَالَى لا تُشْبِهُ سَائِرَ الْمَوْصُوفِينَ)) (2).

وهذا تصريح من الإمام على أن نصوص الصفات تجري على الظاهر.

ع ـ الإمام ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ المتوفى سنة (436 هـ):

((أهلُ السنةِ مجموعونَ عَلَى الْإِقْرَارِ بِالصِّفَاتِ الْوَارِدَةِ كُلِّهَا فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِيمَانِ بِهَا وَحَمْلِهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ لا عَلَى الْمَجَازِ إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يُكَيِّفُونَ شَيْئًا مِنْ

---

(1) ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي (26/1) ت: نشأت كمال المصري، ط (المكتبة الإسلامية) القاهرة.
(2) ـ إبطال التأويلات، أبو يعلى (43/1) ط (دار إيلاف الدولية) الكويت.

ذَلِكَ وَلَا يَحُدُّونَ فِيهِ صِفَةً مَحْصُورَةً وَأَمَّا أَهْلُ الْبِدَعِ وَالْجَهْمِيَّةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ كُلُّهَا وَالْخَوَارِجُ فَكُلُّهُمْ يُنْكِرُهَا وَلَا يَحْمِلُ شَيْئًا مِنْهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ مَنْ أَقَرَّ بِهَا مُشَبِّهٌ وَهُمْ عِنْدَ مَنْ أَثْبَتَهَا نَافُونَ لِلْمَعْبُودِ وَالْحَقُّ فِيمَا قَالَهُ الْقَائِلُونَ بِمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ وَهُمْ أَئِمَّةُ الْجَمَاعَةِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ)) (1).

وجه الاستدلال: التصريح من الإمام بحمل الصفات على الحقيقة والظاهر لا المجاز.

ف ـ نختم بكلام المحقق المدقق شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يقول:

((فَمَذْهَبُ السَّلَفِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إثْبَاتُ الصِّفَاتِ وَإِجْرَاؤُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا وَنَفْيُ الْكَيْفِيَّةِ عَنْهَا. لِأَنَّ الْكَلَامَ فِي الصِّفَاتِ فَرْعٌ عَنْ الْكَلَامِ فِي الذَّاتِ وَإِثْبَاتُ الذَّاتِ إثْبَاتُ وُجُودٍ؛ لَا إثْبَاتُ كَيْفِيَّةٍ فَكَذَلِكَ إثْبَاتُ الصِّفَاتِ)) (2).

وجه الاستدلال: صرح الإمام بأن مذهب السلف إجراء الصفات على ظاهرها.

---

(1) ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر (145/7) ط (وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية المغربية) المغرب.

(2) ـ مجموع الفتاوى، ابن تيمية (6/4) ط (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد) السعودية.

أسئلة تتعلق بالأصل السابع

((نصوص الصفات معلومة لنا من وجه، مجهولة لنا من وجه))

س119: ما معنى هذا الأصل "نصوص الصفات معلومة لنا من وجه ومجهولة لنا من وجه"؟

ج ـ معنى هذا الأصل:

أن الصفات التي وردت في النصوص الشرعية، معلومة لنا من وجه ومجهولة لنا من وجه آخر، فهي معلومة لنا من جهة المعنى، مجهولة من جهة الكيفية.

الصفة لها معنى ولها كيفية، فالمعنى هو المعنى اللغوي، فالرحمة معلومة لغة، والضحك معلوم لغة، والغضب معلوم لغة.

لكن ما كيفية الغضب، وما كيفية الضحك؟

كيفية الصفة مجهولة لنا، نحن لا نعلمها، توجد كيفية لكننا لا نعلمها.

تطبيق:

قال الله ﷻ:﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:5].

صفة الاستواء لها: (معنى) و (كيفية).

المعنى (معنى الصفة في اللغة) = معلوم.

الكيف (كيفية الاستواء) = مجهول.

فالاستواء معلوم من جهة المعنى، ومعناه (العلو، والارتفاع) [1].

---

(1) ـ وغير ذلك من المعاني التى وردت عن السلف، ومنها:
(العلو ــ الاستقرار ــ الارتفاع ــ فوق ــ صعد ــ جلس وقعد)، وكل ذلك ورد عن السلف، وقد تحفظ بعض العلماء على بعض هذه المعاني، كالذهبي تحفظ على "استقر". والبعض تحفظ على "الجلوس والقعود" للمقال في أسانيدها.
قلت: وأشهر المعاني المعتمدة: ((العلو – والارتفاع)).

والاستواء مجهول لنا من جهة الكيفية.

س120: على مَن يرد هذا الأصل مِن طوائف أهل البدع؟

ج ـ هذا الأصل يرد على مدرسة من المدارس المخالفة لأهل السنة والجماعة في باب الصفات وهي:

(مدرسة التفويض، أو مدرسة المفوضة)

س121: وما المدارس المخالفة لأهل السنة والجماعة في باب الصفات؟

ج ـ هناك أربع مدارس مخالفة لأهل السنة والجماعة في باب الصفات وهي:

((المعطلة – المُشَبِّهة – المخلطة الملفقة – المُفَوِّضة))

1– المدرسة الأولي ((مدرسة التعطيل)):

ويدخل تحتها:

(الفلاسفة والباطنية وأصحاب وحدة الوجود والجهمية والمعتزلة)

2– المدرسة الثانية ((مدرسة المُشَبِّهة)):

ويدخل تحتها:

(بعض الخوارج، وقدماء الرافضة، والكرامية والهشامية والجواليقية وغيرهم)

3– المدرسة الثالثة: ((مدرسة المُفَوِّضَة)):

ويدخل تحتها:

(بعض أهل الكلام) وليس لها طائفة بعينها تحمل لواءها.

4– المدرسة الرابعة ((مدرسة المخلطة الملفقة)):

وهم الذين جمعوا بين بعض أصول أهل السنة والجماعة، وبعض أصول المعطلة.

ويدخل تحتها:

(الكلابية والأشعرية والماتردية)

ومن ضبط هذه التقسيمة كان عنده ضبطًا إجماليًا للطوائف المخالفة لأهل السنة في الصفات [1].

س122: اذكر نبذة مختصرة يسيرة عن مدرسة التفويض؟

ج ـ أصحاب مدرسة التفويض هم الذين يفوضون المعنى والكيف، وإليك شيئًا عن التفويض:

التفويض لغة: الرد إلى الشيء، والتحكيم فيه، والتوكيل.

تفويض الصفات في الاصطلاح: الحكم بأن معاني نصوص الصفات مجهولة غير معقولة، ولا يعلمها إلا الله.

أو: هو إثبات الصفات وتفويض المعنى، والكيفية.

ـــ وهذه المقالة ظهرت في القرن الرابع،وساعد في ظهورها أنها وقعت من بعض الأئمة الأعلام:

(كالخطابي، والبيهقي، وأبو يعلى، والجويني في أخر حياته)

ـــ والمفوضة أقسام،وقد فصلنا الكلام عن هذه المدرسة في غير هذا الموضع (2).

وبالله التوفيق.

(1) ـ هذه التقسيمة مستقاة من شيخنا، فضيلة الدكتور: سلطان العميري ـــحفظه اللهـــ.
انظر: العقود الدرية شرح الواسطية (1/43 -44) ط (دار مدارك) السعودية.

(2) ـ في كتاب "أصول الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة في صفات الله"، يسر الله بإتمامه وطباعته.

س123: ولماذا كانت نصوص الصفات معلومة لنا من جهة المعنى، مجهولة من جهة الكيفية؟ ولماذا سار السلف على هذا الأصل؟

ج ـ أما كونها معلومة لنا من جهة المعنى:

فلأن الله خاطبنا باللسان العربي المبين، فوجب قبول المعنى على ظاهره اللائق بالله سبحانه وتعالى، ولأن ما أخبر الله سبحانه وتعالى به عن نفسه هو أعلى مراتب الإخبار،قال الله جل جلاله:﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾[النساء:87]،﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾[النساء:122]، فما أخبرنا الله سبحانه وتعالى به عن نفسه وعن صفاته :- أعلى مراتب الإخبار، فمحال أن يكون ما أخبر الله سبحانه وتعالى به عن نفسه وأنزله في كتابه أو أوحى إلى نبيه به في سنته:- مجهول المعنى، لا يفهم منه شيئًا، ويكونَ النبي سبحانه وتعالى الذي تكلم بهذه النصوص، وتكلم بالقرآن لا يعرف هذه المعاني، ونصوص الصفات في القرآن والسنة كثيرة جدًا، ولا يعقل أن يكون جبريل عليه السلام الذي نزل بهذا القرآن لا يعرف من معانيها شيئًا ويتكلم بها وينقلها للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو لا يعرف معناها!!

وهل يعقل أن يكون الصحابة رضي الله عنهم أخذوا القرآن ورددوه وعلموه للناس دون معرفة المعاني، فالمعاني معلومة وسندلل -إن شاء الله- على ذلك.

وأما كونها مجهولة لنا من جهة الكيفية:

فلأن الله -تعالى- أخبرنا عن صفاته، ولم يخبرنا عن كيفية صفاته، فقد أخبرنا الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم أنه ينزل، ولم يخبرنا كيف ينزل؟ فتكون الكيفية بالنسبة لنا مجهولة.

ثم نقول: ولأن الذي يكيف الصفات لا بد له من أمر من هذه الأمور، إما أن يرى الموصوف، أو يرى مثله، أو يخبره الثقة بالكيفية، أو يوحي إليه، وكل هذه الأمور باطلة.

س124: ما هي الأدلة على هذا الأصل؟

ج ـ الأدلة على هذا الأصل لها شقان:

الشق الأول: الكلام على العلم بالمعنى.

الشق الثاني: الكلام على الجهل بالكيف بالنسبة لنا.

أولًا: الدليل على أن نصوص الصفات معلومة من جهة المعنى:

((الدليل الأول)):

قال الله ﷻ:﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾[ص:29].

وجه الاستدلال: أن الله تعالى حض على تدبر آيات القرآن، فدل ذلك على أن آياته معلومة مفهومة، وذلك لأن التدبر لا يكون إلا فيما يمكن أن يفهم معناه، ومما يُتدبَّر معاني آيات الصفات.

((الدليل الثاني)):

قال الله ﷻ:﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[يوسف:2].

وجه الاستدلال: كون القرآن عربيًا ليعقله من يفهم العربية، وهذا يدل على أن معناه مفهوم معلوم، ومن معاني القرآن التي نعقلها:- نصوص الصفات، والكلام على ذات الله وصفاته سبحانه وتعالى.

((الدليل الثالث)):

قال الله ﷻ: ﴿ **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** ﴾[الشعراء:195].

وجه الاستدلال: أن القرآن نزل بلسان عربي ،ويفهم ما فيه من معان على ما يقتضيه اللسان العربي.

((الدليل الرابع)):

العقل يدل على ذلك، وبيان ذلك أن نقول:

محال أن ينزل ربنا تعالى كتابًا فيه الكثير والكثير من نصوص الصفات، ويوحي إلى النبي ﷺ في السنة بالكثير من نصوص الصفات، ويكون هذا الكلام في الكتاب والسنة هداية للخلق، ويبقى أعظم ما في هذا الكتاب أو في السنة مجهول المعنى، هل هذا يُعقل؟

ونقول أيضًا عقلًا: إن عدم القول بعلم المعنى يلزم منه تجهيل جبريل عليه السلام، والنبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم ، -حاش لله-.

ـــوهل يعقل أن ينزل جبريل عليه السلام بكلام لا يعقل معنى أشرف ما فيه؟

ـــ وهل النبي ﷺ الذي أرسله الله رحمة للعالمين، والذي جعله تعالى مبينًا للناس، تكلم بهذا القرآن ولا يعرف معاني نصوص الصفات؟

ـــوهل الصحابة رضي الله عنهم الذين نقلوا الدين، وسالت دماؤهم، وتقطعت أشلاؤهم في سبيل هذا الدين:- لا يعرفون معاني هذه النصوص التي هي أعظم النصوص الموجودة في كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-؟!

ثانيًا: ((الأدلة على الجهل بالكيف بالنسبة لنا)):

((الدليل الأول)):

قال الله ﷻ:﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[طه:110]،

وجه الاستدلال: من تكلم في كيفية صفات الله ﷻ، وفي كنه الصفة، وفي كيفية هذه الصفة فإنه ادعى أنه قد أحاط بربه علمًا، وهذا تكذيب للقرآن؛ لأن الله ﷻ نفى الإحاطة به علمًا سبحانه وتعالى.

ولا سبيل لأحد أن يعرف عن الله معاني أوكيفية إلا إذا أخبره الله سبحانه وتعالى بالمعاني والكيفية، وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى عن نصوص الصفات باللغة العربية التي معناها معلوم، وحجب ربنا سبحانه وتعالى عنا الكيفية، فهي مجهولة بالنسبة لنا.

((الدليل الثاني)):

قال الله ﷻ:﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[البقرة:255].

وجه الاستدلال: كالسابق

((الدليل الثالث)):

قال الله ﷻ:﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[الإسراء:36]،

وجه الاستدلال: **(لا تقف)** يعني: لا تتبع ما ليس لك به علم، ومن تكلم في كيفية صفات الله -عَزَّ وَجَلَّ- فإنه قد تتبع ما لا علم له به، وخالف هذا النهي؛ لأن الكيفية مجهولة بالنسبة لنا.

((الدليل الرابع)):

قال الله ﷻ:﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ

وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾[الأعراف:33]،

وجه الاستدلال: من تكلم في الكيفية وخاض فيها فإنه تَقَوَّل على الله ﷻ بما لا علم له به، وهذا من أعظم الذنوب التي حرَّمَها الله ﷻ؛ لأن الكيفية مجهولة بالنسبة لنا.

((الدليل الخامس)):

دليل عقلي: فالعقل يدل على أن كيفية صفات الله ﷻ؛ مجهولة بالنسبة لنا؛ لأن العلم بالكيفية يستلزم أمر من هذه **الأمور الأربعة**: (رؤية ــ مثلية ــ خبر ــ وحي)

الأمر الأول (الرؤية): أن يرى الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

الأمر الثاني (المثلية): أن يرى مثيلًا لله -عَزَّ وَجَلَّ-.

الأمر الثالث (الخبر): أن يخبره بذلك النبي ﷺ.

الأمر الرابع (الوحي): أن ينزل عليه الوحي من عند الله -عَزَّ وَجَلَّ- يخبره بكيفية الصفة.

وكلها باطلة، غير موجودة ولا واقعة.

أسئلة تتعلق بالأصل الثامن

((وأنها ثابتة لله –عَزَّ وَجَلَّ– على وجه لا يماثله المخلوق))

س125: ما معنى هذا الأصل "الصفات ثابتة لله –عَزَّ وَجَلَّ– على وجه لا يماثله المخلوق؟

ج ـ معنى هذا الأصل:

أن صفات الكمال ونعوت الجلال التي اتصف الله بها ثابتة له؛ لأنه أثبتها لنفسه أو أثبتها له النبي ﷺ في سنته، وهي ثابتة له سبحانه وتعالى على وجه لا يماثله فيها المخلوق، إذ إنه لا يلزم من إثبات الصفات لله سبحانه وتعالى المماثلة.

تطبيق:

الله سبحانه وتعالى سميع وبصير، والإنسان سميع وبصير، لكن سمع الإنسان يليق بعجزه ونقصه فالإنسان إذا وقف بعيدًا فإنه لا يسمع، ولو أمامك جدار وهناك من يتكلم خلف الجدار فأنت لا تسمعه؛ لأن سمعنا قاصر وناقص وضعيف، وعندما تكبر سِنُّ الإنسان يثقل سمعه.

أما سمع الله تعالى فيليق بكماله وجلاله سبحانه وتعالى، فهو سبحانه وتعالى لا يخفى عن سمعه شئ من المسموعات، فهو يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الملساء.

وأيضًا بَصَرُ الإنسان يليق بنقصه وعجزه، فبصر الإنسان له حد معين، فالإنسان لا يرى الأشياء البعيدة، ولا الأشياء الدقيقة جدًا، وهناك أشياء أنت لا تراها، فأنت لا ترى الملائكة، ولا ترى الشياطين، ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ﴾[الأعراف:27]، والإنسان البصير عندما يكبر يضعف بصره،

ويحتاج إلى نظارة، أو عدسات لتساعده على الرؤية، أما ربنا تعالى فبصره تام مطلق، فهو البصير الذي كمل بصره سبحانه وتعالى.

تطبيق (في صفة الحياة):

صفة الحياة: الله تعالى حي، والإنسان حي، فالحياة صفة للخالق والمخلوق، لكن حياة الله تعالى ليست كحياة البشر المخلوق، فالمخلوق قبل إنعام الله عليه بنعمة الحياة كان ميتًا، كما قال تعالى:﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ** ﴾[البقرة:28].

وبعد ذلك تكون حيًا، وأثناء هذه الحياة تكون ضعيفًا، لاتملك من أمرك شيئًا، ولو أُخذَ صغيرًا وأُلقي في مزبلة، لا يملك نجاة نفسه، كما قال ﷻ:﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ**﴾[النحل:78]، ثم تعيش هذه الحياة وتكون ضعيفًا في بداية عمرك، ثم بعد ذلك تصير بفضل الله تعالى قويًا، لكن في هذه الحياة تصاب بالأمراض، والابتلاءات، والأحزان، والنوم، وكل هذه الأشياء تدل على النقص في هذه الحياة، وبعد هذه الحياة تموت، فهذا نقص في هذه الحياة.

أما ربنا ﷻ فهو الأول الذي ليس قبله شيء، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء ﷻ.

س126: ما الدليل على هذا الأصل "الصفات ثابتة لله ﷻ على وجه لا يماثله المخلوق"؟

ج - قد سبق الكلام على التمثيل –في مطلع الشرح– عندما شرحنا عقيدة

أهل السنة والجماعة في صفات الله، وقد ذكرنا فيما سبق بعض المسائل منها:

أ ـ ما تعريف التمثيل؟ ب ـ من أول من وقع في التشبيه والتمثيل؟

ج ـ وما الذي حمل الممثلة على هذا التمثيل والتشبيه؟

د ـ ما الأدلة على بطلان التمثيل؟ (1).

وإليك بعض الأدلة على بطلان التمثيل:

((الدليل الأول)):

قول الله ﷻ:﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾[الشورى:11].

وجه الاستدلال: نفي المثلية، فبين الله ﷻ أنه ليس كمثله شيء.

((الدليل الثاني)):

قول الله ﷻ:﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾[مريم:65].

وجه الاستدلال: هذا استفهام إنكاري، يراد به النفي،ومعناه: هل تعلم لله شبيهًا ونظيرًا؟

تعالى الله، ليس له شبيهٌ ولا نظيرٌ، ولا سميٌّ ﷻ.

((الدليل الثالث)):

قول الله ﷻ: ﴿**فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا**﴾[البقرة:22].

وجه الاستدلال:النهي،يعني لا تجعلوا لله نظراءً ولا تجعلوا لله نظراءَ ولا أشباهًا.

((الدليل الرابع)):

قال تبارك وتعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ**

(1) ـ انظر: (صـ 60:66) سؤال رقم:(56، 59، 60، 61)

كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص:1/4].

ووجه الاستدلال من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول:

أنه قال: الأحد، والأحد اسم من أسماء الله تعالى يدل على تفرده بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات، فلا يماثله أحد ولا يشاركه أحد في هذه الأشياء.

الوجه الثاني:

"الصمد" هذا الاسم الجليل يدل على الكمال التام، فإن من معاني الصمد: الكامل في صفاته، يعني العليم الذي كمل علمه، والبصير الذي كمل بصره، والقدير الذي كملت قدرته، والقوي الذي كملت قوته، والعظيم الذي كملت عظمته، والكامل في صفاته ولا يماثله فيها أحد.

الوجه الثالث:

"ولم يكن له كفوًا أحدٌ"، يعني لم يكن له مثيلٌ ولا نظيرٌ ولا مكافئُ سبحانه وتعالى، وهذا يدل على أن صفات الله سبحانه وتعالى ثابتة له على وجه لا يماثل أبدًا صفات المخلوق.

((الدليل الخامس)):

قول الله جل جلاله:﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾[النحل:60].

وجه الاستدلال: المثل الأعلى يعني الوصف الأعلى،-على وجه من وجوه التفسير- فربنا سبحانه وتعالى له الوصف الأعلى، ولو كانت صفات الخالق كصفات المخلوق، ومُماثِلة لها لم يكن لله الوصف الأعلى.

((الدليل السادس)):

قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ:((يَوْمَ يُحْشَرُ الْعِبَادُ -أَوْ قَالَ: النَّاسُ- حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عَلَيْهِ مَظْلِمَةٌ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مَنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلِأَحَدٍ مَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ حَتَّى اللَّطْمَةَ)). قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاةً حُفَاةً غُرْلًا بُهْمًا، قَالَ:((بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ)) (1).

وجه الاستدلال: أن الله ﷻ ينادي الناس -من لدن آدم إلى قيام الساعة- بصوت يسمعه من قَرُب كما يسمعه من بَعُد، ولو كانت صفات الخالق ﷻ كصفات المخلوق، ما كان صوته يسمعه ما بَعُد كما يسمعه من قَرُب.

((الدليل السابع)):

قَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ، أَنَّ عَلِيًّا الْأَزْدِيَّ، أَخْبَرَهُ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما عَلَّمَهُمْ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: ((سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ،

(1) ـ رواه أحمد (16042)، والحاكم (7815)، وصححه الذهبي.

وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ))،وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ:((آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ)) [1].

وجه الاستدلال: أنه تعالى صاحب في السفر وخليفة في الأهل، فدل ذلك على أن صفات الخالق ليست كصفات المخلوق؛لأن المخلوق إما أن يصاحب المخلوق في السفر، أو يخلفه في أهله.

((الدليل الثامن)):

دليل عقلي:

التساوي في الاسم لا يستلزم التساوي في المسمي، بمعنى: أنا سميع وبصير، وربي سميع وبصير،والتساوي في الأسماء والصفات لا يلزم منه التساوي في كنه الصفة وفي ذات الصفة.

فصفات المخلوق تليق بعجزه ونقصه، وأما صفات الله –تبارك وتعالى– فهي غاية في الكمال والحسن، تليق بجماله وكماله وجلاله وعظمته وقدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

مثال:

للحمار يد، وللقرد يد، وللفيل يد، وللأرنب يد، وللفأر يد، وللكنغور يد، وللنملة يد، وللإنسان يد.

وكل هذه الأشياء لها أيدٍ وكلها مخلوقة، لكن سبحان الله! هناك تباين، فيد الإنسان تليق بالكمال الذي فيه، والتكريم الذي كرمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى به، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[الإسراء:70]، ويد الإنسان تختلف عن يد الأرنب، والفأر،

(1) ـ رواه مسلم (1342)، وأبو داود (2599)، والترمذي (3447).

والنملة...إلخ، فهناك تباين كبير بين مخلوق ومخلوق، مع أن الاسم واحد "يد" فكيف بين الخالق والمخلوق؟! سبحان الله!

((الدليل التاسع)):

الفطرة:

الفطرة تدل على بطلان التمثيل؛ فالإنسان بفطرته جُبل على التفريق بين الخالق والمخلوق، وأن صفات الخالق ليست كصفات المخلوق.

ولذلك عند الملمات وانقطاع السبل يستغيث الناس بالله؛ لأن صفات الخالق ليست كصفات المخلوق، فالخالق الذي له صفات الكمال هو القادر على إغاثة من انقطعت به السبل.

كما قال ﷻ عن المشركين:﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[العنكبوت:65] [1].

((الدليل العاشر)):

الدليل الثامن: دليل عقلي وهو أن الإنسان لكي يصف ربه تعالى بصفات تماثل صفات المخلوقات لا بد له من أمور:

(رؤية – مثلية – خبر – وحي)

الأمر الأول (الرؤية): أن يرى الله ﷻ.

الأمر الثاني (المثلية): أن يرى مثيلًا لله ﷻ.

---

(1) ـ تأمل: أنجاهم الله من الملمة والمصيبة مع علمه أنهم سيشركون به، هذا تعامل الله مع المشركين، فيكيف بمن قال: لا إله إلا الله؟!

الأمر الثالث (الخبر): أن يخبره بذلك النبي ﷺ.

الأمر الرابع (الوحي): أن ينزل عليه الوحي من عند الله سبحانه وتعالى يخبره بكيفية الصفة.

وكلها باطلة، غير موجودة ولا واقعة.

س127: على من يرد هذا الأصل من الطوائف؟

ج - يرد على طائفتين:

هذا الأصل يرد على طائفتين من الطوائف المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة في باب الصفات:

الطائفة الأولى: طائفة التعطيل بأقسامها.

الطائفة الثانية: طائفة التمثيل، أو طائفة المشبهة الذين يجعلون صفات الخالق كصفات المخلوق، يمثلون الله سبحانه وتعالى رضي الله عنهما بخلقه، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

سؤال: كيف يرد هذا الأصل على المعطلة، وما علاقته بهم؟

والجواب: إن أهل التعطيل لهم أصول، ومن أهمها أن الصفات لو أثبتناها لله على الحقيقة سيلزم من ذلك تشبيه الخالق بالمخلوق، فمنهم من نفى هذه الصفات كلية، ومنهم من نفى بعضها [1]، بناء على هذا الأصل -وغيره من أصولهم [2]- فترتب على هذا الأصل وهذه العقائد:- نفيُ الصفات كلية عن

---

(1) ـ والمقصود بذلك (مدرسة الملفقة بتياراتها وطوائفها "كلابية، أشاعرة، وماتردية") وإن كانوا في حقيقة الأمر ليسوا كالمعطلة، من جهة نفي قيام الصفة بالذات، ولكن وقعوا في تعطيل الكثير من الصفات، بحجة التأويل والتفويض.

(2) ـ كدليل التركيب، وتعدد القدماء، وحلول الحوادث.

الله ﷻ، فقالوا: لأننا لو أثبتناها شبهنا الخالق بالمخلوق، فهذا الأصل يرد على الأمر الذي حملهم على نفي الصفات، وهو خوف الوقوع في التشبيه.

إذن فالأصل عند المعطلة في هذا الباب أنهم خافوا من الوقوع في التمثيل بسبب الإثبات فوقعوا في أمر خطير جدًا وهو التعطيل، وهذا الأصل يرد عليهم من هذه الجهة.

أسئلة تتعلق بالأصل التاسع

((أنها قائمة بالله –عَزَّ وَجَلَّ))

س128: ما معنى هذا الأصل " صفات الله قائمة بذات الله"؟

ج ـ معنى هذا الأصل:

أن الصفات قائمة بذات الله، وليست منفصلة عن الله ﷻ، أو خلقها في غيره، بل هي قائمة بذاته ﷻ.

وهذا بخلاف مذهب الجهمية والمعتزلة –ومن وافقهم– الذين يقولون إن الصفات لا تقوم بذات الله.

س129: على من يرد هذا الأصل من الطوائف؟

ج ـ يرد على طائفة المعطلة:

الذين يزعمون أن الصفات لا تقوم بذات الله ﷻ، وذلك لأصول عندهم مثل: (دليل التركيب – تعدد القدماء – حلول الحوادث).

وهي أصول باطلة منكرة، قد بين فسادها أهل السنة والجماعة.

س130: ما الدليل على هذا الأصل؟

ج ـ هذا الأصل العظيم دلت علية أدلة، ومنها:

((الدليل الأول)):

أن الصفة إذا أضيفت لمحل عاد حكمها إلى ذلك المحل دون غيره.

برهان ذلك:

قال الله ﷻ:﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ

﴿كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[فصلت:21].

وجه الاستدلال: أخبر الله أن هذه الجلود نطقت، وقد علم أصحابها أنها هي التي تكلمت، ولذلك خاطبوها، وأضافوا الكلام لها ووصفوها به –مع أنها ليست محلًا للكلام– وأنكروا عليها الشهادة عليهم؛ لأنها لما تكلمت وأضيف الكلام إليها عاد الحكم إليها دون غيرها.

((الدليل الثاني)):

قال الله ﷻ:﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[القصص:30].

وجه الاستدلال: أن الذي نادى موسى ﷺ هو الله سبحانه وتعالى، كما دلت عليه بعض الآيات الآخرى،قال سبحانه وتعالى:﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾[مريم:52]،وقال سبحانه وتعالى:﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[الشعراء:10]. فلما أضاف الله الكلام إلى نفسه، كان هو المُتَكَلِّم به.

سؤال: وما الدليل على أن الله هو الذي تكلم، ألا يمكن أن يكون قد خلق الكلام في الشجرة كما تقول المعتزلة؟

الجواب: بالقطع واليقين الذي تكلم هو الله.

((برهان ذلك)):

قوله تعالى:﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ فهل الشجرة ستقول ذلك؟!

وهذا يدل على ما سبق وذكرناه: "الصفة إذا إضيفت إلى محل عاد حكمها إلى ذلك المحل دون غيره.

((الدليل الثالث)):

قال الله ﷻ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[النساء:164].

وجه الاستدلال: أضاف الله الكلام إلى نفسه، ولم يقل: إنه أوجده في غيره، بل وأكَّد ذلك فقال: "تكلميًا"، فدل ذلك على أنه صفته.

((الدليل الرابع)):

وهو دليل عقلي، ومضمونه:

"أن الوجود الخارجي الحقيقي لا بد له من صفات تقوم بالموجود".

وهذا أمر معلوم، لا ينكره إلا مجنون.

((الدليل الخامس)):

إنكار قيام الصفات بالذات، يترتب عليه إنكار الذات؛ لأنه لو جاز ذلك، لصح قول من يقول: هذا مُصلٍّ بدون صلاة، وهذا صائم بلا صيام.

س131: ما هي العلاقة بين الصفة والذات؟

ج ـ هناك علاقات بينهما، ومنها:

أ ـ التلازم (وجودي – إيماني)

التلازم الوجودي: وجود الذات يستلزم وجود الصفات.

التلازم الإيماني: الإيمان –الصحيح [1]– بالذات يستلزم الإيمان بالصفات.

(وانعدام اللازم انعدام للملزوم).

ب ـ الصفة حقيقة أو معنى يقوم بالذات، فلا توجد ذات بغير صفات.

ج ـ الصفة تابعة للذات، فمثلًا لو الذات مخلوقة فالصفة مخلوقة، ولو الذات

(1) ـ قيدنا بالصحيح، حتى لا يُعارض الكلام بأن الجهمية والمعتزلة، يؤمنون بذات لا تقوم بها صفات.

غير مخلوقة فصفتها غير مخلوقة.

س132: في هذا الأصل "الصفات قائمة بذات الله"، سؤال وهو:

هل يجوز ذكر لفظ "الذات"؟

ج ـ هذه المسألة تتعلق بالألفاظ في صفات الله ﷻ، وهي لها تفصيل على ما يلي:

الألفاظ المتعلقة بباب صفات الله ﷻ تنقسم إلي ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ألفاظ وردت في النصوص الشرعية.

القسم الثاني: ألفاظ لم ترد في النصوص الشرعية، ولكنها وردت على ألسنة السلف.

القسم الثالث: ألفاظ لم ترد لا في النصوص الشرعية، ولا على ألسنة السلف.

وردت في النصوص الشرعية.

ولكل قسم من هذه الأقسام حكم، وإليك بيان ذلك:

1- ((القسم الأول)):

ألفاظ وردت في النصوص الشرعية.

مثل لفظ: "الذات".

حكمه: يجوز إطلاقه على الله لأنه ورد في النصوص الشرعية.

سؤال: وما الدليل على أن لفظ (الذات) ورد في النصوص الشرعية؟

((برهان ذلك)):

أ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:**((لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ**

عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللهِ، قَوْلُهُ: إِنِّي سَقِيمٌ، وَقَوْلُهُ: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ....)) [1].

ب ـ حديث خبيب رضي الله عنه: ((...قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ: ذَرُونِي أَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ،فَتَرَكُوهُ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: لَوْلاَ أَنْ تَظُنُّوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَطَوَّلْتُهَا، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا مَا أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ [2] مُمَزَّعِ....)) [3].

2- ((القسم الثاني)):

ألفاظ لم ترد في النصوص الشرعية، ولكنها وردت على ألسنة السلف.

مثل لفظ (بائن) في قولهم: "بائن من خلقه".

حكمه: يجوز أن يُطلق على الله سبحانه وتعالى؛ لأنه معنى صحيح وورد كثيرًا عن جماعات من أهل السنة واتفقت كلمة السلف على معناه.

3- ((القسم الثالث)):

ألفاظ لم ترد في النصوص الشرعية، ولا على ألسنة السلف.

حكمه: فيه تفصيل؛ لأن هذا الحكم يتعلق باللفظ من جهتين:

حكمه (من جهة المعنى): يُتَوقف فيه ويُسْأَل عن معناه فإن كان المعنى صحيحًا موافقًا لكلام أهل السنة والجماعة، قبلنا المعنى، وإن كان مخالفًا رددناه.

حكمه (من جهة اللفظ): ينظر في هذا اللفظ إن كان يوهم تشبيهًا فلا يجوز

---

(1) ـ رواه البخاري (3358)، ومسلم (2371).

(2) ـ **شلو:** جمع أشلاء، والشلو هو العضو، والقطعة من اللحم.

(3) ـ رواه البخاري (3045).

إطلاقه على الله ويستبدل بلفظ ورد في الشرع أو على لسان السلف ولا نَقبل به.

((مثال)):

لفظ "الجسم" (الله جسم لا كالأجسام).

أولًا: لفظ "**الجسم**" لفظ محدث، لم يرد في النصوص الشرعية، ولا في كلام السلف.

ثانيًا: إن قُصد بالجسم: المركب من أبعاض وجوارح، ولحم.....إلخ

فهذه معنى مردود باطل.

لقول الله ﷻ:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:11].

وإن قُصد بالجسم:- ذاتٌ ليست كذوات المخلوقين،فهو بائن عن المخلوقات له صفات كمال وهي قائمة بالذات.... إلخ.

فهذا معنى صحيح مقبول.

ونقول للقائل: "أصبت في المعني وأخطأت في اللفظ"، ولا تطلق على الله لفظ الجسم؛ لأنه لم يرد في النصوص ولا عن السلف وهو يوهم التشبيه.

أسئلة تتعلق بالأصل العاشر

((المضاف إلى الله نوعان، صفة لموصوف وخالق لمخلوق))

س133: ما معنى هذا الأصل؟

ج ـ معنى هذا الأصل:

أن المضاف إلى الله نوعان:

أ ـ مملوكات.

ب ـ صفات.

فأما "المملوكات": فهي أعيان قائمة بذاتها.

وأما "الصفات": فهي حقائق ومعانٍ لا تقوم بذاتها.

س134: اذكر أمثلة تطبيقية على النوعين؟

ج ـ أمثلة تطبيقية:

أمثلة تطبيقة على المملوكات:

تطبيق (1):

قال الله ﷻ: ﴿**فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا**﴾ [الشمس:13].

"نَاقَةَ اللَّهِ": الناقة أضافها الله إلى نفسه، وهذه إضافة مملوكات؛ لأن الناقة عين قائمة بذاتها.

سؤال: ما معنى عين قائمة بذاتها؟

الجواب: العين القائمة بذاتها، هي العين المنفصلة وحدها سواء أكانت من الجمادات، أو النباتات، أو الأحياء (حياة روحية)، أو غيرها.

"الجمادات":التي ليس فيها حياة روحية ولا نباتية،(كالحجر،والبحر، والخشب، والحديد، والبيت.....إلخ).

"النباتات": معروفة، وهي التي فيها حياة نباتية، (كالشجر، والزهرة، والزروع، والورود .....إلخ).

"الأحياء":التي فيها حياة روحية،(كالإنسان، والحيوانات، والحشرات، والطيور)

"وغير ذلك": مما لا يدخل فيما سبق، كـ "الروح" فهي عين قائمة بذاتها، وفيها حياة والله أعلم بها.

تطبيق (2):

قال الله ﷻ:﴿**يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ**﴾ [العنكبوت:56].

"يَا عِبَادِيَ": أضاف الله ﷻ العباد لنفسه، وهذه إضافة مملوكات؛ لأن العبد عين قائمة بذاتها.

"أَرْضِي وَاسِعَةٌ": أضاف الله ﷻ الأرض لنفسه، وهذه إضافة مملوكات؛ لأن الأرض عين قائمة بذاتها.

تطبيق (3):

قال الله ﷻ:﴿**وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾[الحج:26].

"وَطَهِّرْ بَيْتِيَ": أضاف الله ﷻ "البيت الحرام" لنفسه، وهذه إضافة مملوكات؛ لأن الكعبة عين قائمة بذاتها.

أمثلة تطبيقة على الصفات:

تطبيق (1):

قال الله ﷻ:﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة:6].

"كَلَامَ اللَّهِ": أضاف الله الكلام إلى نفسه، وهذه إضافة صفات؛ لأن الكلام لا يقوم بنفسه، وإنما يقوم بغيره.

تطبيق (2):

قال الله ﷻ:﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[الرحمن:27].

"وَجْهُ رَبِّكَ": أضاف الله الوجه إلى نفسه، وهذه إضافة صفات؛ لأن الوجه لا يقوم بنفسه، وإنما يقوم بغيره.

تطبيق (3):

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَالسُّورَةِ مِنَ القُرْآنِ:((**إِذَا هَمَّ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي –أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ– فَاقْدُرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي –أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ– فَاصْرِفْهُ عَنِّي**

وَاصْرِفْنِي عَنْهُ،وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ،ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ)) [1].

"أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ": أضاف الله العلم إلى نفسه، وهذه إضافة صفات؛ لأن العلم لا يقوم بنفسه، وإنما يقوم بغيره.

"وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ": أضاف الله القدرة إلى نفسه، وهذه إضافة صفات؛ لأن القدرة لا يقوم بنفسه، وإنما تقوم بغيرها.

س135: ما الحكمة من إضافة الملكية، مع أن كل المخلوقات هي ملك لله سبحانه وتعالى؟

ج ـ هذه الإضافة الملكية قد تكون للتشريف، أو الاختصاص.

التشريف: كما ورد في الحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، يَرْفَعُهُ، قَالَ: سُئِلَ: أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ؟ وَأَيُّ الصِّيَامِ أَفْضَلُ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ؟ فَقَالَ:

((أَفْضَلُ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ، الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ، صِيَامُ شَهْرِ اللهِ الْمُحَرَّمِ)) [2].

"شَهْرِ اللهِ الْمُحَرَّمِ": فهذه إضافة تشريف.

والاختصاص: فقد يكون في هذا المخلوق، خصائص ليست موجودة في غيره، فيضيفه الله لنفسه تشريفًا، واختصاصًا.

قال تعالى:﴿**فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا**﴾ [الشمس:13].

---

(1) ـ رواه البخاري (6382).

(2) ـ رواه مسلم (1163).

"نَاقَةَ اللَّهِ":فهذه إضافة تشريف، واختصاص، فهذه الناقة ناقة صالح ﷺ فيها خصائص ليست لغيرها، ومنها:

أ ـ آية من آيات الله، وإقامة للحجة على الكافرين.

ب ـ خروجها من الصخرة.

ج ـ كونها تدر عليهم اللبن الذي يحتاجونه.

د ـ ربط الله العذاب بمسها بالسوء وعقرها.

ومن ذلك:

قال تعالى:﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[الحج:26].

"وَطَهِّرْ بَيْتِيَ": فهذه إضافة تشريف واختصاص؛ لأن هذا البيت له خصائص ليست موجودة لغيره، ومنها:

أ ـ أول بيت وُضِع للناس.

ب ـ فيه آيات بينات (كمقام إبراهيم ﷺ، وبئر زمزم ، الحجر الأسود).

ج ـ الطواف به من أسباب الهداية والتوبة ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾.

د ـ الصلاة فيه بمائة ألف صلاة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

((الْمُضَافَ إنْ كَانَ شَيْئًا قَائِمًا بِنَفْسِهِ أَوْ حَالًّا فِي ذَلِكَ الْقَائِمِ بِنَفْسِهِ فَهَذَا لَا يَكُونُ صِفَةً لِلَّهِ؛ لِأَنَّ الصِّفَةَ قَائِمَةٌ بِالْمَوْصُوفِ. فَالْأَعْيَانُ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ قَائِمَةٌ بِأَنْفُسِهَا وَصِفَاتُهَا الْقَائِمَةُ بِهَا تَمْتَنِعُ أَنْ تَكُونَ صِفَاتٍ لِلَّهِ فَإِضَافَتُهَا إلَيْهِ تَتَضَمَّنُ كَوْنَهَا مَخْلُوقَةً مَمْلُوكَةً لَكِنْ أُضِيفَتْ لِنَوْعٍ مِنْ الِاخْتِصَاصِ الْمُقْتَضَى لِلْإِضَافَةِ لَا

لِكَوْنِهَا صِفَةَ)) [1].

وقال في الجواب الصحيح:

((وَأَمَّا الْأَعْيَانُ إِذَا أُضِيفَتْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَإِمَّا أَنْ تُضَافَ بِالْجِهَةِ الْعَامَّةِ الَّتِي يَشْتَرِكُ فِيهَا الْمَخْلُوقُ مِثْلَ كَوْنِهَا مَخْلُوقَةً وَمَمْلُوكَةً لَهُ وَمَقْدُورَةً وَنَحْوَ ذَلِكَ فَهَذِهِ إضَافَةٌ عَامَّةٌ مُشْتَرَكَةٌ كَقَوْلِهِ:﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾[لقمان: 11]. وَقَدْ يُضَافُ لِمَعْنًى يَخْتَصُّ بِهَا يُمَيَّزُ بِهِ الْمُضَافُ عَنْ غَيْرِهِ مِثْلَ: بَيْتُ اللَّهِ وَنَاقَةُ اللَّهِ وَعَبْدُ اللَّهِ وَرُوحُ اللَّهِ فَمِنَ الْمَعْلُومِ اخْتِصَاصُ نَاقَةِ صَالِحٍ بِمَا تَمَيَّزَتْ بِهِ عَنْ سَائِرِ النِّيَاقِ وَكَذَلِكَ اخْتِصَاصُ الْكَعْبَةِ وَاخْتِصَاصُ الْعَبْدِ الصَّالِحِ الَّذِي عَبَدَ اللَّهَ وَأَطَاعَ أَمْرَهُ وَكَذَلِكَ الرُّوحُ الْمُقَدَّسَةُ الَّتِي امْتَازَتْ بِمَا فَارَقَتْ بِهِ غَيْرَهَا مِنَ الْأَرْوَاحِ، فَإِنَّ الْمَخْلُوقَاتِ اشْتَرَكَتْ فِي كَوْنِهَا مَخْلُوقَةً مَمْلُوكَةً مَرْبُوبَةً لِلَّهِ يَجْرِي عَلَيْهَا حُكْمُهُ وَقَضَاؤُهُ وَقَدَرُهُ وَهَذِهِ الْإِضَافَةُ لَا اخْتِصَاصَ فِيهَا وَلَا فَضِيلَةَ لِلْمُضَافِ عَلَى غَيْرِهِ)) [2].

يقول السفاريني رَحِمَهُ اللَّهُ:

((فَهَذِهِ إِضَافَةُ مَخْلُوقٍ إِلَى خَالِقِهِ وَمَصْنُوعٍ إِلَى صَانِعِهِ لَكِنَّهَا تَقْتَضِي تَخْصِيصًا أَوْ تَشْرِيفًا يَتَمَيَّزُ بِهِ الْمُضَافُ إِلَيْهِ عَنْ غَيْرِهِ كَبَيْتِ اللَّهِ وَإِنْ كَانَتْ كُلُّ الْبُيُوتِ لِلَّهِ مِلْكًا لَهُ وَكَذَلِكَ نَاقَةُ اللَّهِ وَالنُّوقُ كُلُّهَا مِلْكُهُ وَخَلْقُهُ وَلَكِنَّ هَذِهِ إِضَافَةٌ إِلَى إِلَهِيَّتِهِ تَقْتَضِي مَحَبَّتَهُ لَهَا وَتَكْرِيمَهُ وَتَشْرِيفَهُ بِخِلَافِ الْإِضَافَةِ الْعَامَّةِ إِلَى رُبُوبِيَّتِهِ حَيْثُ تَقْتَضِي خَلْقَهُ وَإِيجَادَهُ فَالْإِضَافَةُ الْعَامَّةُ تَقْتَضِي الْخَلْقَ وَالْإِيجَادَ وَالْخَاصَّةُ تَقْتَضِي الِاخْتِيَارَ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾[القصص:68] فَإِضَافَةُ الرُّوحِ إِلَيْهِ تَعَالَى

(1) ـ مجموع الفتاوى، ابن تيمية (151/17) ط (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد) السعودية.

(2) ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية (217/1) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

مِنْ هَذِهِ الْإِضَافَةِ الْخَاصَّةِ لَا مِنَ الْعَامَّةِ وَلَا مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَاتِ فَتَأَمَّلْ هَذَا الْمَوْضِعَ فَإِنَّهُ نَفِيسٌ.....)) [1].

س136: ما أقسام الناس في المضاف إلى الله؟

ج ـ اعلم ـ رحمنا الله وإياك ـ أن الطوائف والمدارس لهم طرائق ومسالك في المضاف إلى الله ﷻ، وإليك مختصر ذلك:

القسم الأول ((المعطلة)):

يجعلون كل المضاف إلى الله ﷻ من باب إضافة المملوكات والمخلوقات، لا الصفات.

وذلك للأصل الذي عندهم: (الصفات لا تقوم بالذات).

وحملهم على هذا الاعتقاد أصول عندهم، منها:

(تعدد القدماء، التركيب، حلول الحوادث).

القسم الثاني ((أهل الحلول والاتحاد)):

يجعلون كل ما أُضيف إلى الله ﷻ، هو صفة لله، وإن كان بائنًا عن الله!!

حتى قال كثير منهم:

أرواح بني آدم قديمة أزلية، وهي صفة لله ﷻ.

القسم الثالث ((أهل التخليط والتلفيق –كالأشاعرة–)):

بعض الإضافات جعلوها من الصفات كـ (العلم، والإرادة، والحياة، والقدرة،

---

(1) ـ لوامع الأنوار البهية، وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية، السفاريني (39/2) ط (دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

والسمع، والبصر، الحياة)

وبعض الإضافات أولوها وجعلوها من جنس المملوكات ــوهي من الصفاتــ!

ومن ذلك:

أ ـ صفة النزول:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:((**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**)) [1].

فمن تأويلاتهم: ينزل ملك من ملائكة الله.

ب ـ صفة الوجه:

قال تعالى:﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ**﴾[الرحمن:27].

فمن تأويلاتهم: يبقى ثواب ربك.

ج ـ صفة المجيء:

قال تعالى:﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾[الرحمن:27].

فمن تأويلاتهم: جاءت ملائكة ربك.

فانظر لهذه الأمثلة: حرفوا وأولوا ما هو من باب إضافة الصفات، وجعلوه من المملوكات.

القسم الرابع ((مذهب أهل الحق، أهل السنة والجماعة)):

أهل السنة والجماعة: الذين يفرقون بين مملوكاته وبين صفاته.

---

(1) ـ رواه البخاري (1145)، ومسلم (758).

فما أضيف إلى الله من جنس الأعيان القائمة بذاتها، فهو من باب المملوكات، أضافه الله لنفسه إضافة ملكية، وتشريف.

وما أضافه الله إلى نفسه من غير الأعيان القائمة بذاتها، فهو من باب إضافة الصفات.

وهذا هو المسلك القويم، والصراط المستقيم في هذا الباب.

س137: ما الدليل على هذا الأصل؟

ج ـ دلت على هذا الأصل أشياء ، ومنها:

أ ـ ما سبق ذكره من التطبيقات.

ب ـ قول الله ﷻ: ﴿**وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي**﴾[السجدة:13].

ووجه الاستدلال: لما ذكر الله ﷻ القول، وهو من الصفات لا الأعيان أضافه لنفسه، وقال: (مني)؛ لأنه من جنس الصفات.

ج ـ الإضافة إما للأعيان أو للأوصاف،والعين القائمة بذاتها لا يمكن أن تكون إضافة صفات؛ لأن لازمها الحلول، والاتحاد، وهذا ممتنع بالنسبة للخالق ﷻ، فلم يبقَ لهذا الصنف –الأعيان القائمة بذاتها– إلا إضافة الملكية.

س138: اذكر بعض التطبيقات العملية على هذا الأصل؟

ج ـ إليك بعض التطبيقات، ونوع الإضافة المتعلقة بها:

س: قال الله ﷻ: ﴿**وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ**﴾[البقرة:255].

ج ـ هذه إضافة صفة لموصوف؛ لأن العلم صفة وليس عينًا قائمة بذاتها.

س: قال الله ﷻ: ﴿**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا**

﴿إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[النساء:171].

ج - هذه إضافة ملكية، وتشريف للمسيح ﷺ؛ لأن الروح عين قائمة بذاتها، والمقصود أنها روح من الأرواح التي خلقها الله، وإضافتها إليه سبحانه وتعالى تشريفٌ.

س: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي آخِرِ وِتْرِهِ: ((**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**))[1].

ج - هذه إضافة صفة لموصوف؛لأن الرضا، والسخط، والعفو؛ صفات وليست أعيانًا قائمة بذاتها.

س: قال الله جل جلاله:﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾[الإسراء:1].

ج - "**بِعَبْدِهِ**": من جنس الأعيان، فهذه إضافة ملكية، وتشريف لمحمد ﷺ؛ لأنه ﷺ عين قائمة بذاتها، وإضافته لله تشريفٌ.

س: قال الله جل جلاله:﴿**فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا**﴾[مريم:17].

ج - "**رُوحَنَا**" **يعني**: **جبريل**، وهذه إضافة ملكية، وتشريف لجبريل عليه السلام؛ لأن جبريل عليه السلام عين قائمة بذاتها، وأضافه إليه جل جلاله تشريفًا.

---

(1) ـ **صحيح**: رواه أحمد (751)، وأبو داود (1427)، النسائي (1747)، وابن ماجة (1179).

أسئلة تتعلق بالأصل الحادي عشر

((يجبُ الإيمانُ بنصوصِ الصفاتِ، سواءٌ أعلِمْنا مَعناها أم لَمْ نعلمْ))

س139: ما معنى هذا الأصل "وأنه يجبُ الإيمانُ بنصوصِ الصفاتِ، سواءٌ أ علِمْنا مَعناها أم لَمْ نعلمْ "؟

ج ـ هذا الأصل في غاية الأهمية وهو أصل مهم قائم على التسليم، ومعناه:

إذا جاءك نص عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في أبواب الصفات فيجب عليك حتمًا أيها المسلم أن تؤمن بهذا النص –على وفق منهج أهل السنة والجماعة الذي ذكرناه–سواء أ علمت المعنى أم لم تعلم .

س140: إشكال في هذا الباب:

كيف لا نعلم معناها وقد قررنا أن النصوص معلومة لنا من وجه ومجهولة لنا من وجه، معلومة لنا من جهة المعنى، مجهولة لنا من جهة الكيفية في هذا الباب، فكيف تكون هناك نصوص لا نعلم معناها؟

((الجواب)):

ليس المقصود بذلك خفاء المعنى عن كل الأمة، وإنما المراد بذلك: الأفراد أو بعض الأمة.

فالمعنى –معنى النص أو الصفة– قد يخفى على بعض الأمة، أو بعض الأفراد، ومن كان هذا حاله يجب عليه الإيمان بهذه النصوص سواء أعلم المعنى أم كان خفيًا عليه، فكل من اشتبه عليه نص شرعي يتعلق بنصوص الصفات وجب عليه الإيمان بهذا النص.

سؤال: وهل هذا ممكن؟

الجواب: نعم ممكن؛ لأن الناس يتفاوتون في العلم، هناك أشياء لا يعلمها إلا أهل العلم المبرزون ، وهناك أشياء قد يدركها مع أهل العلم طلبة العلم، وهناك أشياء تخفى على كثير من الناس.

تطبيقات عملية:

أ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:

((خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَهُ: مَهْ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَاكِ))

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾[محمد: 22] " [1].

((فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ)):

ما معنى هذا النص؟ وهل هذا النص من نصوص الصفات أو لا؟

لو عملنا حول هذا الحديث إحصاءات، وذهبنا للناس عمومًا، فكثير منهم لن يعرف ذلك، بل أكاد أجزم أن جلهم لن يعرفوا ذلك، إن لم يكن كلهم ، حتى مِن بين طلبة العلم مَن يُشكل عليهم، هل هو من نصوص الصفات أو لا؟

فلو قلنا: من يكلمنا ويحدثنا عن هذا الحديث ــمن جهة الحقوــ، ستجد الذين يعرفون قلة.

---

(1) ـ رواه أحمد (8367)، البخاري (4830)، ومسلم (2554) وهذا لفظ البخاري.

وجملة القول:

الْحَقْوُ: مَوْضِعُ شَدِّ الْإِزَارِ وَهُوَ الْخَاصِرَةُ، ثُمَّ تَوَسَّعُوا حَتَّى سَمَّوْا الْإِزَارَ الَّذِي يُشَدُّ عَلَى الْعَوْرَةِ حَقْوًا وَالْجَمْعُ أَحَقٌّ وَحُقِيٌّ (1).

سمي به الإزار للمجاورة (2).

قال أَبُو عبيد: الحَقْو مَعقِد الْإِزَار من الجَنْبِ، يُقَال أخذتُ بحَقْوِ فلَان.

وجمعُ الحَقْوِ حِقَاءٌ.

وَقَالَ اللَّيْث: الحَقْوانِ الخاصرتَان.

والجميع الأَحْقَاءُ [3].

وقال ابن فارس: الْحِقْوُ الْخَصْرُ وَمَشَدُّ الْإِزَارِ [4].

وقد اختلفت أنظار علماء أهل السنة فيه تطبيقًا لا تأصيلًا.

القول الأول:

من العلماء من جعل هذا الحديث من أحاديث الصفات.

فنقل عن الإمام أحمد، وجعفر بن عبدالعزيز المعروف بغلام الخلال.

وابن حامد [5]–وهو من كبار الحنابلة، وله ما له من المنة والفضل في المذهب

---

(1) ـ المصباح المنير، الفيومي (صـ90) مادة: (حقو) ط (دار الحديث) القاهرة.

(2) ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (صـ 222)، ط (الأعمال الكاملة) (بيت الأفكار الدولية).

(3) ـ تهذيب اللغة، الأزهري (124/5).

(4) ـ مقاييس اللغة، لأبي الحسين، أحمد بن فارس (88/2) ط (دار الفكر) بيروت ـ لبنان.

(5) ـ الحسن بن حامد بن علي بن مروان، أبو عبد الله البغدادي: إمام الحنبلية في زمانه ومدرسهم ومفتيهم. انظر: "طبقات الحنابلة" (171/2).

الحنبلي (1)–، وقال به تلميذه أبو يعلى.

وكذلك ابن المحب في كتابه في "**صفات رب العالمين**".

وجعفر بن عبدالعزيز المعروف بغلام الخلال:

فقد عقد في كتاب السنة له بابًا في ذلك فقال:

(باب في الذراعين والحقو والصدر).

قال القاضي أبو يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(اعلم أَنَّهُ غير ممتنع حمل هَذَا الخبر عَلَى ظاهره،وأن الْحَقْوُ والْحُجْزَةُ [2] صفة ذات لا عَلَى وجه الجارحة والبعض،وأن الرحم آخذة بها عَلَى وجه الاتصال)(3)

الفضل بن المحب: بوب ابن المحب في كتابه في الصفات:

(باب قول النبي ﷺ: «قامت الرحم فأخذت بحقوي الرحمن» وذكر المنكبين والحجزة والجنب) [4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

((والمقصود هنا: أن هذا الحديث في الجملة من أحاديث الصفات التي نص الأئمة على أنه يمر كما جاء، وردوا على من نفى موجَبه)) [5]

([1]) ـ والخلّال له قصب السبق، والأثر الخالد في المذهب؛ فقد أنفق الخلّال عمره فى جمع علوم الإمام أحمد، بل سافر لأجْلها إلى جميع البلاد، حتى صنّف كتابه [الجامع لعلوم الإمام أحمد]، وقد بلغ نحو (مائتي جزءٍ)،وهو كتاب لم يصنَّف مثلُه في مذهب أحمد، فلفتَ بهذا السِّفْر الأنظارَ، وصار مَطلبًا لعلماء الأمصار، وكلُّ من جاء من الحنابلة وصنّفوا هُمْ عِيالٌ على كِتاب الخلّال! ومن هنا كانت البداية، ومن هنا بدأ ظهور الانتساب إلى الإمام أحمد.

([2]) ـ موضع شد الإزار.

([3]) ـ إبطال التأويلات، أبو يعلى (420/2) بعد الحديث رقم: (392) ط (غراس).

([4]) ـ كتاب "صفات رب العالمين" ابن المحب الصامت (174/3) الباب السادس، أثر رقم (104) ط (وزارة التعليم العالي جامعة أم القرى) السعودية.

([5]) ـ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية (222/6) ط (مجمع الملك فهد).

القول الثاني:

أن هذا الحديث ليس من أحاديث الصفات.

لأمور، ومنها:

أ ـ لم يذكره أكثر الأئمة في تصانيفهم في العقائد، وجمعهم لصفات الله الواردة في الكتاب والسنة، ولم يبوب عليه البخاري ولا غيره من أئمة الحديث الذين رووه في ذلك.

ب ـ ولأن الرحم في أصلها معنى، فقالوا: إن هذا على سبيل ضرب المثل، والمقصود **((فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ))**:التجأت إليه واستعانت به.

قلت: وهذا تفسير باللازم.

والأصوب أن الحديث من أحاديث الصفات.

الغرض المقصود:

لو أن واحدًا يعرف أصول أهل السنة في هذا الباب، وسمع هذا الحديث، **((...قَامَتِ الرَّحِمُ، فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَهُ: مَهْ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ...))**

يقول: إنه يؤمن بذلك دون أن يعرف معناه؛ لأنه "**يجبُ الإيمانُ بنصوصِ الصفاتِ، سواءٌ علِمْنا مَعناها أَمْ لَمْ نعلمْ مَعناها**".

لوجاءك النص الثابت وأنت لا تعرف معناه وجب عليك الإيمان به ولو خفي المعنى عليك.

كما قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، وغيره:

((آمنتُ باللهِ، وبما جاءَ عن اللهِ على مرادِ اللهِ، وآمنتُ برسول الله وبما جاء

عن رسولِ اللهِ على مُراد رَسُولِ الله)) [1].

تطبيق آخر:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَعِنْدِي امْرَأَةٌ، فَقَالَ: **((مَنْ هَذِهِ؟))** فَقُلْتُ: امْرَأَةٌ لَا تَنَامُ تُصَلِّي، قَالَ:**((عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَوَاللهِ لَا يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا))**، وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ" [2].

فهل الملل من نصوص الصفات؟

لو أن واحدًا لا يعرف هذه المسألة فإنه يقول: آمنت بالله وبما جاء عن الله، حتى لو كان لا يعرف هذا المعنى.

وقد اختلف علماء أهل السنة في الملل، هل هو من الصفات أو لا؟

القول الأول:

من أهل العلم من أثبت الملل صفة لله سبحانه وتعالى على ما يليق بربنا سبحانه وتعالى.

فليس كالملل الذي عندنا، الذي هو السآم والتعب.

قال الله جل جلاله:﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ**﴾[ق:38].

لغوب: السأمة، والنصب، والعناء والتعب.

(1) ـ ذم التأويل، ابن قدامة (صـ 9) رقم: (8) ط (دار الفتح) الشارقة ـ الإمارات.

(2) ـ رواه البخاري (43)، ومسلم (785).

القول الثاني:

ومنهم من قال: إن الملل ليس بصفة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإنما ذكرت على سبيل المشاكلة، كما يقال: لا ينقطع حتى يقطع خصومه، ولا يلزم من ذلك
أن القوي ينقطع، لكن لا ينقطع حتى يقطع خصومه.

والمعنى: لا ينقطع عن الثواب حتى تنقطعوا عن العمل.

خلاصة الكلام:

يجبُ الإيمانُ بنصوصِ الصفاتِ، سواءٌ أ علِمْنا مَعناها أم لمْ نعلمْ مَعناها.

فمن جهل بعض المعاني المتعلقة بالصفات الثابته لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يجب عليه الإيمان بهذه النصوص –على وفق منهج أهل السنة والجماعة– سواء أ علم معناها أم لم يعلم معناها.

س141: ما المقصود بـ"لم نعلم معناها"؟

ج ـ المقصود:

ليس هذا لكل الأمة، إنما للأفراد أو للأبعاض أو للجماعات، فمجموع الأمة الأمة لا بد أن يكون فيهم من هو على الحق ويعرفه وينشره بين الناس.

فقد يخفى المعنى على بعض الأمة لقلة العلم، أو تفاوته، أو اشتباه الأمر.

س142:ما الدليل على هذا الأصل؟

ج ـ هذا الأصل دلت عليه أدلة، ومنها:

((الدليل الأول)):

قال الله جَلَّ جَلَالُهُ:﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ**

وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة:136]،

وجه الاستدلال:أن الله ﷻ أمر بالإيمان بجميع ما أنزله سبحانه وتعالى، ولم يشترط في الإيمان العلم بمعاني كل النصوص، وختم الآية بقوله:

﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ **أي**: منقادون لطاعته، مصدقون بأخباره، ويدخل في هذا الباب الكلام على نصوص الصفات.

((الدليل الثاني)):

قال الله ﷻ:**﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾** [آل عمران:7]،

وجه الاستدلال: أن الله ﷾ مدح وأثنى على الراسخين في العلم بأنهم يؤمنون بكل ما جاء عن الله، وهذا على عمومه سواء أعرفوا معناه أو لا [1].

((الدليل الثالث)):

قال أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَيْفَ يُحْشَرُ الكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ؟ قَالَ: **((أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ))** قَالَ قَتَادَةُ: بَلَى وَعِزَّةِ رَبِّنَا [2].

---

(1) ـ المقصود بعدم معرفة المعاني، بعض النصوص، كنصوص تحتاج لمن يفسر ويبين معناها، أو نصوص لا يعلم معانيها إلا أهل العلم، أو نصوص متشابهة وقد تخفى على بعض الناس من أهل العلم.

(2) ـ رواه البخاري (6523)، ومسلم (2806).

وجه الاستدلال: لما أخبر النبي ﷺ عن أمر غيبي لا تدركه العقول، وجه بعض الصحابة للنبي ﷺ هذا السؤال فأمره النبي ﷺ بالتصديق -جملة-، حتى لو كانت العقول لا تدرك ذلك ولا تعرف معناه.

أسئلة تتعلق بالأصل الثاني عشر

((وأنه ﷻ بائنٌ مِنْ خَلْقِهِ، ليسَ شيءٌ مِنْ خَلقِهِ في ذاتِهِ، وَلا ذاتُهُ في شيءٍ مِنْ مخلوقاتِهِ))

س143: على من يرد هذا الأصل؟

هذا أصل في غاية الأهمية؛ لأنه يرد على أهل الحلول والاتحاد الذين يقولون بمقالة (وحدة الوجود).

س144: وما المقصود بوحدة الوجود؟

وحدة الوجود لغة:

أولاً: معنى "وحدة الوجود" في اللغة.

الوَحدَةُ في اللغة: بمعنى الانفراد (1)، وهي ضد الكثرة.

قال ابن فارس: (الواو والحاء والدال: أصلٌ واحد يدلُّ على الانفراد. من ذلك الوَحْدَة) (2).

ويقال: رأَيته وحدهَ وجلس وحده أَي :منفرداً، وتَوَحَّدَ برأْيه: تفرّد به (3).

ووَحَّدَ الشيء تَوْحِيداً: جعَلَه وَاحِداً وكذا أَحَّدَهُ .

وأما الوجود في اللغة فهو بمعنى التحقُّق والحصول والثبوت والكون، وهو خلاف العدم [4].

---

(1) ـ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (صـ380) ط (دار الحديث) القاهرة، لسان العرب، ابن منظور (234/9) مادة: (وحد) ط (دار الحديث) القاهرة.

(2) ـ مقاييس اللغة، لأبي الحسين، أحمد بن فارس (90/6) ط (دار الفكر) بيروت ـ لبنان.

(3) ـ لسان العرب، ابن منظور (235/9) مادة: (وحد) ط (دار الحديث) القاهرة.

(4) ـ الكليات، لأبي البقاء الكفوي (صـ 924 - 925) ط (مؤسسة الرسالة) بيروت ـ لبنان.

والوجود لغة: معناه ظاهر واضح، وهو:

كلّ ما هو موجود أو يمكن أن يوجد، كَوْنُ الشَّيء واقعًا.

وهو نوعان: ذهنيٌّ، وخارجيّ، وعكسه العدم.

وحدة الوجود باختصار:

وحدة الوجود مذهب فلسفي يقول بأن الله والطبيعة حقيقة واحدة، وأن الله هو الوجود الحق، ويعدون الله صورة هذا العالَم المخلوق، أما مجموع المظاهر المادية فهي تعلن عن وجود الله دون أن يكون لها وجود قائم بذاته.

وهو يتجلى في هذه الصور (الحائط، الهاتف، الكوب.......إلخ)

سبحان الله تقدس الله تعالى الله سبوح قدوس، اللهم نشهدك أننا نبرأ من هذا، ونكفر بهذا.

وهي فكرة قديمة أعاد إحياءَها بعضُ المتصوفة من أمثال:

ابن عربي، وابن الفارض، وابن سبعين، والتلمساني، والذين تأثروا بالفلسفة الأفلاطونية المحدثة وفلسفة الرواقيين.

ولقد نادى بوحدة الوجود بعض فلاسفة الغرب من أمثال سبينوزا وهيغيل.

س145: اذكر نبذة عن الحلول، والاتحاد؟

ج ـ نبذة عن الحلول والاتحاد:

"**الحلول**"و"**الاتحاد**"، ويدخل فيه مصطلح "وحدة الوجود".

وهاتان اللفظتان تردان كثيراً في كتب العقائد، وهما من المصطلحات الصوفية، والباطنية، كما أنهما تردان في كتب الأديان الباطلة، كالبرهمية ــأو البراهمة منكري النبوات ــ، والبوذية، وغيرهما.

((الحلول)):

لغة: له عدة معانٍ:(النزول، الوجوب، والبلوغ)

والحلول مصدر ثلاثي من حَلَّ بالمكان يَحُلُّ حُلولاً.

وله في اللغة ثلاثة معانٍ:

الأول: حلَّ بمعنى "نَزَلَ"، ومضارعُه مضموم (يحُلُّ)، يتعدَّى بنفسه أو بالباء، فيقال:حَلَّ المكانَ،أو حَلَّ بالمكانِ، بمعنى:نزل به، قال الله ﷻ:﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ﴾[سورة الرعد:31] أي: تنزل، واسم المكان منه يجوز فيه الكسر أو الفتح، فيقال (مَحِلٌّ) أو (مَحَلٌّ).

الثاني:حلَّ، بمعنى: "وجب"، ومضارعه مكسور(يَحِلُّ)، ومنه قول الله ﷻ: ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ [طه:81].

الثالث: حلَّ، بمعنى "بَلَغَ"، مضارعه مكسور (يَحِلُّ)، وكذا اسم المكان منه(مَحِلٌّ).

سؤال: وأي المعاني هو المراد في الباب؟

الجواب: المعنى الأول بلا شك: "نَزَلَ".

معناه في الاصطلاح العام: أن يحل أحد الشيئين في الآخر.

وهذا الحلول ينقسم إلى قسمين:

الأول: "حلول سَرَياني".

والثاني: "حلول جواري".

يقول الجرجاني رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحلول السرَياني: عبارة عن اتحاد الجسمين بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد، فيُسمَّى الساري حالاً، والمسري فيه محلاً.

الحلول الجواري: عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر، كحلول الماء في الكوز[1] .

فالحلول قائم على أمرين:

الأول: إثبات لوجودين.

الثاني: وحلول أحدهما في الآخر.

والحلول هو أن يكون الشيء حاصلاً في الشيء، ومختصًّا به، بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر تحقيقاً، أو تقديراً [2].

ويراد منه باصطلاح القائلين به من الصوفية وغيرهم:

(حلول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في مخلوقاته، أو بعض مخلوقاته).

س146: اذكر أقسام الحلول؟

ج ـ أقسام الحلول:

ينقسم الحلول إلى قسمين:

حلول عام: هو اعتقاد أن الله تعالى قد حلَّ في كل شيء.

---

(1) ـ التعريفات، الشريف الجرجاني (صـ 82) ط (دار الفضيلة) القاهرة.

(2) ـ الكليات، لأبي البقاء لكفوي (صـ 390)، ط (مكتبة الرسالة) بيروت ـ لبنان، الصوفية، صابر طعيمة (صـ247).

وحلوله بذاته في كل مكان.

وهذا القول هو الذي ذكره أئمة السنة والحديث عن طائفة من الجهمية المتقدمين، ممن يقول: إن الله بذاته في كل مكان.

حلول خاص: وهو اعتقاد أن الله ﷻ قد حلَّ في بعض مخلوقاته.

مع اعتقاد وجود خالق ومخلوق.

وذلك كاعتقاد بعض فرق النصارى: أن اللاهوت –الله جل وعلا– حلَّ بالناسوت –عيسى عليه السلام– ، وأن عيسى عليه السلام كانت له طبيعتان: لاهوتية لما كان يتكلم بالوحي ، وناسوتية عندما صلب.

وكذلك اعتقاد بعض غلاة الرافضة "كالنصيرية": أن الله ﷻ حلَّ في علي بن أبي طالب، وأنه هو الإله؛ حيث حلت فيه الألوهية، وذلك من أصول عقيدتهم.

والعجب أنهم –النصيرية– يمجدون ويحبون ابنَ ملجم –قبحه الله– قاتل علي، ويخطئون من يلعنه!!

سؤال: كيف ذلك وهم يؤلهونه ويعبدونه من دون الله؟

الجواب: لأنه بقتله خلص اللاهوت من ظلمة الناسوت، فبقتله تخلص اللاهوت من ظلمة الجسد وكدره [1].

وكذلك من جنس الحلول الخاص:

اعتقاد بعض غلاة الصوفية: أن الله حل في بعض مشايخهم!!

([1]) ـ مصطلحات كتب العقائد دراسة وتحليل، محمد بن إبراهيم الحمد (صـ 43) (دار ابن خزيمة) السعودية ـ الرياض.

فبعض غلاة الصوفية ممن يقول بحلوله -تعالى وتقدس الله عن قولهم- في من حقق الولاية، وهذب نفسه في الطاعة، وصبر عن لذات النفس وشهواتها، فارتقى في درجات المصافاة، فيصفو عن النفس البشرية، فتحل فيه روح الإله -تعالى الله عن إفكهم-[1].

ومن أمثلة الحلول:

حلول الماء في الكأس أو بحلول الماء في الصوف.

ومنهم من مثَّله بحلول ماء الورد في الورد.

ومنهم من مثله بحلول الأعراض بالأجسام،كحلول الحياة في أجسام الحيوانات.

س147: ما المقصود بالاتحاد؟

((الاتحاد)):

أما الاتحاد في اللغة فهو مصدرٌ من اتَّحد يَتَّحد اتِّحاداً.

وأصل مادة الاتحاد من (وَحَد) وهي تدور على معنى الانفراد [2].

معناه: كون الشيئين شيئًا واحدًا.

---

(1) ـ الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، (صـ 230) ط (مكتبة ابن سينا) القاهرة، مجموع الفتاوى(171/2 - 172) ط (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد) السعودية.

وللحلول تقسيمات أخرى ذكرها الجرجاني (صـ 92) ط (دار الفضيلة) القاهرة.

(2) ـ معجم المقاييس، مادة "وحد" (90/6) ط (دار الفكر) بيروت لبنان، مختار الصحاح، عبد القادر الرازي، (صـ 380) ط (دار الحديث) القاهرة، المصباح المنير، الفيومي (صـ 368) مادة: "وحد"، ط (دار الحديث) القاهرة، لسان العرب، ابن منظور، مادة: "وحد"، (234/9) ط (دار الحديث) القاهرة.

قال الجرجاني رَحِمَهُ اللهُ:

الاتحاد: امتزاج الشيئين، واختلاطُهما حتى يصيرا شيئاً واحدًا [1].

ومعناه باصطلاح القائلين به: اتحاد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بمخلوقاته، أو ببعض مخلوقاته

أي: اعتقاد أن وجود الكائنات أو بعضها هو عين وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

س148: اذكر أقسام الاتحاد؟

((أقسام الاتحاد)):

"الاتحاد " ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الاتحاد العام.

- وهو ما يطلق عليه أيضاً : "وحدة الوجود"، وهو اعتقاد كون الوجود هو عين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

القسم الثاني: الاتحاد الخاص.

القسم الأول ((الاتحاد العام)):

بمعنى: أن الخالق متحد بجميع المخلوقات.

وهذا هو معنى "وحدة الوجود"، والقائلون به يسمون "الاتحادية"، أو "أهل وحدة الوجود" ، كابن الفارض، وابن عربي، وغيرهما.

القسم الثاني ((الاتحاد الخاص)):

هو اعتقاد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اتحد ببعض المخلوقات دون بعض.

سؤال: ما الفرق بين الاتحادين؟

([1]) ـ التعريفات، الشريف الجرجاني (صـ 10) ط (دار الفضيلة) القاهرة، وهذا قول من الأقوال التي ذكرها الجرجاني.

الجواب: الاتحاد العام أشد قبحًا وكفرًا من الاتحاد الخاص.

فالقائلون بالاتحاد الخاص نزهوه من الاتحاد بالأشياء القذرة القبيحة، فقالوا: إنه اتحد بالأنبياء، أو الصالحين، أو الفلاسفة، أو غيرهم، فصاروا هم عين وجود الله ﷻ.

س149: هل الاتحاد هو وحدة الوجود؟

ج ـ للعلماء اتجاهات في وحدة الوجود والاتحاد والفرق بينهما:

الاتجاه الأول:

من فَسَّر الاتحادَ بأن تصير الذاتان ذاتًا واحدة.

وعلى هذا فإن الاتحاد في نظرهم مذهب يقر بالتعددية في الأصل، كما في الحلول، ثم حصل الاتحاد بعد ذلك.

والاتجاه الثاني:

من فسَّر الاتحاد بمعنى وحدة الوجود.

فبعض العلماء جعلوا الاتحادَ ووحدةَ الوجودِ شيئًا واحدًا، لا فرق بينهما.

والأقرب -والله أعلم- أن وحدة الوجود والاتحاد شيءٌ واحد، وبينها فرق!!

وبيان ذلك:

أن وحدة الوجود والاتحاد العام هما شيءٌ واحد.

ووحدة الوجود والاتحاد الخاص بينهما فارق ظاهر فهما (إثبات وجودين).

ولعل هذا التفريق يحل إشكال قد يشكل على بعض الطلبة عند مطالعة كلام شيخ الإسلام ابن تيمية:فأحيانًا لا يفرق الشيخ بين وحدة الوجود والاتحاد ويُسمِّي من عُرفوا بوحدة الوجود:اتحادية، وأحيانًا يُشْعِرُ كلامه بالتفريق بينهما [1].

س150: ما الفرق بين الحلول والاتحاد؟

((الفرق بين الحلول والاتحاد)):

الفرق بينهما يتلخص فيما يلي:

أ ـ أن الحلول إثبات لوجودين، بخلاف الاتحاد فهو إثبات لوجود واحد.

ب ـ أن الحلول يقبل الانفصال، أما الاتحاد فلا يقبل الانفصال.

أمثلة تطبيقية يتبين بها الفرق بين الحلول والاتحاد:

هناك أمثلة كثيرة، منها:

أ ـ الماء إذا وضعتُه في الكوب.

هل هذا حلول أو اتحاد؟

هذا حلول جواري؛ لأن أحد الجسمين ظرفًا للآخر.

فالماء لم يتحد بالكوب، مع وجود الحلول، وهما قابلان للانفصال.

ب ـ الماء إذا وضعت فيه حصاة.

هل هذا حلول أو اتحاد؟

---

(1) ـ مجموع الفتاوى، ابن تيمية (2/ 172، 195، 368، 372، 435، 450، 465، 493) ط (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد) السعودية.

هذا حلول جواري، إذ الكوب ظرفٌ للحصاة، والماء لم يتحد مع الحصاة، وكذلك الكوب -كما هو ظاهر- وكلهم قابل للانفصال.

ج ـ السُّكَّر إذا وضعته في الماء دون تحريك، ثم حركته بعد ذلك.

هل هذا حلول أو اتحاد؟

هذا مر بمرحلتين:

الأولى: **وضع السكر في الماء:**

هذا حلول جواري؛ إذ الكوب ظرفٌ للسكر، والسكر لم يتحد مع الماء.

المرحلة الثانية: **ما بعد التحريك والتقليب:**

هل هذا حلول أو اتحاد؟

هو حلول جواري، واتحاد.

اتحاد: بين السكر والماء، لا يمكن فصلهما ـبطريقة عاديةـ [1].

حلول جواري: بين الماء والسكر من جهة ، وبين الكوب من جهة أخرى . إذ الكوب ظرفٌ للماء والسكر، ويمكن فصل ما اتحدا -السكر والماء-، عما حلَّا فيه -الكوب-.

س151: أيهما أشد قبحًا، الحلول أو الاتحاد؟

ج ـ لا ريب في أن القول بالحلول أو الاتحاد هو من أعظم الكفر والإلحاد -تعالى الله عن ذلك، ونعوذ بالله من الكفر-.

ودركاته على ما يلي:

---

(1) ـ قيدنا بذلك حتى لا يقول قائل: يمكن الفصل بطريقة علمية كميائية.

أ ـ أقلها (الحلول الخاص)

ب ـ ثم: (الحلول العام)

ج ـ ثم (الاتحاد الخاص)

د ـ ثم اشدها كفرًا وقبحًا (الاتحاد العام، وحدة الوجود).

لأنه اعتقاد ذات واحدة، ولا فرق بين خالق ومخلوق، بخلاف الحلول.

وجملة القول:

إن اعتقاد " الحلول والاتحاد " اعتقاد ظاهر البطلان ، وقد جاء الإسلام بمحوه من عقول الناس ؛ لأنه اعتقاد مأخوذ من مذاهب وفلسفات ووثنيات هندية ويونانية ويهودية ونصرانية وغيرها ، تقوم على الدجل، والخرافة [1].

الغرض المقصود:

عندنا من أصول أهل السنة والجماعة: **"اللهُ بائنٌ مِنْ خَلْقِهِ، ليسَ شيءٌ مِنْ خَلقِهِ في ذاتِهِ، وَلا ذاتُهُ في شيءٍ مِنْ مخلوقاتِهِ"**

س152: ما معنى هذا الأصل؟

ج ـ معنى هذا الأصل:

(أن المخلوقات منفصلة وخارجة عن ذات الله ﷻ وصفاته)، ربنا ﷻ لم يخلق شيئًا من المخلوقات في ذاته، وهو سبحانه وتعالى لم يحل في شيء من مخلوقاته، فهناك انفصال وتباين بين ذات الخالق وذات المخلوق، وهذا معنى الأصل.

---

(1) ـ مصطلحات في كتب العقائد دراسة وتحليل، محمد بن إبراهيم الحمد (صـ 47) ط (دار ابن خزيمة) السعودية ـ الرياض.

س153: ما الدليل على هذا الأصل؟

ج ـ هذا الأصل دلت عليه أدلة كثيرة، ومنها:

((الدليل الأول)):

قال الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:11]،

وجه الاستدلال: لو كان هناك شيء من مخلوقاته في ذاته لكان الله تعالى مشابهًا للمخلوقات؛ لأن المخلوقات قد تحل فيها مخلوقات، وهذا ممتنع؛ لأن الله تعالى نفى المثلية عن نفسه ﷻ.

((الدليل الثاني)):

أدلة علو الله تعالى، وهي كثيرة جدًا في القرءان والسنة، ومنها:

أ ـ قال الله ﷻ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:5]،

ب ـ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾[الأعلى:1].

ج ـ ﴿ إِنِّي رَافِعُكَ وَمُتَوَفِّيكَ إِلَيَّ﴾[آل عمران:55].

د ـ ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾[النحل:50].

هـ ـ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[فاطر:10]، إلى آخر ذلك.

وجه الاستدلال مما سبق:

فيه دلالة على أن الله تعالى فوق عرشه، وأنه بائن من خلقه، فليس شيء في ذاته، ولا ذاته في شيء من مخلوقاته.

وفي الحديث عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَيْكَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: ((آيَةُ الْكُرْسِيِّ، مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ

إِلَّا كَحَلْقَةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ، كَفَضْلِ تِلْكَ الْفَلَاةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلْقَةِ)) [1].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ:((بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ خَمْسِمِائَةُ عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَبَيْنَ الْمَاءِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَالْكُرْسِيُّ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَ الْكُرْسِيِّ، وَيَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ . أَظُنُّهُ أَرَادَ . وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَبَيْنَ الْمَاءِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ)) [2].

فانظر لعظمة الله جل جلاله، فأي حلول واتحاد يتكلم عنه هؤلاء الجهلة المخابيل!!

((الدليل الثالث)):

الفطرة تدل على ذلك، فإن الإنسان بفطرته السليمة قد فطره الله سبحانه وتعالى على أنه غير الله، وأي إنسان يعلم أنه غير الله، وأن ذات هذا الإنسان المخلوق ليست هي ذات الله سبحانه وتعالى، وهذه مسألة فطرية معلومة معروفة.

((الدليل الرابع)):

وكذلك العقل يدل على ذلك؛ لأن الله تعالى إما أن يكون تحتنا أو مساويًا لنا أو فوقنا.

أما تحتنا: فهذا نقص لا يليق ولا يجوز على الله سبحانه وتعالى.

---

(1) ـ رواه ابن أبي شيبة في العرش (58)،ابن حبان (361)،وأبو الشيخ في العظمة (363)،والبيهقي في الأسماء والصفات (862)، وغيرهم، وله طرق كثيرة جلها بين الضعيف والواهي والمنقطع،وقد صححه الألباني بطرقه،في الصحيحة،رقم:(109).

(2) ـ **صحيح**: رواه البيهقي في الأسماء والصفات (851).

وأما لو كان مساويًا لنا: فالتسوية هذه لا تصح، بل هي منفية عن الله بنص القرءان، قال الله ﷻ: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[الشورى:11]،

قال الله ﷻ: ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾[مريم:65]،

قال الله ﷻ: ﴿**تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الشعراء:97/98]،

فلم يبقَ إلا الاحتمال الأخير والوحيد والصحيح وهو الحق أن الله سبحانه وتعالى فوقنا ﷻ، وهذه دلالة على أنه بائن من خلقه، ليس شيء من خلقه في ذاته، ولا ذاته في شيء من خلقه.

الفصل الثاني: ((أصول أهل السنة والجماعة في النفي))

وهذا الفصل يحتوى على سبعة أصول وهي:

((الأول)):

((كلُّ كمالٍ يتصفُ العبدُ بِهِ وَلا نقصَ فيهِ، فاللهُ أَوْلى بِهِ، وكلُّ نقصٍ يَتَنَزَّهُ العبدُ عَنْهُ ولا كمالَ فيهِ، فاللهُ أَوْلى أنْ يُنَزَّهَ عنْهُ))

((الثاني)):

((النفيُ يكونُ إجمالًا، والإثباتُ يكونُ مُفَصَّلًا، _وهذا الأصلُ قد يختلفُ لعللٍ_)).

((الثالث)):

((وأنَّ القياسَ كلَّهُ باطلٌ في الصفاتِ: كقياسِ الشمولِ، وقياسِ التمثيلِ، عدا قياسِ الأَوْلى -بضوابِطِهِ-)).

((الرابع)):

((وأنهم يَنْفون عنِ اللهِ النقصَ مَعَ ذِكْرِ كمالِ الضِّدِّ)).

((الخامس)):

((وأنَّ القدرَ المشتركَ لا يلزمُ منْهُ التمثيلُ)).

((السادس)):

((وأنهم يتوقفونَ في الألفاظِ المُجْمَلَةِ التي تحتملُ الحُسْنَ وغيرَهُ)).

((السابع)):

((ويسكتون عما سكتَ عنْهُ اللهُ ورسولُهُ)).

أسئلة تتعلق بالأصل الأول

((كلُّ كمالٍ يتصفُ العبدُ بِهِ وَلا نقصَ فيهِ، فاللهُ أَوْلى بِهِ، وكلُّ نقصٍ يَتَنَزَّهُ العبدُ عَنْهُ ولا كمالَ فيهِ، فاللهُ أَوْلى أنْ يُنَزَّهَ عنْهُ))

س154: ما معنى هذا الأصل؟

ج ـ أن كل صفة كمال وردت في حق المخلوق، وهذه الصفة لا نقص فيها بأي وجه من الوجوه، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أحق أن يتصف بهذا الكمال؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو واهب هذا الكمال، وواهب الكمال أولى به جَلَّ جَلَالُهُ، وكذلك كل نقص ينزه عنه المخلوق ولا كمال فيه، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أولى أن ينزه عن هذا النقص والسوء.

لأن المخلوق لا يكون أبدًا أكمل من خالقه، ولا مساويًا له؛ لأن المخلوق مفتقر إلى خالقه، ولا يكون المفتقر أبدًا أكمل من الذي يفتقر إليه.

س155: اذكر بعض التطبيقات على هذا الأصل؟

ج ـ والتطبيقات على هذا الأصل تنقسم إلى قسمين:

أ ـ تطبيقات على الشق الأول من الأصل، وهو الإثبات.

ب ـ تطبيقات على الشق الثاني من الأصل، وهو النفي.

((القسم الأول)):

تطبيقات على الشق الأول من الأصل، وهو الإثبات:

((كلُّ كمالٍ يتصفُ العبدُ بِهِ وَلا نقصَ فيهِ، فاللهُ أَوْلى بِهِ)).

تطبيق (1):

رجل ذو كرم:

إذا رأيت رجلًا كريمًا، فهذه صفة كمال من كل وجه ولا نقص فيها، فالله ﷻ أولى بالاتصاف بهذه الصفة، بصفة الكمال؛ لأنه ﷻ أكمل الموجودات؛ ولأنه ﷻ هو الذي وهب هذا المخلوق هذا الكمال، -وهو صفة الكرم- فالله ﷻ أولى بذلك؛ لأن واهب الكمال أولى به.

وكل كمال يتصف العبد به ولا نقص فيه فالله أولى به.

تطبيق (2):

رجل ذو رحمة:

إذا رأيت إنسانًا رحيمًا، والرحمة صفة كمال لا نقص فيها، فالله ﷻ هو أولى بهذا الكمال، فربُنا ﷻ أَولَى أن يكون متصفًا بصفة الرحمة؛ لأنه هو الذي وهب هذا المخلوقَ الكمال، وكل كمال يتصف العبد به ولا نقص فيه فالله ﷻ أولى به.

تطبيق (3):

رجل ذو علم:

إذا رأيت إنسانًا عالـمًا فالله ﷻ أولى بذلك، أن يكون العليم ﷻ؛ لأن صفة العلم صفة كمال ولا نقص فيها بوجه من الوجوه، فالله أولى بها؛ لأنه أكمل الموجودات، ولأنه واهب الكمال، وهو أولى به، ولأن المخلوق محال أن يكون أكمل من خالقه وهو مفتقر إليه، وكل كمال يتصف العبد به ولا نقص فيه فالله ﷻ أولى به.

هذا التطبيق المتعلق بالشق الأول بهذا الأصل، يعتقدون أن كل كمال يتصف العبد به ولا نقص فيه فالله أولى به.

((القسم الثاني)):

تطبيقات على الشق الثاني من الأصل، وهو النفي:

((وكلُّ نقصٍ يَتَنَزَّهُ العبدُ عَنْهُ ولا كمالَ فيهِ، فاللهُ أَوْلى أنْ يُنَزَّهَ عنْهُ)).

تطبيق (1):

إنسان ذو جهل:

إذا رأيت إنسانًا جاهلًا، هذا الجهل ينزه عنه المخلوق، والجهل لا كمال فيه، فهذا النقص أولى أن ينزه عنه ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولذلك كان عليُ بنِ أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول:**((كَفَى بِالْعِلْمِ شَرَفًا أَنْ يَدَّعِيَهُ مَنْ لاَ يُحْسِنُهُ، وَيَفْرَحُ بِهِ إِذَا نُسِبَ إِلَيْهِ، وَكَفَى بِالْجَهْلِ ذَمًّا أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْهُ مَنْ هُوَ فِيهِ))** [1].

وكذلك قال الشافعي:

قال مُحَمَّدُ بْنُ زُغْبَةَ، سَمِعْتُ يُونُسَ بْنَ عَبْدِ الْأَعْلَى، يَقُولُ: سَمِعْتُ الشَّافِعِيَّ، يَقُولُ:**((كَفَى بِالْعِلْمِ فَضِيلَةً أَنْ يَدَّعِيهِ مَنْ لَيْسَ فِيهِ، وَيَفْرَحُ إِذَا نُسِبَ إِلَيْهِ، وَكَفَى بِالْجَهْلِ شَيْنًا أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْهُ مَنْ هُوَ فِيهِ وَيَغْضَبَ إِذَا نُسِبَ إِلَيْهِ))** [2].

فالجهل نقص ولا كمال فيه، ينزه عنه المخلوق، فالله أولى أن ينزه عن هذا؛ لأن اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو أكمل الموجودات، وهو أولى بأن ينزه عن هذا النقص وعن هذا السوء.

---

(1) ـ تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ابن جماعة (صـ 41) ط (دار البشائر الإسلامية) بيروت ـ لبنان.

(2) ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني (146/9) ط (دار الفكر) بيروت ـ لبنان.

تطبيق (2):

إنسان ذو عور:

وقد أتينا بهذا التطبيق؛ لأن الله أثبت لنفسه صفة العينين.

إذا رأيت إنسانًا عنده عور، وهذه صفة نقص، فالله أولى أن ينزه عن هذا النقص سبحانه وتعالى.

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذَكَرَ الدَّجَّالَ بَيْنَ ظَهْرَانَيِ النَّاسِ، فَقَالَ: ((**إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلَا وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِئَةٌ**)) [1].

يؤسس لنا النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأصل، وهو أن كل نقص ينزه عنه العبد ولا كمال فيه فالله أولى أن ينزه عنه سبحانه وتعالى.

تطبيق (3):

إنسان ذو ظلم:

إذا رأيت إنسانًا ذا ظلم، والظلم نقص من كل وجه، يُنزه عنه المخلوق، فالله أولى أن ينزه عن هذا الظلم، وعلى هذا دواليك.

س156: إشكال:

يوجد عندنا إشكالية في هذا الأصل الذي ذكرناه، وهي: أننا قلنا: يعتقدون أن كل كمال يتصف العبد به، **ولا نقص فيه فالله** أولى به،وكل نقص ينزه عنه العبد،**ولا كمال فيه** فالله أولى أن ينزه عنه.

(1) ـ رواه البخاري (7407)، ومسلم (169)، وهذا لفظ مسلم.

وهذه القيود فيها إشكال، وهو:

كيف يكون كمالٌ ولا نقص فيه؟ وكيف يكون نقصٌ ولا كمال فيه؟ فهل في الكمال نقص؟ وهل في النقص كمال؟

واجلواب عن هذه الإشكالية المتعلقة بالقيود:

هذه القيود في غاية الأهمية، ولا يصح هذا الأصل إلا بها، وبدون هذه القيود لا يصح هذا الأصل، ويكون فيه خلل؛ لأننا الآن لو قلنا:

((كل كمال يتصف العبد به فالله أولى به))، لم نقيد بالنقص -ولا نقص فيه-، ولو قلنا: كل نقص يتنزه عنه العبد فالله أولى أن ينزه عنه، دون ذكر القيد بالكمال -ولا كمال فيه- لم يكن الأصل صحيحًا.

ووجه ذلك:

أن هناكَ صفات كمالٍ في حق المخلوق، ولكنها صفات نقص بالنسبة للخالق، وهناك صفات نقص في حق المخلوق لكنها بالنسبة لله سبحانه وتعالى صفات كمال!!

ومن صور ذلك:

((صفات كمال بالنسبة للمخلوق وهي نقص بالنسبة لله سبحانه وتعالى)).

أ ـ صفة الإنجاب، والولادة:

هذا كمال بالنسبة للمخلوق؛ لأن من ينجب أكمل ممن لا ينجب، ولذلك

من العلماء من قال العقم عيب ينفسخ به النكاح [1].

والإنجاب كمال في حق المخلوق، ونقص بالنسبة لله تعالى.

فالذي ينجب هذا أكمل باتفاق العقلاء، لكن هذا الكمال نسبي بالنسبة للمخلوق، ولكن أصل هذه الصفة هي صفة نقص، ولذلك نفاها ربنا ﷻ عن نفسه فقال:﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾[الإخلاص:4/1].

ووجه نقص الولادة، والإنجاب:

لأن مسألة الإنجاب والولادة مردها إلى الاحتياج، بمعنى:

لماذا ينجب المخلوق؟

المخلوق يحتاج إلى الإنجاب:

أ ـ لبقاء نسله: فلو انقطع الإنجاب انقطع النسل البشري، فإنما جعل النسل

---

(1) ـ **اختلف العلماء في حكم فسخ النكاح بسبب العقم عند أحد الزوجين:**

((القول الأول)):

لا يُعَدُّ العُقمُ عَيبًا في الزَّوجَينِ، ولا يُفسَخُ به النِّكاحُ.

وهذا باتِّفاقِ المذاهِبِ الفِقهيَّةِ الأربَعةِ: الحَنَفيَّةِ، والمالِكيَّةِ، والشَّافِعيَّةِ، والحَنابِلةِ؛ وذلك لأنَّ العُقمَ لا يمنَعُ الاستِمتاعَ ولا يُخشى تعَدِّيه

((القول الثاني)):

يُعَدُّ العُقمُ عَيبًا في الزَّوجينِ ويُفسَخُ به النِّكاحُ.

وهو قَولُ بعضِ الحنابلة ــابنِ تيميَّةَــ. ومروي عن عمر.

وذلك لأنَّ النَّسلَ مِن مقاصِدِ النِّكاحِ

ليبقى الجنس.

ب ـ والإعانة للضعف في الكبر: كذلك الإنسان إذا كبرت سنه احتاج إلى من يعينه ويساعده، وقد كبرت سنه، وضعفت قوته، ووهنت عظامه، واشتعل رأسه شيبًا فيحتاج إلى من يكون بجواره يساعده ويعينه، ويخدمه، فيحتاج إلى الولد.

فأصل الإنجاب من الاحتياج، والإنجاب صفة كمال عند المخلوق، وهذا كمال نسبي، لكن بالنسبة لله صفة نقص، فالله ﷻ لا يحتاج إلى أحد، فهو الحي القيوم الغني.

مثال آخر:

ب ـ صحة الإنسان من جهة مسالكه البولية، وجهازه الهضمي:

دخول الخلاء واستطاعة الإنسان عملية الإخراج من البول والبراز بسهولة ويسر، هذا كمال بالنسبة لمن ابتلاه ربنا ﷻ بانسداد أو عنده مشاكل في المسالك البولية، أو الجهاز الهضمي، فيحتاج إلى تركيب ما يسمونه "أسطرة" ليستطيع التبول.

فأيهما أكمل، السليم في هذا الباب، أو السقيم؟

الجواب: الأكمل بلا شك الذي يستطيع إخراج الفضلات التي لا يحتاجها الجسم بسهولة ويسر.

نقول: هذا كمال بالنسبة للمخلوق، ولكن أصل صفة خروج البول والبراز هذا نقص؛ لأن مداره على الاحتياج، بمعنى أن الإنسان يحتاج للطعام والشراب، ثم

هضم هذا الطعام، فيستسيغ جسمه بعضه وتَخرج بقيته كفضلات؛ ولو بقيت هذه الفضلات لتسببت في موته.

فهو يتبول ويتبرز لحاجته إلى الطعام والشراب، فهو مفتقر للطعام والشراب؛ لأنه لو لم يأكل ويشرب لمات.

أما بالنسبة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو الصمد، الذي لا يحتاج للطعام والشراب ولا جوف له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولذلك نحن قيدنا بهذا القيد، "كل كمال يتصف العبد به **ولا نقص فيه** بوجه من الوجوه فالله أولى به"؛ لأن هناك كمالات عند المخلوق وهي في أصلها نقص، وبالنسبة للخالق نقص يتنزه عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وكذلك قيدنا: (وكل نقص لا كمال.....) ومن صور ذلك:

((صفات نقص بالنسبة للمخلوق وهي كمال بالنسبة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى)).

صفة الكبر:

هذه من صفات النقص عند المخلوق، قال الله جَلَّ جَلَالُهُ:﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾ [الأعراف:146]،

فانظر للعقوبة بسبب الكبر!!

عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((**لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرِيَاءَ**)) [1].

---

(1) ـ رواه مسلم (148).

وقال أَبُو حَيَّانَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: الْتَقَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما، ثُمَّ أَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَهُوَ يَبْكِي، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ: الَّذِي حَدَّثَنِي هَذَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: ((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِنْسَانٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ)) [1].

فالكبر صفة نقص بالنسبة للإنسان.

وبالنسبة لله: فهي صفة كمال وجلال لله تعالى، وصف بها ربنا تعالى نفسه، وسمى نفسه المتكبر كما قال جل جلاله: ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر:23].

((خلاصة الكلام)):

قيدنا بهذه القيود؛ لأن هناك كمالات عند العبد، وهي نقص عند الله سبحانه وتعالى؛ ولأن هناك صفات هي نقص عند العبد، لكنها كمال عند الله، سبحانه وتعالى .

س157: اذكر خطأ بعض المعاصرين من الأشاعرة في هذا الأصل؟

ج ـ انتقد بعض الأشاعرة هذا الأصل على ابن تيمية

قد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الأصل في كتبه.

وقام بعض الأشاعرة المعاصرين في نقد شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب: "نقض التدمرية"، وكان مما انتقده به، قول ابن تيمية:

((وَلَكِنْ يُسْتَعْمَلُ فِي حَقِّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ أَنَّ كُلَّ مَا اتَّصَفَ بِهِ الْمَخْلُوقُ مِنْ كَمَالٍ فَالْخَالِقُ أَوْلَى بِهِ، وَكُلَّ مَا يُنَزَّهُ عَنْهُ الْمَخْلُوقُ مِنْ نَقْصٍ فَالخَالِقُ أَوْلَى

---

(1) ـ **صحيح:** رواه رواه احمد (6526).

بِالتَّنْزِيهِ عَنْهُ....)) [1].

وطفق ينتقد ابن تيمية ويذكر كمالات موجودة في المخلوقات لا يصح أن يتصف الله بها [2].

مع أن ابن تيمية قيد هذا الأصل مرات في كتبه، والعجب أن مواطن التقييد أكثر من مواطن الإطلاق، ومن ذلك:

قوله: ((لِأَنَّ الْكَلَامَ صِفَةُ كَمَالٍ لَا نَقْصَ فِيهِ فَالرَّبُّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّصِفَ بِالْكَلَامِ مِنْ كُلِّ مَوْصُوفٍ بِالْكَلَامِ؛ إذْ كُلُّ كَمَالٍ لَا نَقْصَ فِيهِ ثَبَتَ لِلْمَخْلُوقِ فَالْخَالِقُ أَوْلَى بِهِ)) [3].

((بَلْ يُعْلَمُ أَنَّ كُلَّ كَمَالٍ -لَا نَقْصَ فِيهِ بِوَجْهِ- ثَبَتَ لِلْمَخْلُوقِ فَالْخَالِقُ أَوْلَى بِهِ وَكُلُّ نَقْصٍ وَجَبَ نَفْيُهُ عَنْ الْمَخْلُوقِ فَالْخَالِقُ أَوْلَى بِنَفْيِهِ عَنْهُ)) [4].

وفي درء التعارض قال:((ومن المعلوم أن كل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه يثبت للمخلوق، فالخالق أحق له، وكل نقص تنزه عنه مخلوق، فالخالق سبحانه أحق بتنزيه عنه)) [5].

وقد استعمل بعض أهل الكلام هذا الأصل:

قال الغزالي رحمه الله في الاقتصاد:

((وأما المسلكُ العقلي، فهو أن نقول: معلومٌ أن الخالقَ أكملُ من المخلوقَ،

(1) ـ مجموع الفتاوى، ابن تيمية (30/3) ط (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد) السعودية.

(2) ـ العقود الذهبية على مقاصد العقيدة الواسطية، سلطان العميري (86/1) ط (دار مدارج) الطبعة الثانية.

(3) ـ مجموع الفتاوى، ابن تيمية (157/12) ط (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد) السعودية.

(4) ـ مجموع الفتاوى، ابن تيمية (350/12) ط (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد) السعودية.

(5) ـ درء تعارض العقل مع النقل، ابن تيمية (397/2 - 398) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

ومعلومٌ أن البصيرَ أكملُ ممن لا يبصر،والسميعُ أكمل ممن لا يسمع، فيستحيل أن يَثبتْ وصفُ الكمالِ للمخلوقِ ولا نثبتُه للخالقِ)) [1].

مع التنبيه على اختلاف الأصول، بين الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ وابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

ونستفيد من هذا الخطأ مسألة مهمة جدًا تتعلق بالتحرير العقدي

س158: اذكر بعض أصول التحرير العقدي؟

ج ـ هناك قوانين وضوابط وأصول للتحرير عمومًا، وللتحرير العقدي خصوصًا يجب على طالب العلم ألا يتعداها.

ومن هذه الضوابط والأصول:

أ ـ التحصيل الجمعي للمقالات:

وهنا نقول: إن النصوص التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية، وقيد فيها هذا القيد أكثر من النصوص التي ذكرها ولم يذكر فيها هذا القيد.

فعندما يترك الباحثُ النصوص التي فيها الأكثرية الغالبة، ويتمسك ببعض النصوص القليلة:- فهذا خطأ منهجي كبير بلا شك.

ومرده إلى الخلل المنهجي وقلة العلم، أو التعمد، وأحلاهما مُرّ!!

ومن هذه الضوابط:

ب ـ مراعاة الاختلافات المذهبية (العامة، والشخصية)

ومراعاة الاختلافات المذهبية ينقسم إلى قسمين:

الأول: الاختلاف المذهبي العام (لجماعات وفرق ومدارس)

---

(1) ـ الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي (صـ66) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

الثاني: الاختلاف المذهبي الخاص (لعالم واحد بين التطور، والتناقض)

فالطالب إذا أراد أن يكون له بحثٌ متقنٌ محررٌ في باب النقل فعليه بهذا المسلك القويم السديد السليم، ينظر إلى أهم الكتب وأكثرها عند القوم إذا أراد أن يحرر مذهبًا لا سيما إذا كان عقديًا، فينظر إلى أهم الكتب عند القوم حتى يحرر قولهم، ولا يكتفي بكتاب واحد أو برجل واحد من رجال القوم في هذا الباب.

أمثلة على الاختلاف المذهبي العام (لجماعات وفرق ومدارس):

المعتزلة:

رجل أراد أن ينسب قولًا للمعتزلة، ولكن المعتزلة منهم البصريون، ومنهم البغداديون، وهناك فروقٌ بين الطائفتين تصل إلى أكثر من أربعين فرقًا، فلو نسب الإنسان قولًا للمعتزلة بناء على اطلاعه على كتاب واحد فقط، لواحد من أئمة المعتزلة وكان بصريًا، وقال: وقالت المعتزلة كذا، وكذا... ، فهذا راجع إلى الخلل المنهجي؛ لأن هذا عند طائفة من طوائف المعتزلة ،وليس عند الجميع.

ومن صور ذلك قول من يقول:

المعتزلة يثبتون لله ﷻ الاسم وينفون الصفة

هذه المقالة مشهورة في الدرس العقدي، وليست صحيحة،

والصواب أن يقال:

((المعتزلة يثبتون لله الاسم على ضلالات في إثبات الأسماء)).

لأنه قد يظن السامع أنهم يثبتون لله الأسماء كما هو عند أهل السنة والجماعة.

ومن هذه الضلالات في إثبات الأسماء عندهم:

أ ـ أن الأسماء مخلوقة وحادثة.

ب ـ وأنها لا تثبت لله بخبر الواحد

ج ـ وأن هذه الأسماء لا تتضمن الصفات.

د ـ أن الأسماء ليست توقيفية (عند معتزلة البصرة).

مثال آخر:

وهو خطأ يحدث في بعض الدروس العقدية، وهو:

البعض ينسب للمعتزلة القول **بـ"إنكار عذاب القبر".**

وهذا خطأ: ولعل سبب هذا الخطأ أمران:

الأول: أن بعض الأئمة نسب ذلك للمعتزلة، كالأشعري [1]، وأبي المظفر الإسفرايني [2].

---

(1) ـ **قال أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين:**

((قولهم في عذاب القبر))

واختلفوا في عذاب القبر:

أ ـ فمنهم من نفاه وهم المعتزلة والخوارج.

ب ـ ومنهم من أثبته وهم أكثر أهل الإسلام.

ج ـ ومنهم من زعم أن الله ينعم الأرواح ويؤلمها فأما الأجساد التي في قبورهم فلا يصل ذلك إليها وهي في القبور)). مقالات الإسلاميين {318/2} ت:نعيم زرزور، ط (المكتبة العصرية).

وقال في الإبانة عن المعتزلة: ((وجحدوا عذاب القبر، وأن الكفار في قبورهم يعذبون)).

الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري (صـ 51) ط (دار البصيرة) الإسكندرية.

(2) ـ **قال الإسفرايني، وهو يتكلم عن عقائد المعتزلة: ((وأنكروا عذاب القبر أيضًا)).**

التبصير في الدين، الإسفراييني (صـ 66 ـ 67) ط (عالم الكتب) بيروت.

الثاني: بعض الكلام الذي ذكره بعض أئمة المعتزلة فُهِم على غير مراده –وسيأتي بيانه في آخر هذا المثال في "إشكال وجوابه"–

والصواب: أن المعتزلة أجمعوا على إثبات عذاب القبر –على اختلاف سنذكره–، وإنما أنكره قليل منهم فقط.

يقول القاضي عبد الجبار –المعتزلي– في مطلع كلامه على عذاب القبر:

((وجملة ذلك أنه لا خلاف فيه بين الأمة، إلا شيء يحكى عن ضرار بن عمرو وكان من أصحاب المعتزلة ثم التحق بالمجبرة، ولهذا ترى ابن الراوندي يشنع علينا، ويقول: إن المعتزلة ينكرون عذاب القبر ولا يقرون به.

والكلام فيه يقع في أربعة مواضع:

أحدهما: في ثبوته.

والثاني: في كيفية ثبوته.

والثالث: في الوقت الذي يقع فيه.

والرابع: في فائدته.

ثبوت العذاب:

أما ثبوته، فالذي يدل عليه قوله تعالى:﴿**مِمَّا خَطِيئاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا ناراً فَلَمْ يَجِدُوا**﴾ فالفاء للتعقيب من غير مهلة، وإدخال النار لا وجه له إلا التعذيب، ويدل عليه أيضا قوله تعالى:﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وَعَشِيًّا**﴾ الآية،ووجه دلالته على عذاب القبر ظاهر غير أنه يختص بآل فرعون ولا يعم

جميع المكلفين)) [1].

قال أبو علي الجُبَّائي –المعتزلي– كما نقل ذلك عنه ابن المرتضى في طبقاته:

((قال أبو الحسن: سألت أبا علي عن عذاب القبر، فقال:

سألت الشحام [2] عن عذاب القبر فقال: **"ما منا من أحد أنكره، وإنما يحكى ذلك عن ضرار"**)) [3].

((إشكال وجوابه)):

قد يُشكل على القول بأن المعتزلة يقولون بإثبات عذاب القبر:– بعض النصوص الواردة عنهم التي تدل على خلاف ذلك، ومنها:

قول القاضي عبد الجبار –المعتزلي–:

((وأنكر مشايخنا عذاب القبر في كل حال...)) [4].

((والجواب)):

هذا الكلام من القاضي عبد الجبار له سياق يتعلق بوقت العذاب في القبر، لا أصل وجود عذاب القبر، وإثباته، وتأمل بقية كلامه:

((وأنكر مشايخنا عذاب القبر في كل حال؛لأن الأخبار واردة بذلك في الجملة

---

(1) ـ شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار _المعتزلي_(493/1) ط (دار إحياء التراث العربي) بيروت ـ لبنان.

(2) ـ وهو من كبار أئمة المعتزلة، أبو يعقوب يوسف بن عبد الله بن إسحاق الشحام من أصحاب أبي الهذيل، وإليه انتهت رئاسة المعتزلة في البصرة في وقته.

(3) ـ طبقات المعتزلة، أحمد بن يحيى بن المرتضى (صـ 72) في مطلع الكلام على "الطبقة السابعة"، عُنيت به "سُوسَنة دِيفلد _فِلزَر_" ط (النشرات الإسلامية، يصدرها لجمعية المستشرقين الألمانية) بيروت ـ لبنان (1380 هـ) _ (1961 م)

(4) ـ فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة (صـ 167) فصل: "في تشنيعهم علينا بذكر عذاب القبر....." (المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت)، توزيع (دار الفاربي) بيروت.

فالذي يقال به هو قدر ما تقتضيه الأخبار دون ما زاد عليها، ولذلك لا يُوَقت في ذلك التعذيب وقتًا، وإن كان الأقرب في الأخبار أنها الأوقات المقاربة للدفن، وإن كنا لا نُعَيِّن ذلك)) [1].

فالكلام المذكور من القاضي لا يتعلق بإنكار عذاب القبر في الأصل، وإنما يتحدث عن وقت العذاب، فانتبه لذلك.

والمعتزلة اختلفوا في هذه المسألة –وقت عذاب القبر– على أقوال، أشهرها:

أ ـ يقع بعد الدفن مباشرة.

ب ـ لا يكون بعد الدفن مباشرة، وإنما بعدها بوقت.

ج ـ يكون قبيل القيامة بقليل [2].

مثال آخر:

((الكلابية)):

هناك مدرستان للكلابية وهما: مدرسة الخرسانيين، ومدرسة البغداديين، فقد ينسب لهم الناسب قولًا وهذا القول يكون لأحد المدرستين، دون الآخرى.

((الأشاعرة)):

والأشاعرة ثلاث مدارس أساسية، فقد ينسب الإنسان لهم قولًا، وهذا القول يتعلق بالمدرسة.

وهذا بالنسبة للاختلاف المذهبي العام (لجماعات وفرق ومدارس).

---

(1) ـ فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة (صـ 167) فصل: "في تشنيعهم علينا بذكر عذاب القبر....." (المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت)، توزيع (دار الفاربي) بيروت.

(2) ـ جزئية الكلام على المعتزلة في هذا المثال، مستفاد من شرح شيخنا، سلطان العميري على الواسطية، "العقود الدرية" (2/ 30 – 31) ط (دار مدارج) السعودية.

القسم الثاني:

الاختلاف المذهبي الخاص (لعالم واحد بين التطور، والتناقض)

وهو الاختلاف المذهبي الشخصي

أمثلة الاختلاف المذهبي الخاص (لعالم واحد بين التطور، والتناقض):

مثال:

الرازي كثير الاختلافات في كتبه، بل ربما يمثل مدارس في كتبه.

فلا يجوز أن ينسب للرازي قولٌ دون الرجوع لبقية كتبه الأخرى التي قرر فيها أقوالًا أخرى.

واختلف الباحثون في هذا الاختلاف الواقع في كتب الرازي، هل هي تناقضات معرفية، أو تطورات علمية؟ على قولين:

((الأول)):

أن هذا تناقض من الرازي من التناقضات، لا التطورات

وهذا قرره ابن تيمية في أكثر من موضع في تقريراته.

((القول الثاني)):

بعض المعاصرين من الباحثين، قال إن هذا من التطورات العلمية.

وحاول أن يفسر هذه الاختلافات على أنها تطورات

والصحيح:

أن هذه تناقضات لا تطورات.

برهان ذلك:

لأنه قد يقرر أحيانًا أقوالًا مختلفة في كتاب واحد.

فضلًا على أن التطور يحتاج لمعرفة تاريخ الكتب لمعرفة المتقدم والمتأخر، وهذا غير معلوم في بعض الأحيان.

فالقول بالتطور فيه نظر.

ولذلك نقول:

((والتناقض لازم لكل من خالف الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح)).

مثال آخر:

الإمام الجويني الصحيح أنه تطور، أي: حدث له تطور.

فالإمام له أقوال متعددة في عدد من كتبه،له كلامٌ قرره في بعض كتبه كالنظامية بخلاف ما ذكره في كتبه كالإرشاد وبعض الكتب المتقدمة، وهو قد صرح بذلك.

فالجويني تراجع في العقيدة النظامية عدة تراجعات، فقد تراجع من التأويل إلى التفويض، وفي القدر تراجع من نفي التأثير في قدرة الإنسان إلى إثبات التأثير

فالجويني يمثل تطورات لا تناقضات.

فلو غفل الطالب عن ذلك سينقل كلام الجويني في الإرشاد وينقل مذهبه وعقيدته، مع أن الجويني صرح بتراجعه في عدد من المسائل المذكورة في الإرشاد.

وكذلك لا ينسب للأشعرية بعض ما هو موجود في النظامية؛ لأن عدد من علماء الأشعرية خالفوا الجويني في مسائل في النظامية.

وإذا لم يغفل الطالب عن ذلك، فإنه يعرف آخر الأقوال وينسبها لصاحبه بعدل وإنصاف (وهذا هو هدي ومسلك أهل السنة).

((خلاصة الكلام)):

عدم الاطلاع على هذه الاختلافات يوقع طالب العلم في إشكاليات تحريرية، وإذا راعى وضبط الاختلافات المذهبية سيراعى المذهب الأخير.

على كل حال من لم يفهم هذا الباب وقع في أغاليط كثيرة كما وقع فودة.

وهذا الذي ذكرناه ليس عبارة عن بعدٍ معرفي، بل هو بعد إيماني تعبدي.

ولذلك فاعلم:

((الحكم بين الناس في مقالاتهم كالحكم بينهم في أموالهم وأعراضهم))

فإذا كان الحكم في أموالهم وأعراضهم عظيم عند الله، فالحكم في أقوالهم أعظم؛ لأنه يتعلق بالدين.

سبحان الله! كثير من الناس يتشددون في باب الأموال والأعراض ولا يعبؤون في الأقوال ويتهاونون فيها ، فالأمر عظيم لا سيما الأقوال المتعلقة بالعقائد والعلم عند الله ﷻ.

والباحث والطالب إذا كان يأتي بأقوال القوم، ويحكم فيها، فهو أشبه بالقاضي، والقضاء تعبد لله، وخطر كبير [1].

وهذا ينفعك جدًا في حياتك إن طبقته، فلو بلغك نَقْل عن أحد، لا سيما لو كان من أهل العلم، أو من أصدقائك، أو أصحابك أو أهلك أو أرحامك، فتأكد وتثبت؛ لأن الكثير من الناس:

---

[1] ـ مستفاد من المحاضرة الأولى "لشرح الواسطية" لشيخنا الشيخ: "سلطان العميري"، وهي بعنوان: "قوانين التحرير العقدي"، وهذا رابط المحاضرة على اليوتيوب:
https://www.youtube.com/watch?v=6t_frGEV4Jo

يبنون الأحكام على الأوهام.

ومنهم من يبني الأحكام المُسَلَّمة على الاستنتاجات الخاطئة.

وهذه مسالك شيطانية باطلة.

ولذلك إذا جاءك كلام عن شخص فعليك بهذا:

التثبت، والعلم (لو كان يتعلق بمسألة علمية)، والأدب.

س159:ما الأدلة على هذا الأصل؟

ج ـ الأدلة على هذا الأصل كثيرة سنذكر بعضها.

فإن الأدلة على هذا الأصل قسمان:

هناك أدلة تتعلق بالجزء الأول من الأصل، **"كل كمال يتصف العبد به ولا نقص فيه....."**،

وهناك أدلة تتعلق بالجزء الثاني من الأصل، **"وكل نقص ينزه العبد عنه ولا كمال فيه فالله أولى أن ينزه عنه"**.

((بعض الأدلة المتعلقة بالشطر الأول المتعلق بالإثبات)).

"كل كمال يتصف العبد به ولا نقص فيه فالله أولى به"،

((الدليل الأول)):

قال الله جَلَّ جَلَالُهُ:﴿**لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[النحل:60]،

وجه الاستدلال: أن الله أخبر في هذه الآية أن له الوصف الأعلى –على وجه من وجوه التفسير–، والوصف الأعلى يستلزم أنه إذا كان للإنسان كمال ولا

نقص فيه بوجه من الوجوه، فالله له الوصف الأعلى من هذا الكمال؛ لأنه ليس كمثله شيء، وله المثل الأعلى.

((الدليل الثاني)):

قال الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿**فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ**﴾ [فصلت:15]،

وجه الاستدلال: هذه دلالة على أن هؤلاء الناس كان عندهم كمال، وقوة، فاستكبروا بها، فبين الله تعالى أن الله هو الذي وهبهم وخلق فيه هذه القوة، والذي وهب الكمال هو أولى به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

((الدليل الثالث)):

عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ))** قُلْنَا: لاَ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: **((لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا))** (1)

وجه الاستدلال: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثبت لله الرحمة، وقال: «**لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**»، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أن هذه الرحمة الممدوحة عند المرأة، الله سبحانه وتعالى أحق بها، وأحق بهذه الصفة، فكل كمال جاز أن يتصف به المخلوق ولا نقص فيه فالله أولى بذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(1) ـ رواه البخاري (5999)، ومسلم (2754).

((الدليل الرابع)):

قال الله ﷻ: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾ [العلق:3].

وجه الاستدلال: **الأكرم** أي: الأفضل من غيره في الكرم، فدل ذلك على أن الإنسان لو كان كريمًا فالله تعالى يتصف بالكرم، وكرم الله ﷻ أعظم وأجل، وأن كل كمال يتصف العبد به ولا نقص فيه فالله أولى به.

((الدليل الخامس)):

قال الله ﷻ: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[يوسف:76]،

وجه الاستدلال: إذا كان الإنسان يتصف بالعلم ففوق كل ذي علم عليم، وهو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، هو الله سبحانه وتعالى، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما .

((الدليل السادس)):

من الأدلة العقلية التي تدل على هذا الأصل:

دليل "أكمل الموجودات":

فالله تعالى هو اكمل الموجودات [1]، وأكمل الموجودات أولى أن يتصف بكل جميل، وأولى أن ينزه عن كل نقيصة ﷻ.

((الدليل السابع)):

الإنسان إذا كان فيه كمال ولا نقص فيه بوجه من الوجوه، فمن الذي وهبه

---

(1) ـ والمقصود بالإخبار عن الله بالموجود، المعنى الصحيح، وهو أنه تعالى ليس هناك من أوجده، بل هو تعالى الخالق الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وأنه فوق عرشه بائن من خلقه، له صفات الكمال ونعوت الجلال، المنزه عن كل نقص وعيب، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

هذا الكمال؟ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي وهبه الكمال هو أولى بهذا الكمال.

هذا بالنسبة للشق الأول، كل كمال يتصف العبد به ولا نقص فيه فالله أولى به.

وهناك أدلة تتعلق بالجزء الثاني من الأصل، **"وكل نقص يتنزه العبد عنه ولا كمال فيه فالله أولى أن ينزه عنه".**

((بعض الأدلة المتعلقة بالشطر الثاني المتعلق بالنفي)).

وكل نقص يتنزه العبد عنه ولا كمال فيه فالله أولى أن ينزه عنه.

((الدليل الأول)):

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ الدَّجَّالَ بَيْنَ ظَهْرَانَيِ النَّاسِ، فَقَالَ: **((إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلَا وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِئَةٌ))** [1].

وجه الاستدلال: العور هذا صفة نقص ينزه عنه المخلوق، لأنها صفة نقص، فبين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن صفات النقص الله أولى أن ينزه عنها، قال: «**ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور**»[2]، ينزه عن مثل هذا النقص، وعن مثل هذا السوء.

((الدليل الثاني)):

وكذلك الفطرة تدل على ذلك، الإنسان بفطرته جبل على أنه يعبد الله الذي لا يتصف بصفات النقص ولا بصفات السوء، فالله تعالى منزه عن ذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(1) ـ رواه البخاري (7407)، ومسلم (169)، وهذا لفظ مسلم.

(2) ـ رواه البخاري (7131)، ومسلم (2933).

((الدليل الثالث)):

"دليل أكمل الموجودات"

أن أكمل الموجودات هو الله تعالى، وأكمل الموجودات لا يتصف بصفات النقص ولا بصفات السوء.

هذا بالنسبة لهذا الأصل في هذا الباب.

أسئلة تتعلق بالأصل الثاني

((النفي يكون إجمالًا والإثبات يكون مفصلًا [1]))

س160: ما معنى هذا الأصل؟

ج ـ معنى هذا الأصل:

باب الصفات يقوم على النفي والإثبات، فَنُبثت لله ﷻ ما أثبته لنفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال، وننفي عن الله ﷻ النقص والسوء، وأهل السنة والجماعة في هذا الباب عندهم أصل عظيم، عندما يثبتون لله الصفات **يُفَصِّلُون** في هذا الإثبات، وعندما ينفون عن الله النقائص فإنهم **يُجْملون** في هذا النفي.

فالإثبات عندهم = مفصل.

والنفي عندهم = مُجْمَل.

فلو أردت أن أثبت لله صفات الكمال:

أُفَصِّل، فأقول: الله عزيز قدير حكيم، الله حكيم عليم، الله رحيم، الله رؤوف، الله سميع بصير.......إلخ.

ولو أردت أن تنفي عن الله تعالى النقص:

أُجْمِل، وأقول: سبحان الله عما يقولون، أو سبحان الله عما يصفون، الله ﷻ منزه عن النقائص والعيوب.

---

(1) ـ وقد قيدنا هذا الأصل في المتن بقولنا: **"وهذا قد يختلف لعلل"**، وإنما تركنا هذا القيد في العنوان؛ للاختصار، وسيأتي ذكر هذا القيد وأسبابه في سؤال مستقل.

س161: من أين أتى أهل السنة والجماعة بهذه الطريقة (التفصيل في الإثبات، والإجمال في النفي)؟

ج ـ أتوا بهذا الأصل:

من النصوص الشرعية الدالة على ذلك –كما سيأتي بيانه إن شاء الله–.

س162: لكن هناك نصوص شرعية فيها تفصيل في النفي وإجمال في الإثبات، فلماذا سار أهل السنة على هذه القاعدة (التفصيل في الإثبات، والإجمال في النفي)؟

ج ـ أما وجود نصوص فيها النفي المفصل والإثبات المجمل، فهذا إشكال على هذا الأصل سيأتي جوابه في سؤال وجواب مستقل قريبًا –ولذلك قيد المصنف أن هذا الأصل قد يختلف لعلل–.

وأما سبب سير أهل السنة على هذا الأصل فلأمور، أهمها:

أولًا: أن هذا هو الوارد في أغلب النصوص الشرعية.

ثانيًا: أن الإثبات فيه الكمال، والكمال _كما سبق_ يكون باعتبارات: باعتبار الانفراد، وباعتبار التعدد، فالإثبات فيه الكمال، على الانفراد والتعدد.

وأما النفي فليس فيه كمال، والتفصيل في النفي قد يكون في بعض الأحوال أشبه بالذم.

ثالثًا: أن التفصيل في النفي ليس فيه الكمال، كما لو قلت الآن: هذا العمود ليس بجاهل، فنفي الجهل عن العمود لا يلزم منه إثبات العلم،

وكما لو قلت:هذا العمود ليس بظالم، أنا أنفي عنه الآن الظلم؛ لأنه –أصلًا– ليس محلًا للظلم، فأصله فيه نقص.

فضلًا عما فيه من إساءة الأدب: فلو دخل رجل على سلطان أو رجل من الكبراء وقال له: أنت لست بزان، ولا بجاهل، ولا بغشوم، ولا بظلوم، ولا كافر، ولا بمرتد، ولا بزنديق، ولا ديوث، ولا غبي.....إلخ، وظل يُعدد هذه الأمور، هذه في الجملة تعتبر من السوء والقبح والذم، وليس من الأدب، إذ النفي لا يستلزم الكمال.

س163: وما الحكمة من كون أغلب النصوص فيها الإثبات المفصل؟

ج ـ لما سبق ذكره في السؤال السابق، وأيضًا:

الإثبات كان فيه التفصيل في أغلب النصوص الشرعية رحمة من الله ﷻ بأمة الإسلام؛ لقطع السبيل على أهل التعطيل، الذين يعطلون الصفات وينفونها عن الله، فأغلب النصوص فيها التفصيل في الإثبات قطعًا للسبيل على أهل التعطيل، وللرد على المعطلة الذين لن يستطيعوا أبدًا أن يجابهوا هذه النصوص المفصلة في الإثبات في القرءان والسنة؛ ولذلك سلكوا حيلًا، منها: التفريق بين خبر الآحاد وخبر المتواتر في أبواب قبول العقائد، وسلكوا مسلك التأويل وإقحام المجاز في كثير من نصوص الصفات.

س164: ما الأدلة على هذا الأصل؟

ج ـ الأدلة على هذا الأصل تنقسم إلى قسمين:

أ ـ أدلة على سبيل الجمع:

المقصود: الجمع بين النفي والإثبات في نفس الدليل، فالنفي والإثبات متصلان لا منفصلان.

ب ـ وأدلة على سبيل الافتراق:

والمقصود: النفي والإثبات فيها ليسا في نفس الدليل، فالنفي والإثبات فيها منفصلان لا متصلان.

القسم الأول ((أدلة فيها الجمع بين النفي المجمل والإثبات المفصل)):

((الدليل الأول)):

قال الله جَلَّ جَلَالُهُ:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:11].

مطلع الآية "نفي"، وآخرها "إثبات"

"لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ": هذا نفي.

"وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ": هذا إثبات.

وجه الاستدلال من الآية: لما أراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن ينفي عن نفسه المثيل قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ هذا إجمال؛ لأن تحتها تفصيلًا، ليس كمثله شيء في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أسمائه، ولا في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا في عظمته، ولا في حكمته، ولا في رحمته....إلخ، فأجمل في النفي.

وعند الإثبات قال:﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ففصل في الإثبات.

آيات أخرى فيها الاجتماع بين النفي والإثبات والتفريق بين المنهجين في الإثبات المفصل وفي النفي المجمل.

((الدليل الثاني)):

قال الله جَلَّ جَلَالُهُ:﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الحشر:22/23].

وجه الاستدلال: أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فصَّل في الإثبات، وذكر الكثير من الأسماء المتضمنة لصفات [1].

([1]) ـ **الملك**: هو مالك الملوك والأملاك، له الملك كله، ملكه تام ليس كملك البشر، سلطانه نافذ على جميع مخلوقاته، ومقاليد الأمور كلها بيديه.

القدوس: الذي تقدس وتنزه عن كل عيب ونقص ينافي كماله في ذاته، وصفاته وأفعاله، وهو المُعَظَّم الذي له كل قدس وتعظيم، وهو المنزه عن أن يقاربه أو يماثله أحد في شيء من كمالاته وهو المبارَك المبارِك الذي كثرت وعمت خيراته في كل الأوقات في الأرض والسماوات.

السلام: الذي سلم من كل عيب ونقص وسوء، والذي سلَّم عباده من الظلم، وسلَّم أولياءه من العذاب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

المؤمن: الذي أمَّن عباده من الظلم، وأمن أولياءه من العذاب فأمنهم عند الموت، وفي البرزخ، ويوم الفزع الأكبر، وأمَّنَهم من النار.

المهيمن: الرقيب، الحفيظ الشهيد على عباده، القائم على كل الخلائق بالرعاية والعناية والإصلاح لأحوالهم وشؤونهم.

العزيز: الذي لا غالب له، ولا مانع له، فأمره نافذ لا محالة، والذي يهب العزة لمن يشاء، وهو الذي لا يُضام جاره، ولا يَذِلُّ أنصاره.

الجبار: الذي جبر كل كسير، والذي جبر في قلوب عباده ما يشاء من خير، ومن غيره.

المتكبر: الذي لا يليق الكبرياء إلا به، والذي ذل لعظمته وكبرياءه كل متكبر، وكل عظيم، وهو المتكبر عن ظلم عباده، والمتعالي عن كل نقص وعيب لا يليق بكبريائه ومجده وجلاله، المستحق لكل تكبير وتعظيم وإجلال.

((تنبيه)):

قد أذكر في بعض الأحيان بعض الأخبار مثل: "المبارك وغيره"، وهذا إنما ذكرناه من جهة الإخبار لا التسمية.

وعند النفي أَجْمَل، وقال:﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

((الدليل الثالث)):

قال الله ﷻ:﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر:44].

وجه الاستدلال: أنه تعالى أَجْمل في النفي فقال:﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾.

وفي الإثبات فصل فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.

فائدة من الآية:

لماذا ختم الله سبحانه وتعالى الآية بـ "عليمًا قديرًا"؟

الجواب: لأن مَرَد العجز إلى أمرين:

الأمر الأول: ضعف العلم.

الأمر الثاني: ضعف القدرة.

فالعجز عن استطاعة الفعل لا يكون إلا لضعف العلم، أو ضعف القدرة.

مثال:

رجل أراد أن يبني بيتًا، وعنده قوة، ويستطيع أن يفعل ذلك، لكن لم درس الهندسة ولا فنون البناء، وما شابه ذلك، فيعجز عن ذلك ليس بسبب القدرة، وإنما بسبب العلم.

رجل آخر أراد أن يبني بيتًا، عنده علم بالهندسة وفنون البناء، يقوم بعمل رسم هندسي ممتاز للبناء، وعنده فنون العمارة، ودرس الهندسة، ويقوى على ذلك،

لكنه إنسان ضعيف مريض، فهو لا يستطيع أن يُشَيِّد ما رسمه، فكان عجزه ناشئًا عن القدرة والقوة.

فالعجز سببه ضعف العلم، أو ضعف القدرة.

القسم الثاني ((أدلة متفرقة في النفي المجمل والإثبات المفصل)):

أولًا _ أدلة التفصيل في الإثبات:

((الدليل الأول)):

قال الله ﷻ:﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾[البقرة:255].

وجه الاستدلال: فَصَّل تعالى ذكره في الإثبات، وذكر الحي القيوم.

((الدليل الثاني)):

قال الله ﷻ:﴿**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾[النساء:164].

وجه الاستدلال: لما ذكر الإثبات في صفة الكلام أكده بقوله:"**تَكْلِيمًا**"

((الدليل الثالث)):

قال الله ﷻ:﴿**وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ**﴾ [البروج:16/14]

وجه الاستدلال: لما كان المقام للإثبات، كان فيه التفصيل.

((الدليل الرابع)):

قال الله ﷻ:﴿ **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ** ﴾[الأنعام:18].

وجه الاستدلال: لما كان المقام للإثبات، فَصَّل فيه ربنا سبحانه وتعالى.

ثانيًا _ أدلة الإجمال في النفي:

((الدليل الأول)):

قال الله ﷻ: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص:4].

وجه الاستدلال: لما كان المقام يتعلق بالنفي، أَجْمَل الله تعالى فيه.

((الدليل الثاني)):

قال الله ﷻ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم:65].

وجه الاستدلال: كسابقه.

س165: إذا كانت هذه هي طريقة أهل السنة والجماعة، وهي: (التفصيل في الإثبات، والإجمال في النفي) فكيف الجواب عن إشكالية وجود نصوص شرعية فيها خلاف ذلك، حيث هناك نصوص شرعية فيها:(تفصيل في النفي وإجمال في الإثبات)؟

ج ـ نعم هناك نصوص شرعية فيها خلاف الأصل المذكور؛ ولذلك قلنا في المتن: (**وهذا الأصل يختلف لعلل**).

وهنا في الجواب سنذكر بعض النصوص التي فيها خلاف الأصل:

(نفي مفصل، وإثبات مجمل)، ثم نذكر أهم العلل المتعلقة بمخالفة هذا الأصل.

أولًا _ ((نصوص فيها نفي مفصل)):

أ ـ قال الله ﷻ: ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾[البقرة:255].

هذا من التفصيل في النفي.

ب ـ قال الله ﷻ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص:3/4].

فهذه نصوص فيها، تفصيل في النفي.

ثانيًا ــ ((نصوص فيها إثبات مجمل)):

أ ـ قال الله ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:2].

ب ـ قال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾[النحل:60].

ج ـ قال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[الأعراف:180].

فهذه نصوص فيها، الإجمال في الإثبات.

وأما الجواب عن هذا الإشكال، فهذا الذي عناه الماتن بقوله: وهذا الأصل قد يختلف لعلل.

فالأصل في النصوص الشرعية في باب الإثبات التفصيل، وفي باب النفي الإجمال، هذا الأصل، وقد يختلف لعلل.

السؤال: وما هذه العلل؟

((الجواب)):

من أشهر هذه العلل التي لأجلها قد يختلف هذا الأصل:

((أولًا)):

قد يكون هذا في مقابلة حوادث خاصة، أو سؤال عظيم، وأمور كبرى قوبلت بالإنكار أو الإثبات (1) من بعض الطوائف، فيأتي نفيها مفصلًا؛ لتقرير الرد عليهم، فيكون هذا بسبب الرد على واقعة معينة، أو أمر من الأمور الكبيرة التي قوبلت بالإنكار، أو الرد على سؤال جلل، فيأتي الرد بتفصيل في النفي في القرءان أو السنة، أو في كليهما.

(1) ـ أما الإنكار: كإنكار المشركين للبعث -مثلًا-، وأما الإثبات: فإثبات العبودية للأصنام -مثلًا-.

مثال:

سبب نزول سورة الإخلاص:

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ الْمُشْرِكُونَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ [1].

فكان التفصيل في النفي تقريرًا في الرد عليهم، وإقامة للحجة على هؤلاء الذين يكفرون بالله سبحانه وتعالى.

وفي هذه السورة: جاء التفصيل في الإثبات، وكذلك في النفي للرد على هذا السؤال العظيم، لبيانه لهم، وإقامة للحجة عليهم.

ومن ذلك:

ما ورد في حديث -في سنده نكارة وضعف-، أن اليهود نسبوا لله سبحانه وتعالى النوم فأنزل الله تعالى: ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ** ﴾ [البقرة:255].

فكان التفصيل في النفي تقريرًا في الرد على اليهود -قبحهم الله- وإقامة للحجة عليهم.

((الأمر الثاني)):

أن هذا من باب توسيع دائرة الإثبات بإثبات أضدادها من صفات الكمال، فأثبت الكمال تفصيلًا، وأكد في بعض الأحيان النفي تفصيلًا؛ لتوسيع جهة

---

(1) ـ رواه أحمد (21257)، الترمذي (3365)، والحاكم (3987)، وهو حديث في سنده مقال، وقد حسنه بعض أهل العلم، وضعفه بعضهم.

الإثبات ودائرته.

((الأمر الثالث)):

أن هذا خلاف الأصل، وإنما الأصل والتقعيد العام (النفي المجمل والإثبات المفصل) وما عدا ذلك فهو على خلاف الأصل لمصلحة.

((الأمر الرابع)):

قد يكون هذا لدفع التوهم، وذلك لأن هناك أصلًا في نصوص القرءان وهو: (دفع التوهم).

مثال ذلك:

لو قلت لك: "الله يعلم ما يخفى".

فهذا بلا شك يدل أنه ﷻ يعلم الجهر؛ لأن ما يخفي علمه أشد لخفائه، بخلاف الجهر، فإذا علم ما يخفى، فأن يعلم الجهر أولى وأجدر.

لكن انظر لقوله ﷻ:﴿**إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى**﴾ [الأعلى:7].

فذكر تعالى الجهر؛ لأنه لو قال: "إنه يعلم ما يخفى"، فقد يقول قائل: "هو يعلم ما يخفى لكن الجهر لا يعلمه!!"،-مع أنَّ هذا لا يقبله عقل سوي-، لكن الله ﷻ لا يدع مجالًا لأمثال هؤلاء السفهاء، فأغلق عليهم الباب؛ لأجل دفع التوهم -ولو كان ضعيفًا-.

وإليك مثالًا على ذلك:

آية الكرسي: فيها تفصيل في النفي كما قال ﷻ:﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ**﴾[البقرة:255]، فنفى السِّنة والنوم، وهذا تفصيل

في النفي؛ وذلك لدفع توهم، وهو: أن نفي النوم لا يلزم منه نفي السِّنة، فلأجل ذلك كان التفصيل؛ لأنه قد يتوهم متوهم، أو يخرج سفيه، أو زنديق، أو كافر يطعن في القرءان فيقول: "لا ينام، ولكن قد تأخذه سِنة" فقطع الله دفع التوهم للجاهل، وأغلق باب الطعن على الكافر، والزنديق.

أسئلة تتعلق بالأصل الثالث

((وأن القياس كله باطل في الصفات: كقياس الشمول، وقياس التمثيل، عدا قياس الأولى –بضوابطه–))

س166: ما معنى هذا الأصل؟

ج ـ معنى هذا الأصل:

أنه لا يصح القياس في صفات الله ﷻ، وكل القياس في باب الصفات باطل، لا يحل، عدا قياس الأولى بضوابطه.

س167 :وهل يصح أن نقول:يجوز قياس الأولى في حق الله،أو صفات الله؟

ج ـ بعض المعاصرين أنكر ذلك:

قال: لا يجوز، أن نقول: قياس الأولى يصح، والصواب أن نستبدل بهذا اللفظ، لفظًا شرعيًا، فنقول: "المثل الأعلى".

واستدل على ذلك:

أ ـ بأن هذا الذي ورد في القرءان:﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾[النحل:60].

وقال الله ﷻ:﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ [الروم:27].

ب ـ ثم عضد ذلك بأن السلف –رحمهم الله– صرحوا بنفي القياس، وقالوا: **"الله لا يقاس بخلقه"**.

قلت: كذا قال، وهذا الكلام ليس بسديد.

((برهان ذلك)):

أن القياس في صفات الله أو بالنسبة للهفي باب الصفات ينقسم إلى قسمين:

أ ـ قياس ممنوع

ب ـ قياس مقبول مشروع.

قياس ممنوع: (كقياس التمثيل، وكقياس الشمول).

قياس مقبول مشروع: وهو(قياس الأولى بضوابطه)،وهو مستنبط من كتاب الله ﷻ،ومن سنة رسول الله ﷺ، ودل عليه العقل، ودلت عليه الفطرة، -وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله-.

فلا إشكال في قولنا "قياس الأولى" في صفات الله ﷻ، وهو مجرد اصطلاح.

وأما استدلاله بكلام السلف: "الله لا يُقاس بخلقه"

فليس بسديد؛ وإنما أراد العلماء بقولهم: **"الله لا يقاس بخلقه"**، القياس الممنوع، وإلا فالعلماء قد درجت هذه اللفظة على ألسنتهم،وفي كتبهم،وتلقوها بالقبول، والأمر فيها بأمر الله ﷻ سهل؛ لأن هذه مسألة اصطلاحية ولا مشاحاة في الاصطلاح ما لم يخالف النص أو يؤدِّ إلى مفسدة.

س168: ما معنى قياس التمثيل ومضمونه؟

ج ـ قياس التمثيل (معناه ومضمونه):

أن يجعل المخلوقُ أصلًا يقاس عليه صفات الله ﷻ.

مثال:

أ ـ قال الله ﷻ:﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾ [الفتح:10].

يقول: لله يد كيدي.

ب ـ قال الله ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[المجادلة:1].

يقول: لله سمع وهذا السمع كسمعي.

ج ـ قال الله ﷻ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾[طه:39].

يقول: لله عين كعيني.

هذا هو المقصود بقياس التمثيل.

س169: وما حكم قياس التمثيل؟

ج ـ حكمه:

قياس التمثيل باطل لا يجوز في صفات الله سبحانه وتعالى.

بعض أدلة بطلان قياس التمثيل:

((الدليل الأول)):

قول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[الشورى:11].

وجه الاستدلال: نفي المثلية، فبيَّن الله سبحانه وتعالى أنه ليس كمثله شيء، وأنه تعالى لا يُقاس بخلقه، ومن قاس [1] الله بخلقه فقد جعل مثله شيئًا.

((الدليل الثاني)):

قول الله ﷻ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم:65].

وجه الاستدلال: هذا استفهام إنكاري، يراد به النفي، هل تعلم لله شبيهًا ونظيرًا؟

---

(1) ـ المقصود: قياس التمثيل كما هو ظاهر السياق، إذا الكلام والسؤال يتعلق به.

تعالى الله، ليس له شبيه ولا نظير ولا سميٌّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومن قاس الله بخلقه فقد جعل له سميًا.

((الدليل الثالث)):

قول الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾[البقرة:22].

وجه الاستدلال: النهي. والمقصود: لا تجعلوا لله نظراءَ، ولا تجعلوا لله أشباهًا ونظراءَ، ومن قاس الله بخلقه فقد جعل له أندادًا، ونظراء.

((الدليل الرابع)):

قول الله جَلَّ جَلَالُهُ ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾[النحل:60].

وجه الاستدلال: "المثل الأعلى" يعني: الوصف الأعلى –على وجه من وجوه التفسير– فربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له الوصف الأعلى، ولو كان الله يقاس بخلقه لكانت صفات الخالق كصفات المخلوق –أي: فيها مماثلة– ولم يكُن لله الوصفُ الأعلى.

((الدليل الخامس)):

قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((يَوْمَ يُحْشَرُ الْعِبَادُ –أَوْ قَالَ: النَّاسُ– حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ.......))** [1].

وجه الاستدلال: أن الله جَلَّ جَلَالُهُ ينادي الناس–من لدُن آدمَ إلى قيام الساعة– بصوت يسمعه من قَرُب كما يسمعه من بَعُد، ولو كانت صفات الخالق جَلَّ جَلَالُهُ

(1) ـ رواه أحمد (16042)، والحاكم (7815)، وصححه الذهبي.

كصفات المخلوق، ما كان صوته يسمعه مَن بَعُد كما يسمعه من قَرُب، فدل ذلك على أن الله تعالى لا يُقاس بخلقه.

((الدليل السادس)):

قَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ إنَّ عَلِيًّا الْأَزْدِيَّ، أَخْبَرَهُ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنه عَلَّمَهُمْ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفرٍ، كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ:

((سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ ....)) [1].

وجه الاستدلال: أنه سبحانه وتعالى: صاحبٌ في السفر، خليفةٌ في الأهل (2)، فدل ذلك على أن صفات الخالق ليست كصفات المخلوق، وأن الله لا يُقاس بخلقه؛ لأن المخلوق إما أن يصاحب المخلوقَ في السفر، أو يخلفه في أهله.

((الدليل السابع)):

دليل عقلي: التساوي في الاسم لا يستلزم التساوي في المسمى،بمعنى: أنا سميع بصير، وربي سميع بصير، والتساوي في الأسماء والصفات لا يستلزم التساوي في كُنه الصفة،وفي ذات الصفة.

فصفات المخلوق تليق بعجزه ونقصه، وأما صفات الله جل جلاله، فهي غاية في الكمال والحسن، وتليق بجماله وكماله وجلاله وعظمته وقدرته جل جلاله.

---

(1) ـ رواه مسلم (1342)، وأبو داود (2599)، والترمذي (3447).

(2) ـ والمقصود بذلك: أن الله –تعالى– مع المسلم المسافر، وهو خليفة على أهله، والمقصود به المعية الخاصة.

ــ وهذا التباين موجود بين صفات مخلوق ومخلوق [1]، فكيف بالخالق!! ﷻ.

((الدليل الثامن)):

الفطرة:

الفطرة تدل على بطلان التمثيل؛ فالإنسان بفطرته جُبل على التفريق بين الخالق والمخلوق، وأن صفات الخالق ليست كصفات المخلوق.

ولذلك عند الملمّات وانقطاع السبل يستغيث الناس بالله؛ لأن صفات الخالق ليست كصفات المخلوق، فالخالق الذي له صفات الكمال هو القادر على إغاثة من انقطعت به السبل.

كما قال قال الله ﷻ عن المشركين: ﴿ **فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ** ﴾[العنكبوت:65].

((الدليل التاسع)):

دليل أكمل الموجودات:

فالموجودات إما خالق أو مخلوق،ومحال أن يستوى الخالق والمخلوق في الصفات لأن الخالق أكمل الموجودات، فلا يُقاس بخلقه.

((الدليل العاشر)):

ولأن المخلوق مفتقر لخالقه،ومحال أن يكون المفتقر كالغني الواحد القيوم، القائم بنفسه المقيم لغيره، فكيف للغني أن يُقاس بالمفتقر له؟!

---

(1) ـ فللإنسان يد، وللحمار يد، وللفيل يد، وللأرنب يد، وللفأرة يد، وللنملة يد......إلخ، وكل يد من المذكورات فيها تباين مع يد الإنسان، مع أن الاسم واد "يد" فهذا تباين بين مخلوق ومخلوق، فكيف بالخالق -تعالى ذكره-.

س170: ما معنى قياس الشمول ومضمونه؟

ج ـ قياس الشمول (معناه ومضمونه):

دخول الخالق والمخلوق تحت أصل كلي يستلزم المساواة بينهما.

فنأتي بقاعدة شمولية، أو أصل كلي، ونُدْخل تحت هذا الأصل صفات الخالق والمخلوق.

تطبيق (1):

"من كان متكلمًا فلا بد أن يكون له لسان، وشفتان"

فيجعل هذا أصلًا شموليًا، ويُدْخل الخالق والمخلوق تحته.

تطبيق (2):

"كل من يسمع لا بد أن يكون له أذن"

فيجعل هذه قاعدة شمولية، ويُدخل تحتها الخالق والمخلوق، فيقول: أنا أسمع، فلا بد أن يكون لي أذن، والله يسمع فيكون له أذن.

تطبيق (3):

"من استوى على شيء فهو محمول عليه، ومحتاج إليه، تحدث بينه وبينه المماسة، وهو محدود"

فيجعل هذه قاعدة شمولية، ويُدخل تحتها الخالق والمخلوق، ويجعل هذا الأصل جاريًا على الخالق والمخلوق.

ــ ويُلزم من قال باستواء الله ﷻ على العرش:- إثباتَ الاستواء هذه الأشياء المذكورة.

هذا هو المقصود بقياس الشمول.

س171: وما حكم قياس الشمول؟

ج ـ حكمه:

قياس الشمول باطل لا يجوز في صفات الله ﷻ، وأدلة بطلانه:

أدلة بطلان قياس الشمول:

هي نفس أدلة بطلان قياس التمثيل، السابق ذكرها؛ ولأن مآله إلى مساواة الخالق بالمخلوق.

س172: ما الفرق بين قياس التمثيل، وقياس الشمول؟

ج ـ يتفقان ويفترقان:

يتفقان: في المآل، (كلاهما يؤول إلى التمثيل بين الخالق، والمخلوق).

يفترقان: في الكيفية، فقياس التمثيل أفحش وأقبح من قياس الشمول.

وقياس الشمول قد يتوافق مع النص الشرعي لغيره لا لذاته ،فقد يكون هناك أصل كلي يتوافق مع النصوص الشرعية، فيكون المضمون مقبولًا لغيره لا لنفس قياس الشمول [1].

س173: وما قياس الأولى، وما مضمونه وضابطه؟

---

(1) ـ كمن قال: هناك أصل كلي: **"من يتكلم، فهو يتكلم بصوت"** ويجعل هذا الأصل جاريًا على الخالق والمخلوق، وهذا الأصل صحيح دلت عليه النصوص الشرعية، كما في الحديث: قَاَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: **((يَوْمَ يُحْشَرُ الْعِبَادُ –أَوْ قَالَ: النَّاسُ– حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ.....))** رواه أحمد (16042)، والحاكم (7815)، وصححه الذهبي.

وهذا من جنس القياس الشمولي، وهو متوافق مع النص الشرعي، وهو هنا مقبول لا من جهة كونه قياسًا شموليًا؛ وإنما من جهة أن النصوص الشرعية دلت عليه.

ج - قد سبق الكلام على ذلك بالتفصيل عند ذكر الأصل الأول من الفصل الثاني، وهذا الأصل هو:

((كلُّ كمالٍ يتصفُ العبدُ بِهِ وَلا نقصَ فيهِ، فاللهُ أَوْلى بِهِ، وكلُّ نقصٍ يَتَنَزَّهُ العبدُ عَنْهُ ولا كمالَ فيهِ، فاللهُ أَوْلى أنْ يُنَزَّهَ عنْهُ)) [1].

وبالله التوفيق...

([1]) ـ انظر الأسئلة رقم: (152 ـ 153 ـ 154)، انظر: (صـ 221 - 222 - 226).

أسئلة تتعلق بالأصل الرابع

((وأنهم ينفون عن الله النقص مع ذكر كمال الضد))

س174: ما معنى هذا الأصل (وأنهم ينفون عن الله النقص مع ذكر كمال الضد) ؟

ج- هذا أصل عظيم في منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع نفي النقص والسوء عن الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

ومعنى هذا الأصل:

أنهم ينفون عن الله النقص مع ذكر كمال الضد، فكل صفة نفاها الله عن نفسه فإنها متضمنة شيئين:

الأول: انتفاء هذه الصفة السلبية المنفية عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الثاني: ثبوت كمال الضد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

تطبيق (1):

"النوم" صفة سلبية منفية عن الله -عَزَّ وَجَلَّ- فأقول:

"الله لا ينام": وهذا نفي للنقص عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لكن لا بد من ذكر كمال الضد، فأقول: **"الله لا ينام؛ لكمال حياته"**.

فقولنا: "لكمال حياته" هو: ذكر كمال الضد.

فنفي "النوم" عن الله يتضمن أمرين:

الأول: نفي صفة النقص **"النوم"** عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الثاني: ذكر كمال الضد، وهو: **"كمال حياته** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى "

تطبيق (2):

أقول: الله "لا ينسى" لكمال علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فنفي "النسيان" عن الله يتضمن أمرين:

الأول: نفي صفة النقص "**النسيان**"[1]" عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الثاني: ذكر كمال الضد، وهو: "**كمال علمه** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

تطبيق (3):

أقول: الله "لا يظلم" لكمال عدله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(1) ـ ويشكل على هذا المثل، أن الله تعالى أثبت لنفسه صفة النسيان في ظاهر الآية، قال الله:
﴿الْمُنافِقُونَ وَالْمُنافِقاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنافِقِينَ هُمُ الْفاسِقُونَ﴾[الشورى:11].

فاختلف أهل السنة ـتطبيقًا لا تأصيلًاـ في النسيان هل هو صفة لله، أو لا؟،على قولين:

القول الأول: أن النسيان المثبت في الآية، ليس صفة لله، وإنما هو من جنس المشاكلة اللفظية، وجزاء من جهة المقابلة، والمعنى المراد أن الله تركهم تعالى من رحمته.

القول الثاني: أن النسيان ينقسم إلى إلى قسمين:

أ ـ نسيان: معناه السهو والذهول (هذا ينزه الله عنه)

ب ـ نسيان: بمعنى الترك عن عمد (وهو المقصود هنا).

قلت: وأولى الأقوال بالصواب،القول الثاني، فالنسيان قسمان كصفة التردد، فمنه ما هو كمال ومنه ما هو نقص، فالنقص ينزه الله عنه، والنسيان عن عمد هو المراد ويكون المعنى "نسيهم" تركهم عمدًا من رحمته، وتوفيقه.

وبالله التوفيق.

فنفي "الظلم" عن الله يتضمن أمرين:

الأول: نفي صفة النقص "**الظلم**" عن الله ﷻ.

الثاني: ذكر كمال الضد، وهو: "**كمال عدله** ﷻ".

س175: ولماذا مع النفي نذكر كمال الضد وما فائدة ذلك؟ ألا يكفي أن ننفي النقص عن الله؟

ج ـ فائدة ذلك:

أن النفي ليس بكمال، ولا ثناء -كما سبق-

كما لو قلت: "هذا العمود لا ينام"، فهذا نفي لصفة النوم عن العمود، ولكنه لا يستلزم وجود الحياة أصلًا، فضلًا عن كمالها.

كما لو قلت: "هذا العمود ليس بفاحش"، فهذا نفي لصفة الفحش عن العمود، ولكنه لا يستلزم وجود الكلام أصلًا، فضلًا عن كماله.

كما لو قلت: "هذا العمود لا يظلم"، فهذا نفي لصفة الظلم عن العمود، ولكنه لا يستلزم وجود العدل أصلًا، فضلًا عن كماله ؛ لأن العمود ليس محلًا للحياة.

س176: ما الأدلة على هذا الأصل؟

ج ـ دلت على هذا الأصل أدلة كثيرة، ومنها:

((الدليل الأول)):

قال الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:11].

وجه الاستدلال: نفى ربنا ﷻ عن نفسه النقص-ولاحظ أن النفي كان

إجمالًا- وأثبت لنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كمال الضد.

((الدليل الثاني)):

قال الله جَلَّ جَلَالُهُ:﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا**﴾[فاطر:44].

وجه الاستدلال: نفى عن نفسه تعالى العجز، مع ذكر كمال الضد، وهو الذي ينافي العجز.

((الدليل الثالث)):

قال الله جَلَّ جَلَالُهُ:﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ**﴾[البقرة:255].

وجه الاستدلال: نفى الله عن نفسه السنة والنوم، وأثبت كمال الضد قبلها.

((الدليل الرابع)):

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ -أَوْ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**((ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ))** [1].

وجه الاستدلال: نفى نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الله جَلَّ جَلَالُهُ صفات النقص، وأثبت له كمال الضد، ووصفه بصفات الحسن والكمال، السمع والبصر.

---

(1) - رواه البخاري (4205)، ومسلم (2704).

أسئلة تتعلق بالأصل الخامس

((وأنَّ القدر المشترك لا يلزم منه التمثيل))

س177: ما معنى هذا الأصل:(القدر المشترك لا يلزم منه التمثيل)؟

ج ـ معنى هذا الأصل:

هناك قدر مشترك بين الخالق والمخلوق، في الصفات، والمقصود:

ما من صفة للخالق والمخلوق إلا وبينهما "قدر مشترك، وقدر فارق.

فيكون القدر المشترك عند التجرد عن الإضافة، كقولي:

(بصر وبصر)، (يد ويد)، (كلام وكلام)، (سمع وسمع)، (قدرة وقدرة)، (إرادة وإرادة).

ويكون القدر الفارق، والتباين وعدم التساوي عند الإضافة، كقولي:

(يد الله – يد محمد)، (بصر الله – بصر محمد)، (سمع الله – سمع أحمد)، (كلام الله – كلام محمد).

فما من صفة بين الخالق والمخلوق إلا وبينهما قدر مشترك وقدر فارق.

وإنما القدر المشترك: (يتعلق باللفظ والمعنى).

والقدر الفارق: (يكون في الكيفية، والكنه).

س178: اذكر تطبيقات عملية على القدر المشترك والقدر الفارق؟

ج ـ إليك بعض التطبيقات:

تطبيق (1):

قال الله جل جلاله:﴿**وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ**﴾[الذاريات:28].

فوصف ربنا ﷻ إسماعيل بأنه عليم.

قال الله ﷻ:﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:29].

ووصف نفسه بأنه عليم.

فهناك قدر مشترك في صفة العلم: في اللفظ"عليم".

وهناك قَدر فَارق وتباين: في الكيفية والكنه.

فعلم الله يليق بكماله وجلاله، وهو ليس بمخلوق، وعلم العبد يليق بعجزه ونقصه [1]، وهو علم مخلوق.

تطبيق (2):

الحي من أسماء الله يتضمن صفة الحياة:

قال الله ﷻ:﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[البقرة:255].

فسمى نفسه باسم الحي الذي يتضمن صفة الحياة.

قال الله ﷻ:﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾[الأنعام:95].

وسمى المخلوق باسم الحي الذي يتضمن صفة الحياة.

فهناك قدر مشترك في صفة الحياة: في اللفظ"حي".

وهناك قَدر فَارق وتباين: في الكيفية والكنه.

فحياة الله تليق بكماله وجلاله، وهي ليست بمخلوقة، وحياة العبد تليق بعجزه

---

(1) ـ فعلم الإنسان مخلوق، وهو طارئ؛ لأنه وُلِدَ لا يعلم، ثم علمه ناقص من جهة القدر والكم، فما يجهله أضعاف أضعاف أضعاف....إلخ، ما يعلمه، فما يعلمة لا يتجاوز نقطة في محيط بالنسبة لما يجهله، ثم علمه يعتريه الخطأ في الفهم، والنسيان، والاختلاط، والسهو.

وأما علم الله فتام كامل مطلق، جل جلاله.

ونقصه [1]، وهي مخلوقة.

تطبيق (3):

قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[الحج:65].

فسمى نفسه بـ "رؤوف رحيم"، وهذان الاسمان يتضمنان صفتي الرحمة والرأفة.

وقال في حق النبي ﷺ: ﴿**حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [التوبة:128].

فسمى النبيَ ﷺ بـ "رؤوف رحيم"، وهذان الاسمان يتضمنان صفتي الرحمة والرأفة.

فهناك قدر مشترك في صفة الرحمة، والرأفة: في اللفظ"رؤوف رحيم".

وهناك قَدر فَارق وتباين: في الكيفية والكنه.

فرحمة الله سبحانه وتعالى ورأفته تليقان بكماله وجلاله، وهما صفتان ليستا مخلوقتين ورحمة العبد ورأفته تليقان به، وهما صفتان مخلوقتان، ووجودهما أصلًا من آثار صفات الله سبحانه وتعالى.

ومثل ما سبق:

العزيز:

قال الله جل جلاله: ﴿**إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[غافر:8].

---

(1) ـ فحياة الإنسان مخلوق، وهو طارئة؛ لأنه لم يكن حيًا قبل خلقه أو خلق البشر، ثم حياته ناقصة؛ لأنها: ((مخلوقة ــ طارئة ــ تنتهي بموته ــ يعتريها النواقص مثل: النوم، النسيان، المرض، الحزن، الألم....إلخ)).
وأما حياة الله تعالى فحياته تامة كاملة، فهو الحي القيوم، لا يعتريها النقص تعالى الله الصمد.

فمن أسماء الله العزيز، وهو يتضمن صفة العزة.

قال الله ﷻ:﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ﴾[يوسف:51].

الملك:

قال الله ﷻ:﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾[الحشر:23].

سمى الله نفسه باسم الملك، وهو يتضمن صفة الملك.

قال الله ﷻ:﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[الكهف:79].

س179: وما حكم التسمي بأسماء الله، كالعزيز والرحيم؟

ج ـ حكم التسمي بأسماء الله الحسنى:

أسماء الله أقسام:

القسم الأول ((أسماء اختص الله بها))

ما كان من أسماء الله عَلَمًا مختصًا به مثل اسم:((الله، الرحمن، الخالق، البارئ، المصور، القيوم، والصمد....)) وأمثالها.

الحكم: فهذه لا يجوز تسمية غير الله بها؛ لأنها مختصة به وحده لا شريك له.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

((ومما يُمنَع تسميةُ الإنسانِ به: أسماءُ الربِّ -تبارك وتعالى- فلا يجوز التسميةُ بالأَحَدِ ولا بالصَّمَدِ، ولا بالخَالِقِ ولا بالرَّازق، وكذلك سائِرُ الأسماءِ المختصَّةِ بالربِّ تبارك وتعالى.

ولا تجوز تسميةُ الملوكِ بالقاهر والظاهر، كما لا يجوز تسميتُهم بالجبَّار والمتكبِّر،

والأوَّلِ والآخرِ، والباطنِ، وعلَّام الغُيوبِ)) (1).

جاء في مطالب أولي النهى، للرحيباني –الحنبلي–:

((أي:وَحَرُمَ تَسْمِيَةٌ{بِمَا لَا يَلِيقُ إلَّا بِهِ تَعَالَى كَـ: قُدُّوسٍ وَخَالِقٍ وَرَحْمَنٍ})) (2).

سؤال: وما الدليل أنها مختصة به –تعالى– دون غيره؟

الجواب: أن مسماها خاص بالله لا يقبل الشركة، فلا يجوز إطلاقه إلا على الله وحده لا شريك له.

القسم الثاني ((ما كان له معنى كلي يتفاوت بين أفراده)):

ما كان من الأسماء الحسنى له معنى كلِّي يتفاوت الحكم فيه بين أفراده: (كالملك، والعزيز، والعلي، والكبير، والرحيم، والكريم، والقوي، والحكيم، والسميع، والبصير...وأمثالها).

فهذه أسماء مشتركة.

حكمه: هذه الأسماء وأمثالها تُطلق على الخالق وعلى المخلوق، ولا بأس بها، ولكلٍ حُكمه ومعناه، فيجوز التسمي بها، ولا يلزم من ذلك التماثل، فالله هو العزيز الأعلى، والمخلوق عزيز أدنى، ولا يلزم من القدر المشترك التماثل.

فما يضاف من هذه الأسماء إلى الله ﷻ يليق بعظمته وجلاله، وكماله. وما يضاف إلى المخلوق منها يليق بالمخلوق وضعفه ونقصه وعجزه.

---

(1) ـ تحفة المودود بأحكام المولود، ابن القيم (صـ 182) ط (عطاءات العلم).

(2) ـ مطالب أولي النهي في شرح غاية المنتهى، السيوطي الرحيباني -الحنبلي-، وهو شرح لغاية المنتهي في الجمع بين الإقناع والمنتهى، للشيخ مرعي الكرمي (صـ 507) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

((برهان ذلك)):

أ ـ قال الله ﷻ:﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف:55].

ب ـ قال الله ﷻ:﴿**وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ**﴾[الذاريات:28].

ج ـ قال الله ﷻ:﴿**قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ**﴾[يوسف:51].

سمى الله نفسه باسم الملك، وهو يتضمن صفة الملك.

د ـ قال تعالى:﴿**وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا**﴾[الكهف:79].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

((وأمَّا الأسماءُ التي تُطلَق عليه وعلى غيره: كالسَّميع،والبَصير،والرَّؤوفِ، والرَّحيمِ فيجوز أن يُخبر بمعانيها عن المخلوق، ولا يجوز أن يتسمَّى بها على الإطلاق بحيث يُطلَق عليه كما يُطلق على الربِّ تعالى)) [(1)].

القسم الثالث ((أن يقصد بالاسم معنى الصفة)):

أن يقصد بالاسم ما دل عليه من صفة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

حكمه: لا يسمى به غير الله، كما لو سميت أحداً بالعزيز والمجيد وما أشبه ذلك، مع قصد صفة الله.

((برهان ذلك)):

أن النبي ﷺ غَيَّرَ كنية أبي الحكم التي يكنى بها، لأن أصحابه يتحاكمون إليه، عَنْ شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ، عَنْ أَبِيهِ هَانِئٍ، أَنَّهُ لَمَّا وَفَدَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَمِعَهُ وَهُمْ

[(1)] ـ تحفة المودود بأحكام المولود، ابن القيم (صـ 182) ط (عطاءات العلم).

يَكْنُونَ هَانِئًا أَبَا الْحَكَمِ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ: ((إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ، فَلِمَ تُكَنَّى أَبَا الْحَكَمِ؟)) فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَرَضِيَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ، قَالَ: ((مَا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوُلْدِ؟)) قَالَ: لِي شُرَيْحٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ، وَمُسْلِمٌ، قَالَ:((فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟)) قَالَ: شُرَيْحٌ، قَالَ: "فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ" فَدَعَا لَهُ وَلِوَلَدِهِ (1).

قَالَ أَبُو دَاوُدَ:((شُرَيْحٌ هَذَا هُوَ الَّذِي كَسَرَ السِّلْسِلَةَ، وَهُوَ مِمَّنْ دَخَلَ تُسْتَرَ)) **وقَالَ**:((وَبَلَغَنِي أَنَّ شُرَيْحًا كَسَرَ بَابَ تُسْتَرَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ دَخَلَ مِنْ سِرْبٍ)) (2).

وجه الاستدلال: غير النبي ﷺ كنيته، لأنه تضمن الاسم مع معنى الصفة.

ــ وقد ذهب بعض أهل العلم إلى تفصيل آخر -مقارب لما سبق- في التسمي بأسماء الله (3)، والله أعلم.

---

(1) ـ **صحيح**: رواه أبو داود (4955)،النسائي (5387).

(2) ـ سنن أبي داود تحت الحديث رقم: (4955).

(3) ـ **سئل فضيلة الشيخ صالح بن العثيمين رحمه الله: عن حكم التسمي بأسماء الله مثل كريم، وعزيز ونحوهما؟**

فأجاب: التسمي بأسماء الله عز وجل يكون على وجهين:

الوجه الأول: وهو على قسمين:

القسم الأول: أن يحلى بـ: "ال" ففي هذه الحال لا يسمى به غير الله عز وجل، كما لو سميت أحداً بالعزيز، والسيد، والحكيم وما أشبه ذلك فإن هذا لا يسمى به غير الله لأن "ال" هذه تدل على لمح الأصل وهو المعنى الذي تضمنه هذا الاسم.

القسم الثاني: إذا قصد بالاسم معنى الصفة وليس محلى بـ: "ال"، فإنه لا يسمى به، ولهذا غيَّر النبي صلى الله عليه وسلم كنية أبي الحكم التي تكنى بها، لأن أصحابه يتحاكمون إليه فقال النبي عليه الصلاة والسلام: "إن الله هو الحكم وإليه الحكم" ثم كنَّاه بأكبر أولاده شريح، فدل ذلك على أنه إذا تسمى أحد باسم من أسماء =

س180: وما حكم التسمي بأسماء معبدة لغير الله، ك:(عبد النبي، وعبد الكعبة،....إلخ) (1)؟

ج ـ اتفق العلماء على عدم جواز التسمي بهذه الأسماء –في الجملة– (2).

فلا تحلُّ التسمية بـ: عبدِ عليٍّ، ولا عبدِ الحُسَيْن، ولا عبدِ الكعبةِ، ولا عبدِ المسيح.......إلخ.

((برهان ذلك)):

أ ـ عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ شُرَيْحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ هَانِئِ بْنِ شُرَيْحٍ قَالَ: وَفَدَ النَّبِيُّ ﷺ فِي قَوْمِهِ، فَسَمِعَهُمْ يُسَمُّونَ رَجُلًا عَبْدَ الْحَجَرِ، فَقَالَ لَهُ:**((مَا اسْمُكَ))**؟ قَالَ: عَبْدُ الْحَجَرِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:**((إِنَّمَا أَنْتَ عَبْدُ اللَّهِ))** (3).

وجه الاستدلال: أن النبي ﷺ لم يقر هذا الاسم المُعبد لغير الله.

= الله ملاحظًا بذلك معنى الصفة التي تضمنها هذا الاسم فإنه يمنع لأن هذه التسمية تكون مطابقة تمامًا لأسماء الله سبحانه وتعالى فإن أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف لدلالتها على المعنى الذي تضمنه الاسم.

الوجه الثاني: أن يتسمى بالاسم غير محلى بـ: "ال" وليس المقصود به معنى الصفة، فهذا لا بأس به، مثل: "حكيم"، ومن أسماء بعض الصحابة حكيم بن حزام الذي قال له النبي عليه الصلاة والسلام: "لا تبع ما ليس عندك"، وهذا دليل على أنه إذا لم يقصد بالاسم معنى الصفة فإنه لا بأس به. لكن في مثل: "جبار" لا ينبغي أن يتسمى به وإن كان لم يلاحظ الصفة، وذلك لأنه قد يؤثر في نفس المسمى فيكون معه جبروت وغلو واستكبار على الخلق، فمثل هذه الأشياء التي قد تؤثر على صاحبها ينبغي للإنسان أن يتجنبها، والله أعلم.

انظر: "مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (3/94) ح.

(1) ـ هذا السؤال خارج إطار مضمون البحث والأصل المذكور، ولكن ذكرناه؛ لأن البعض في هذه الآونات قد تساهل في هذه المسألة، فأردنا أن نطل عليها، ونبينها باختصار، وبالله التوفيق.

(2) ـ قلنا ذلك؛ لوجود الخلاف في بعض الأسماء، ك:(عبد النبي، وعبد المطلب) والصواب عدم الجواز سدًا للذريعة، ولمنع الغلو في جناب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقد نهى عن ذلك.

(3) ـ **حسن:** رواه ابن أبي شيبة (27576) ت: الشثري، والبخاري في الأدب المفرد (811).

ب ـ قد نَقَلَ بعض أهل العلم الاتفاق على تحريم مثل هذه الأسماء:

قال الإمام ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ:

((وَاتَّفَقُوا على تَحْرِيم كل اسْم معبد لغير الله عز وَجل كعبد الْعُزَّى وَعبد هُبل وَعبد عَمْرو وَعبد الْكَعْبَة وَمَا اشبه ذَلِك حاشا عبد الْمطلب (1))) (2).

قال الإمام الدميري –الشافعي– رَحِمَهُ اللَّهُ:

((والتسمي بعبد النبي .. قيل: يجوز إذا قصد به النسبة إليه ﷺ، ومال الأكثرون إلى المنع خشية التشريك واعتقاد حقيقة العبودية، كما أنه لا يجوز التسمية بعبد الكعبة وعبد العزى وعبد علي وعبد الحسين وقنبر وهو عبد علي، كل هذا من مبتدعات الشيعة والرافضة)) (3).

جاء في مطالب أولي النهى، للرحيباني –الحنبلي–:

(({وَحَرُمَ تَسْمِيَةٌ بِعَبْدٍ لِغَيْرِ اللَّهِ} تَعَالَى {كَعَبْدِ الْكَعْبَةِ، وَعَبْدِ النَّبِيِّ، وعَبْدِ الْحُسَيْنِ...)) (4).

س181: كيف يتَّفقون على تحريمِ الاسمِ المعبَّد لغير الله، وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال:((تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ

---

(1) ـ وقد أجاب الإمام ابن القيم على تخصيص الإمام ابن حزم، فقال: ((ولا وجه لتخصيص أبي محمَّد ابنِ حزمٍ ذلك بعبد المطلب خاصَّةً، فقد كان الصحابةُ يسمُّون بني عبد شمس، وبني عبد الدَّار بأسمائهم، ولا يُنْكِرُ عليهم ﷺ، فبابُ الإخبار أوسعُ من باب الإنشاء، فيجوز فيه ما لا يجوزُ في الإنشاءِ)). تحفة المودود (صـ 182).

(2) ـ مراتب الإجماع، ابن حزم (صـ449) ط (دار ابن حزم) بيروت ـ لبنان.

(3) ـ النجم الوهاج في شرح المنهاج (221/6) ت: محمد العزازي، ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

(4) ـ مطالب أولي النهي في شرح غاية المنتهى، السيوطي الرحيباني -الحنبلي-، وهو شرح لغاية المنتهي في الجمع بين الإقناع والمنتهى، للشيخ مرعي الكرمي (صـ 507) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

رَضِيَ،وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ،وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ...)) (1).

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: ((أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ)) (2).

وأقر النبي ﷺ الرجل الذي قال له: ((فقالَ له الرَّجُلُ: يا ابْنَ عبدِ الْمُطَّلِبِ)) (3)؟

ج ـ ليس في هذه النصوص ما يدل على الجواز، وإليك بيان ذلك باختصار:

أمّا قوله: "**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ...**" فلم يُرِدْ به الاسمَ، وإنما أراد به الوصفَ والدعاءَ على من يعبد قلبُه الدينارَ والدِّرهمَ، فَرَضِيَ بعبوديتهما من عبودية ربّه -تبارك وتعالى- (4).

أمّا قوله: "**أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ**" ، فهذا ليس من باب إنشاء التسمية بذلك، وإنَّما هو باب الإخبار بالاسم الذي عُرِفَ به المسمَّى دون غيره. والإخبارُ بمثل ذلك على وجه تعريف المسمَّى لا يَحْرُمُ.

فبابُ الإخبار أوسعُ من باب الإنشاء، فيجوز فيه ما لا يجوزُ في الإنشاءِ (5).

س182: ما أقسام الناس في القدر المشترك؟

ج ـ الناس في القدر المشترك على طوائف ومسالك:

---

(1) ـ رواه البخاري (2887).

(2) ـ رواه البخاري (2864)، ومسلم (1776).

(3) ـ رواه البخاري (63)، ومسلم (12).

(4) ـ تحفة المودود بأحكام المولود، ابن القيم (صـ 166) ط (عطاءات العلم).

(5) ـ تحفة المودود بأحكام المولود، ابن القيم (صـ 166) ط (عطاءات العلم)، كشاف القناع، البهوتي (33/3) ط (دار إحياء التراث العربي) بيروت ـ لبنان.

الطائفة الأولى: نفاة القدر المشترك (وهم المعطلة ،جهمية ومعتزلة، ويدخل معهم الملفقة المخلطة دخولًا جزئيًا).

ولذلك: من نفى القدر المشترك فقد عطل.

الطائفة الثانية: مُقِرُّو الاشتراك اللفظي فقط (وهم المفوضة).

قالوا: الأسماء والصفات الواردة عن الله وعن المخلوق مجرد اشتراك لفظي دون أن يكون بين الاسمين معنى عام، فهو مجرد اشتراك لفظي لكن المعنى لا علاقة له بالاشتراك.

الطائفة الثالثة: مذهب أهل الحق، مذهب أهل السنة والجماعة

قالوا: لا يلزم من وجود حقيقة القدر المشترك التمثيل.

إذ التساوي في الأسماء لا يلزم منه التساوي في حقيقة الصفة.

وما وقع به الاشتراك لا يلزم أن يحصل به التساوي والامتياز، وإلا لما تعددت الإضافات _وهذه مسألة ضرورية لا سبيل لدفعها_.

س183: حكم نفي القدر المشترك، وما يترتب عليه؟

ج ـ نفي القدر المشترك يترتب عليه ما يلي:

من نفى القدر المشترك: "عطل".

ومن نفى القدر الفارق: "مَثَّل".

وقد علمت بطلان التعطيل، والتمثيل فيما سبق.

س184: ما فائدة القدر المشترك وأهميته؟

ج ـ فائدة القدر المشترك:

القدر المشترك مهم لفهم الخطاب، وذلك لأن المُخَاطَب لا يفهم المعاني المعبر

عنها إلا إذا عرف معانيها، ولا يمكن تفهيم الخطاب للمُخَاطَب دون معرفة اللفظ، كما لو قلت لك لفظ إنسان أو لفظ شجرة أو لفظ بحر، فتفهم الخطاب؛ لأنك تعرف المعنى، أما لو أتيت لك بلفظ أنت لا تعرفه لا يستقيم الفهم.

أسئلة تتعلق بالأصل السادس

((وأنهم يتوقفونَ في الألفاظِ المُجْمَلَةِ التي تحتملُ الحُسْنَ وغيرَهُ))

س185: ما معنى الألفاظ المجملة؟

ج ـ معنى هذا الأصل:

الألفاظ المجملة: هي ألفاظ مجملة لها معان، أو تحتمل معنيين، معنى صحيح ومعنى باطل، أو فيه اشتباه.

س186: ما ضابط الألفاظ المجملة؟

ج ـ الألفاظ المجملة لها ضوابط تعرف بها، ومنها:

أ ـ أنها لم ترد في النصوص الشرعية.

ب ـ أنها لم تَرِد على ألسنة السلف، ولا في كلامهم.

ج ـ تحتمل حقًا وباطلًا إذا كان لها معنيان أو أكثر.

س187: ما حكم الألفاظ المجملة عند أهل السنة؟

ج ـ لأهل السنة تفصيل في الألفاظ المجملة، وهو:

أنهم لا يثبتونها، ولا ينفونها، وإنما يتوقفون فيها حتى يُعْرف المراد منها.

فأهل السنة والجماعة يستفسرون عن معناها، فلا يقومون بإثباتها ولا بنفيها، إنما يتوقفون فيها حتى يستفسرون عن المراد، فإن أريد به معنى صحيحًا "قبلوه"، وإن أريد به معنى باطلًا "ردوه" على قائله.

وذلك؛لأنها تحتمل الحق وتحتمل الباطل،فإن احتملت حقًا أقررناه،وإن احتملت باطلًا رددناه، فالإثبات المطلق ليس بسديد، والنفي المطلق ليس بسديد، فهذا هو هدي أهل السنة والجماعة في الألفاظ المجملة.

س188: اذكر تطبيقًا على هذا الأصل؟

ج ـ لفظ "الجسم":

لفظة مجملة لم ترد في النصوص الشرعية، وأحيانًا يثبتها وينفيها طوائف من أهل البدع، فالممثلة يثبتونها؛ لأن مذهبهم التمثيل،والمعطلة –ومعهم الملفقة– ينفونها، للرد على أهل السنة والجماعة في إثباتها للصفات، وتنفيرًا من مذهب أهل السنة، ورميهم بالتجسيم.

فلو قال قائل: "الله جسمٌ، لا كالأجسام"

نقول: هذا لفظ مجمل، لم يرد في النصوص الشرعية ولا على ألسنة السلف، فماذا تقصد بنفيه أو إثباته.

فإن قال: أقصد بالإثبات، بأنه جسم مركب من أجزاء وأبعاض، أو لحم ودم.....إلخ –تعالى الله علوًا كبيرًا– [1].

قلنا: هذا معنى باطل مردود، بل هو كفر بالله ﷻ؛ لأنه تكذيب للقرءان، وفيه تشبيه لله بخلقه، ووصفه بما لم يصف به نفسه، ووصفه بالنقص –تعالى الله العظيم–.

وإن قال: أقصد بالجسم، أن لله ﷻ ذاتًا، تقوم بها صفات كمال ونعوت جلال، فلا مثيل له، ولا ند له، وهو ﷻ فوق عرشه بائن من خلقه.

قلنا: هذا المعنى صحيح، ومقبول، أصبت في المعنى، وأخطأت في اللفظ، ولا

---

(1) ـ وهذه الأمور إنما نذكرها للتعليم فقط، ولبيان خطر التمثيل، ويعلم الله حالنا، ونحن نكتبها، ولولا البيان والتعليم، لما ذكرنا ذلك.

يصح ذكر لفظ الجسم، وذلك:

أ ـ لأنه لفظ محدث لم يرد في النصوص الشرعية، ولا على ألسنة السلف -وقد سبق وبينا حكم الألفاظ في باب الصفات [1]-.

ب ـ ولأنه يوهم التشبيه، فلابد من العدول عنه إلى لفظ شرعي وارد في النصوص الشرعية، أو لفظ وارد على لسان السلف وفي كلامهم.

سؤال: وما الدليل على عدم جواز ذكر اللفظ الموهم، مع المقصد الصحيح؟

الجواب: سيأتي ذكر الدليل على ذلك في السؤال القادم.

س189: اذكر دليلًا على هذا الأصل، ودليلًا على عدم جواز ذكر اللفظ المجمل الذي يوهم التشبيه حتى لو كان المقصد صحيحًا؟

ج ـ من أدلة، هذا الأصل:

قال الله ﷻ:﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[البقرة:136].

وجه الاستدلال: أن الله تعالى أمر بالإيمان والتصديق بكل ما جاء به النبي ﷺ، وهذا على عمومه، واللفظ المجمل فيه الحق وفيه الباطل، فنسأل عن معناه، فإن كان معناه يتوافق مع ما جاء به النبي ﷺ -من القرءان والسنة- نقبل به ونصدقه، وإن كان معناه يخالف ما جاء به النبي ﷺ فإننا نرده، وإن كان فيه الحق والباطل، فالحق مقبول والباطل مردود.

(1) ـ انظر (صـ 189) سؤال رقم: (132).

وأما دليل عدم جواز ذكر اللفظ الموهم، حتى لو قصد به المعنى الصحيح:

قال الله ﷻ:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا**﴾ [البقرة:104].

وجه الاستدلال: نهى الله ﷻ عن إطلاق كلمة (راعنا)؛ لأنها تحتمل معنى صحيحًا وتحتمل معنى سيئًا باطلًا مردودًا، فقد كانت اليهود –لعنهم الله– تطلق هذه الكلمة وتقصد بها سب النبي ﷺ، عليهم لعنة الله، فيقولون "راعنا" يقصدون بذلك الرعونة، فأمر الله ﷻ بعدم ذكر هذا اللفظ، مع أن المسلمين يقولونها ولا يقصدون المعنى الباطل، فأمر الله ﷻ بإطلاق لفظة لا تحتمل إلا معنى حسنًا في هذا الباب؛ لأجل جناب النبي ﷺ، وجناب الله أعلى وأولى.

س190: أَشْكَل بعض المعاصرين من الأشاعرة على هذا الأصل، وقال: "كيف استفسر عن اللفظ المجمل، كالجسم مثلًا، وهو في لغة العرب لا يكون إلا عبارة عن أجزاء وأبعاض، وهو مركب، فمثل هذا اللفظ لا يصح معه إلا النفي؛ لأنه نقص، وتمثيل لله بخلقه".

فكيف الجواب عن مقالته؟

ج ـ هذه مقالة مغلوطة:

ووجه ذلك:

أ ـ أن فيها خلطًا بين المعنى اللغوي، ومقصد القائل، وإنما النزاع في مقصد القائل لا في المعنى اللغوي الخاص بالبشر.

ب ـ ثم هذا فيه خلط كبير، وذلك بحمل كيفية الصفة على المعنى اللغوي الخاص بالبشر، مما يترتب عليه النفي، واتهام المُثبت بالتجسيم.

وهذا خطأ فادح في التصور، والحكم؛ لأن كيفية صفات الله لا تخضع للمعاني اللغوية الخاصة بالبشر؛ وذلك لأن حَمل الكيفية على المعاني اللغوية الخاصة بالبشر فرع على معرفة الكيفية، وقد أطبقت نصوص القرءان والسنة، وكلام السلف علي بطلان الخوض في الكيفية.

فإثبات السلف للصفات إثبات وجود، لا إثبات تكييف (1)، وخوض فيه (2).

فإن قيل: لكن كل المعاني اللغوية مما يتعلق بالمخلوقات وحسب، ولا توجد معانٍ لغوية خاصة بالخالق للحمل عليها؟

قلنا: المعاني اللغوية تصلح بالنسبة لصفات الله من جهة المعنى فقط،أما الكيفية فلا سبيل إليها؛ لأنها مجهولة بالنسبة لنا، بخلاف المعاني فإنها معلومة، كما أطبقت عليه كلمة السلف، ثم إن معلومية المعنى لازمةٌ لفهم الخطاب، ولا يلزم منها التمثيل، وتشبيه الله بخلقه.

((تنبيه)):

اعلم –رحمنا الله وإياك– أن غرض المبتدعة من هذا الكلام المذكور هو: نفي الصفات، والتشنيع على أهل السنة، بأنهم مجسمة –كما هي عادة أهل البدع في رمي أهل السنة بالباطل–، وذلك لحمل كل الصفات على هذا الوجه،

---

(1) ـ ولا يُفهم من ذلك إننا ننفي الكيفية، ولكن الغرض بيان موضع النزاع، وهو: "إثبات الوجود لا الخوض في الكيفية" مع الإيمان بوجود كيفية لكننا لا نعلمها.

(2) ـ مجموع الفتاوى، ابن تيميّة (196/3) ط (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد) السعودية.

فيقول أهل البدع: "اليد في اللغة هي الجارحة المعلومة، والذات التي لها جارحة مركبة وحادثة، والله منزه عن ذلك".

وهلى هذا دواليك -عندهم- في كل الصفات الخبرية، والاختيارية.

فإنهم يردونها للمعنى اللغوي الخاص بالبشر، لنفيها عن الله سبحانه وتعالى، وقد بينا فيما سبق أصل المغالطة في هذه المسألة.

وبالله التوفيق.

أسئلة تتعلق بالأصل السابع
((ويسكتون عما سكتَ عنْهُ اللهُ ورسولُهُ))

س191: ما معنى هذا الأصل؟

ج ـ أن الأمور التي أثبتها الله ﷻ لنفسه فإننا نثبتها ،والأمور التي نفاها الله عن نفسه فإننا ننفيها، أما الأمور التي لم ترد إثباتًا ولا نفيًا في كتاب الله ﷻ، ولا في سنة رسوله:- فإننا لا نخوض فيها، وهي من الأمور التي لم نكلف بها ،فإننا لا نتعنت في البحث عن مثل هذه الأمور، وهذا بالنسبة لمعنى هذا الأصل.

س192: اذكر تطبيقًا على هذا الأصل.

ج ـ القسمة في هذا الأصل ثلاثية، وهي على ما يلي:

القسم الأول ((ما علم ثبوته في النصوص الشرعية)):

"ما عُلم ثبوته بالنصوص الشرعية".

حكمه: نثبته لله ﷻ؛ لأنه ثبت في النص الشرعي.

تطبيق:

صفة ((الرحمة، الضحك، اليد، الوجه، النزول، الاستواء العلو...إلخ))، فنثبت لله ما أثبته لنفسه في كتابه، وما أثبته له النبي ﷺ في سنته من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

القسم الثاني ((ما عُلم نفيه)):

"ما ثبت عُلم نفيه".

حكمه: أننا ننفيه عن الله، وننزهه عنه، كالصفات السلبية.

تطبيق:

أ ـ أن الله تعالى لا يظلم، لكمال عدله.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[فصلت:46].

ب ـ الله لا يضل ولا ينسى، لكمال حياته، وعلمه.

قال الله ﷻ: ﴿لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾ [طه:52].

القسم الثالث ((ما لا يعلم نفيه ولا إثباته)):

"ما لا يعلم نفيه ولا إثباته"

حكمه: نسكت عنه، فهو من الأمور التي لا نعرف نفيها ولا إثباتها، فنسكت عنها ولا نتكلم عنها؛ لأن هذه أشياء سمعية محضة.

تطبيق:

أ ـ أخبرنا الله سبحانه وتعالى في القرآن أنه استوى على العرش، فقال:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:5].

نؤمن بذلك ونقر به؛ لأنه من القسم الأول الذي علمنا بثبوته فنثبته، وأخبرنا النبي ﷺ أن الله ينزل إلى السماء الدنيا، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟)) [1].

(1) ـ رواه البخاري (1145)، ومسلم (758).

فهذا نؤمن به ونثبته؛ لأنه ورد، وهو من القسم الأول.

فلو قال قائل: عندما ينزل ربنا هل يخلو منه العرش أم لا [1]؟

نقول: هذا من الأمور التي لا يجوز أن نتكلم فيها، ويجب السكوت عن هذه الأمور؛ لأنها أمور قد سكت عنها وما كلمنا بها ولا ذكرها لنا الله ورسوله؛ ولأن الصحابة سمعوا هذه النصوص، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:5]، والحديث: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا».

لم يتكلموا في هذه الأمور، وهم أعلم الناس، وأحرص الناس على الخير، وفيهم نزلت النصوص،وتعلموا من النبيﷺ، وهم خير القرون على الإطلاق رضي الله عنهم .

فما سكت عنه الله ورسوله يسكت عنه أهل السنة والجماعة، ولا نتكلف في الكلام فيه.

س193: ما الدليل على هذا الأصل؟

ج ـ من الأدلة على هذا الأصل:

((الدليل الأول)):

قال الله جل جلاله:﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[الإسراء:36].

---

(1) ـ هذا سؤال محدث لا يجوز، ولكن قد أجاب عليه أهل السنة رغم ذلك؛ لأنه طُرح، وذكره أهل البدع، وألزموا به أهل السنة، وصارت شُبهة تُذكر لنفي الاستواء على العرش، وكانت فيه أجوبة وكلام خطأ، مما جعل أهل السنة يتكلمون فيه ويجيبون عليه، لبيان الحق ودفع الخطأ، وإزالة الشبهة ودحضها، وخلاصة الكلام فيه نزاع:

أ ـ القول بالتوقف؛ لأننا لم نتكلف البحث في ذلك.

ب ـ القول بأنه يخلو منه العرش.

ج ـ ينزل ولا يخلو منه العرش، وهذا أَسَد الأقوال، لأنه يتوافق مع الأصل.

وجه الاستدلال: معنى الآية: "لا تتبع ما ليس لك به علم"، فما سكت عنه الله ورسوله وجب أن نسكت عنه؛ لأن الخوض فيه من تقفي ما لا علم لنا به.

((الدليل الثاني)):

قال الله ﷻ:﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾[الأعراف:33].

وجه الاستدلال: مَن تكلم في باب الصفات فيما هو مسكوت عنه،بلا برهان وخاض في ذلك، فقد تَقَوَّل على الله ﷻ بما لا علم له به، وهذا من أعظم الذنوب التي حرَّمَها الله ﷻ.

((الدليل الثالث)):

قال الله ﷻ:﴿**وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا**﴾ [طه:110].

وجه الاستدلال: مَن تكلم في باب الصفات فيما هو مسكوت عنه،بلا برهان وخاض في ذلك، فقد ادعى بلازم [1] قوله أنه قد أحاط بربه سبحانه وتعالى علمًا.

---

(1) ـ والخلاف معلوم في لازم القول على أقوال:

وتحرير محل النزاع فيه:

أ ـ أن يُذكر له اللازم فيلتزم به ويقره (فهذا يُعد قولًا له) باتفاق.

ب ـ يُذكر له اللازم فيمتنع من التلازم بينه وبين قوله (فهذا لا يُعد قولًا له) باتفاق.

ج ـ أن يكون اللازم مسكوتًا عنه، ولا يُذكر بالتزام، ولا بمنع

(وهذا هو محل الخلاف، وقد اختلفوا فيه على أقوال):

القول الأول: لازم القول يُعد قولًا.

قلت: وفيه نظر؛ لأنه ربما لا يلتزم بهذا اللازم، ولربما ذهل عنه، ولربما عندما يتبين له يرجع.

القول الثاني: لازم القول لا يُعد قولًا (وهذا هو الصواب)؛ لما سبق ذكره في الاعتراض على القول الأول.

س194: قلتم في هذا الاصل "يسكتون عما سكت عنه الله ورسوله" فهل يتصف الله بالسكوت؟

ج ـ نعم يوصف الله بالسكوت:

فإن الله ﷻ يوصف بالسكوت كما يليق بهﷻ،ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وهذه الصفة من الصفات الفعلية الاختيارية المتعلقة بمشيئته ﷻ، ولا تعارض بين إثبات هذه الصفة لله ﷻ حقيقة على الوجه اللائق به ﷻ، وبين إثبات صفة الكلام له ﷻ؛ لأن كلامه ﷻ يتعلق بمشيئته فإن شاء تكلم وإن شاء الله لم يتكلم.

((برهان ذلك)):

أ ـ عَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ السَّمْنِ وَالجُبْنِ وَالفِرَاءِ فَقَالَ: **((الحَلَالُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَالحَرَامُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ مِمَّا عَفَا عَنْهُ))** [1].

ب ـ عنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: ((كان أهلُ الجاهِلِيَّةِ يأكُلونَ أشياءَ ويَتْرُكون أشياءَ تَقَذُّرًا، فبَعَث اللهُ عزَّ وجَلَّ نَبيَّه ﷺ وأنزل كِتابَه، وأحَلَّ حَلالَه وحَرَّم حرامَه؛ فما أَحَلَّ فهو حلالٌ، وما حَرَّم فهو حرامٌ، وما سَكَت عنه فهو عَفْوٌ، وتلا: ﴿**قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا**﴾ إلى آخِرِ الآيةِ [طه:145])) [2].

---

(1) ـ رواه الترمذي (1726)، وابن ماجة (3367).

(2) ـ **صحيح:** رواه أبو داود (3800)، والحاكم (7113)، صححه الحاكم، وحسنه النووي، وصححه ابن كثير.

ج ـ ولأن الكلام صفة فعلية اختيارية لله تعالى، فهو يتكلم بما شاء كيفما شاء، في الوقت الذي يشاء، ومقتضى ذلك أنه تعالى يتصف بالسكوت.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

((فَثَبَتَ بِالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ أَنَّ اللَّهَ يُوصَفُ بِالسُّكُوتِ؛ لَكِنَّ السُّكُوتَ يَكُونُ تَارَةً عَنْ التَّكَلُّمِ وَتَارَةً عَنْ إظْهَارِ الْكَلَامِ وَإِعْلَامِهِ...)) [1].

وقال رحمه الله:

((وَنَحْنُ لَا نَقُولُ كَلَّمَ مُوسَى بِكَلَامِ قَدِيمٍ وَلَا بِكَلَامِ مَخْلُوقٍ بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ يَتَكَلَّمُ إذَا شَاءَ وَيَسْكُتُ إذَا شَاءَ)) [2].

والسكوت له معنيان:

صفة السكوت التي تُثبت لله لها معنيان:

المعنى الأول: أن يسكت عن بيان حكم شيء، فسكوته سبحانه وتعالى عن بيان حكم شيء يدل على أنه عفو ومباح، وذلك أن الأصل في كل شيء الإباحة، كما قال الله جل جلاله:﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ**﴾[البقرة: 29].

المعنى الثاني: السكوت الذي يُقابل الكلام، وهذا ثابت لله سبحانه وتعالى.

---

(1) ـ مجموع الفتاوى، ابن تيمية (179/6) ط (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد) السعودية.

(2) ـ الفتاوى الكبرى (46/5) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

((الخاتمة))

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

هذا ما تيسَّر لنا جمْعه في هذا الباب، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأسأل الله الكريم أن يجعلني ممن وُفِّقَ إلى مراده القويم، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، ويقبله من عبده المسكين، وينفع به المسلمين؛ إنه جواد كريم.

ونسأله تعالى:

أن يحيينَا على التوحيد والسُّنَّة، وأن يجمعنا على ما يرضيه عنا، وأن يُمَسِّكَنا جميعًا بحبله المتين وصراطه المستقيم.

ونسأله تعالى:

أن يقِرَّ أعيننا بنصْر السنة، وقمْع البدعة، وظهور عقيدة أهل السنة.

ونسأله تعالى:

أن يرفع عن بلادنا وبلاد المسلمين: الوباء، والبلاء، والغُمة؛ وأن يتوب علينا لنتوب، ويهدينا إلى مراضيه، ويعتق رقابنا من النار؛ ويرزقنا الفردوس الأعلى.

ونسأله تعالى:

أن يجعلنا وإياكم ممن يقولون فيعملون، ويعملون فيخلصون، ويخلصون فيقبلون

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[الزمر:18].

إنه بالإجابة كفيل، وهو على كل شيء قدير، وهو حسبنا ونِعم الوكيل.

وصلِّ اللهم وسلِّم وبارِك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

"سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك"

وبالله التوفيق ...

وكتبه: أبو عبد الله السكندري المصري

محمد أنور محمد مرسال

الاثنين/السادس عشر من جمادى الآخر(1444 هـ)

الموافق: 9 /يناير/ 2023 م

فهرس المحتويات

مقدمة المصنِّف (عفا الله عنه) 4
متنُ:(أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فِي الصِّفَاتِ)........................... 7
الكلام عن التوحيد عمومًا وأقسامِه 9
تعريف التوحيد 9
أقسام التوحيد.. 9
ج ـ للعلماء طريقتان في تقسيم التوحيد: 9
الطريقة الأولى (التقسيم الثنائي): 9
الطريقة الثانية (التقسيم الثلاثي):..................................... 9
ما المقصود بتوحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات؟ 10
أمثلة على توحيد الربوبية... 10
توحيد الإلوهية.. 10
أمثلة على توحيد الألوهية... 11
توحيد الأسماء والصفات.. 11
أمثلة على توحيد الأسماء والصفات: 11
ولماذا أفرد العلماء توحيد الأسماء بقسم مستقل مع أنه داخل في توحيد الربوبية؟.. 11
الفرق بين توحيد الربوبية والألوهية...................................... 12
من الذي ردَّ تقسيم التوحيد؟ 12
لماذا أنكروا تقسيم التوحيد؟ 13
(تنبيه)... 13
الجواب على مَن ردَّ تقسيم التوحيد...................................... 14
الرد على مَن زعم أن شيخَ الإسلام ابن تيمية أولُ من أحدث هذا التقسيم ... 14
بعض مَن ورد عنهم من السلف التفريق بين الربوبية والألوهية............ 15
الرد على من زعم أن هذا التقسيم بدعيٌّ محدث)........................ 16
الأدلة على التفريق بين الربوبية والألوهية.............................. 18
هل توحيد الربوبية عند المشركين كان صحيحًا؟........................... 20
أسئلة تتعلق بتوحيد الأسماء والصفات وأقسامه........................... 21
أشهر طرائق العلماء في تقسيم الصفات 21
أ ــ تقسيمها باعتبار "دليل الثبوت" 21
ب- تقسيمها باعتبار "الثبوت لله وعدَمه" 21
جـ- تقسيمها باعتبار "لُزومها للذّات وعدَمه - تعلُّقها بالمشيئة" 21

التقسيم المختار: التقسيم باعتبار "الثبوت وعدَمه"................................22
أقسام الصفات -على وَفق التقسيم المختار...22
صفات الله في الجملة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:..22
أقسام الصفات الثبوتية، وضابط كل قسم؟..22
الكلام عن الصفات الذاتية...22
ضابط الصفات الذاتية..22
الكلام عن الصفات الفعلية الاختيارية...23
كيف أضبط الصفات الفعلية الاختيارية؟...23
الكلام على الصفات الخبرية...24
ضابط الصفات الخبرية...24
الصفات الخبرية: صفات ذاتية لا تنفك عن الله فلماذا وضعناها في قسم خاص وقلنا: إنها صفات خبرية، ولم نقُل عنها: إنها صفات "ثبوتية ذاتية"؟ 25
ضابط الصفات السلبية...26
ضابط الصفات السلبية...26
صفات كمال من وجه، ونقص من وجه آخر...27
ضابطها، وحكمها..27
أسئلة تتعلق بمصطلح "أهلُ السنّة والجماعة".......................................29
هل مصطلح "أهل السنة والجماعة" ورد في النصوص الشرعية؟..........29
لماذا سُمُّوا بهذا الاسم؟...29
متى أُطلق هذا المصطلح؟..29
أول مَن أطلق هذا المصطلح؟..29
مِن أين جاءت هذه التسمية؟..31
إطلاقات مصطلح أهل السنة...32
الإطلاق العامّ: (هو ما يقابل الشيعة الروافض) 32
(تنبيه)...32
الإطلاق الخاص: (وهو يقابل أهل البدع والأهواء والأقوال المحدثة).......32
مَن أهل السنة والجماعة؟..33
وهل يلزم من ذلك أن يكونوا السوادَ الأعظم في كل وقت؟...................34
أسماء أهل السنة والجماعة...35
حكم هذه التسمية..35
طَعنَ بعضُ المعاصرين في هذه التسمية، وزعم أنها بدعية محدثة!!........35
الرد على بدعية هذا التسمية، التي وردت عن فحول من أهل العلم........36
أسئلة تتعلق بمصطلح "عقيدة"...37

ما معنى العقيدة..37
العقيدة في الاصطلاح: لها إطلاقان..................................37
الإطلاق الأول: "معنًى عامٌّ" 37
الإطلاق الثاني: "إطلاق خاصٌّ"..37
لماذا سميت العقيدة بهذا الاسم؟ 37
هل مصطلح "العقيدة" ورد في القرآن والسنة؟.........................37
مَن أول من ذكر هذا المصطلح؟ 38
(تنبيه)..38
هل يجوز استخدام هذا المصطلح الذي لم يرد في القرآن ولا في السنة؟....38
مرادفات مصطلح "العقيدة"..40
(المرادفات المعتبرة)...40
(المرادفات غير المعتبرة عند أهل السنة) 40
أسئلة تتعلق بعقيدة أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى.................42
عقيدة أهل السنة والجماعة في صفات الله ﷻ...........................42
لماذا اعتمدنا هذه العقيدة المقتبسة من كلام ابن تيميّة في الواسطية؟.........42
معنى التحريف 43
لماذا قال:(من غير تحريف)،ولم يقل: (من غير تأويل)؟ 43
معاني التأويل، ومعناه عند المتقدمين والمتأخرين...........................44
المعنى الأول...44
المعنى الثاني...45
المعنى الثالث 45
(تنبيه مهم)...46
أقسام التأويل (صرف اللفظ عن ظاهره) 47
القسم الأول...47
القسم الثاني...47
الفرق بين التأويل والتحريف..47
أقسام التحريف...47
أولًا ـ (التحريف اللفظي) 48
مثال على التحريف اللفظي الذي لا يغير المعنى..............................48
مثال على التحريف اللفظي الذي يغير المعنى 48
ثانيًا ـ (التحريف المعنوي)..48
بعض أدلة بطلان التحريف 49

تعريف التعطيل 50
أقسام التعطيل عمومًا.. 50
أقسام التعطيل في الصفات 50
التعطيل الكلي... 50
التعطيل الجزئي.. 51
هل المعتزلة يثبتون الأسماء إثباتَ أهل السنة؟ 51
أُغلوطة مشهورة تُقال في الدرس العقديّ هي.......................... 51
سبب التعطيل 52
بعض الأدلة على بطلان التعطيل... 52
معنى التكييف.. 53
هل لفظ التكييف ورد في القرآن والسنة؟............................... 54
هل لفظ "التكييف" ورد على ألسنة السلف؟............................ 54
بعض أدلة بطلان الخوض في الكيفية.................................... 54
حكم السؤال عن كيفية صفات الله ﷻ................................... 56
الدليل على أن السؤال عن الكيفية لا يجوز 56
أدلة حرمة السؤال عن الكيفية... 56
الجواب عن السؤال عن الكيفية؟كيف ينزل؟ كيف يفرح؟ كيف يضحك؟ كيف يغضب؟ كيف يدُه؟ كيف وجهُه .....إلخ؟................................ 57
للسلف طرائقُ بديعة في جواب السؤال عن كيفية صفات الله.......... 57
(الطريقة الأولى في الجواب عن السؤال عن كيفية الصفة)............. 58
(الطريقة الثانية في جواب السؤال عن كيفية الصفة).................. 59
(الطريقة الثالثة في جواب السؤال عن كيفية الصفة).................. 59
تعريف التمثيل... 60
لماذا ذكر نفي التمثيل في عقيدة أهل السنة والجماعة، ولم نذكر التشبيه؟... 60
وهل يجوز أن نقول: "ولا شبيه له" وننفي التشبيه؟ 61
أول من وقع في التشبيه والتمثيل.. 62
وما الذي حمل الممثلة على هذا التمثيل والتشبيه؟..................... 62
بعض الأدلة على بطلان التمثيل... 62
أسئلة تتعلق بالتفريق بين المصطلحات 67
الفرق بين التأويل والتحريف.. 67
ما الفرق بين التكييف والتمثيل... 67
ما الفرق بين التعطيل والتحريف.. 67

ما الفرق بين التعطيل والتكييف 68
الفرق بين التمثيل والتشبيه 68
أسئلة تتعلق بالأصل الأول: صفات الله كلُّها حسنى...................................... 70
ما معنى (صفات الله كلها حسنى)... 70
بعض الأدلة على هذا الأصل... 70
﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ الخلاف بين المفسرين في معنى الوصف الأعلى (هامش)
.... 70
(قصة)... 73
فروع تتعلق بهذا الأصل.. 76
اعتبارات الحُسن في صفات الله ﷻ.. 76
الاعتبار الأول ــ (باعتبار الانفراد)... 76
الاعتبار الثاني ــ (باعتبار الاجتماع)....................................... 76
هل صفات الله تتفاضل؟.. 78
اعتبارات تفاضل صفات الله ﷻ.. 78
الاعتبار الأول: بين صفتين مختلفتين. 78
الاعتبار الثاني: في الصفة الواحدة.. 78
بعض الأدلة على تفاضل صفات الله ﷻ باعتبار صفتين مختلفتين. 78
بعض الأدلة على التفاضل باعتبار الصفة الواحدة............................ 80
هل القرءان يتفاضل؟... 81
نُقِلَ عن جماعة من أهل السنة: أنَّ القرءان لا يتفاضل 81
الخلاف في تفاضل القرءان.. 82
(القول الأول)... 82
(تنبيه)... 83
(القول الثاني).. 84
(القول الثالث) 84
بيان مذهب جمهور أهل السنة والجماعة في تفاضل القرءان................. 85
الأدلة على أن القرءان يتفاضل.. 85
ما الذي حمل بعض أهل السنة على القول بعدم تفاضل القرءان؟ 87
ما الفائدة المترتبة على معرفة مسألة تفاضل صفات الله ﷻ؟ 87
أسئلة تتعلق بالأصل الثاني: صفات الله توقيفية 89
معنى هذا الأصل (صفات الله توقيفية) 89
هل العقل له مدخل في ثبوت الصفات؟ ومسالك الناس في هذه المسألة 89

أ ـ المسلك الأول:(تقديم العقل).. 89
ب ـ المسلك الثاني:(هَدْي أهل السنة والجماعة) 89
القسمة في هذا الباب ثلاثية.. 89
القسم الأول:(صفات ثبتت بالشرع)....................................... 90
القسم الثاني:(صفات ثبت نفيها بالشرع)................................ 90
القسم الثالث:(ما لم يرِد الشرع بنفيه ولا بإثباته)...................... 90
التنبيه على خطأ لبعض المعاصرين.. 90
صفات الله، منها:ما للعقل مَدخل في إثباتها، ومنها: ما لا مَدخل له في إثباتها قطُّ 92
الدليل الشرعي يدل على ثبوت الصفات في الجملة بالعقل................... 92
الدليل العقلي يدل على ثبوت الصفات في الجملة بالعقل 92
ثانيًا:(من جهة التفصيل)... 93
(تنبيه مهم) 94
تنبيه: على خطأ **قد يقع في الدرس العقدي من بعض المشايخ**............. 95
بعض الأدلة على هذا الأصل (صفات الله توقيفية)............................ 95
كيف نعرف صفات الله من النصوص الشرعية؟............................... 96
أ ـ التصريح بالصفة 97
ب ـ التصريح بالاسم 97
ج ـ التصريح بالفعل 97
الفرق بين الصفات والأفعال بالنسبة لله 98
ما المقصود بالإخبار في باب الصفات؟...................................... 99
ضابط الإخبار عن الله ﷻ 100
الفرق بين الصفة والخبر 100
ما الاشتقاق.. 101
أسئلة تتعلق بالأصل الثالث: (كل اسم: يتضمن صفة)....................... 102
معنى هذا الأصل.. 102
معنى "أسماء الله: أعلام، وأوصاف"... 102
ما المقصود بالترادف والتباين؟ 103
بعض الأدلة على أن أسماء الله: أعلام، وأوصاف. 104
أسئلة تتعلق بالأصل الرابع: وأنها غير مخلوقة................................ 108
معنى ها الأصل: "صفات الله: غير مخلوقة"..................................... 108
بعض الأدلة على هذا الأصل... 108

الخلاف في حكم الحلف بكل صفات الله.. 114
إشكال: هناك نصوص تدل على أن صفات الله مخلوقة، كحديث:(إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً،وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً).. 116
أنواع الرحمة المضافة إلى الله تعالى... 108
النوع الأول: الرحمة المخلوقة (إضافة مخلوق لخالقه) 108
النوع الثاني: رحمة غير مخلوقة (صفة لله تعالى)............................ 108
أسئلة تتعلق بالأصل الخامس: ((وأنها تثبت بخبر الواحد)) 120
معنى هذا الأصل "وأنها تثبت بخبر الواحد".. 120
أقسام الأخبار باعتبار عدد الرواة.. 120
تعريف الخبر المتواتر وشروطه... 120
أقسام الخبر المتواتر... 123
المتواتر اللفظي.. 123
المتواتر المعنوي:.. 124
حكم الخبر المتواتر 125
تعريف خبر الآحاد... 126
حكم الخبر الآحاد 126
أول من قسم الأحاديث إلى: آحاد، ومتواتر.. 127
هل تقسيم الأحاديث إلى: آحاد، ومتواتر:- تقسيم بدعيٌّ؟ 128
مَن أشار إلى بدعية تقسيم الأحاديث لمتواتر، وآحاد: قد أصاب، وأخطأ.. 129
معنى هذا الأصل (وأنها تثبت بخبر الواحد) 129
حكم القول بعدم ثبوت صفات الله بخبر الواحد، وحكم التفريق في العمل بين خبر الواحد والخبر المتواتر في العقائد عمومًا.. 129
الدليل على هذا الأصل (وأنها تثبت بخبر الواحد).............................. 130
جملة من الأدلة التي يُستأنس بها في الباب 140
قبول خبر الواحد هو منهج الأنبياء والمرسلين.................................... 140
قبول خبر الواحد: منهج الصحابة وإجماعهم رضي الله عنهم 142
شبهة: رد النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم خبر الواحد، والجواب عنها 142
أسئلة تتعلق بالأصل السادس: صفات الله تجري على ظاهرها 146
معنى هذا الأصل "وأنها تجري على ظاهرها" 146
المقصود بالحقيقة والمجاز، مع ذكر أمثلة.. 146
علاقة الحقيقة والمجاز بنصوص الصفات.. 147

الخلاف في وجود المجاز في كلام العرب واللغة............................ 147
الخلاف في جود المجاز في القرءان.. 148
ما شروط حمل اللفظ على المجاز؟ 151
الدليل على هذا الأصل "وأنها تجري على ظاهرها"؟ 151
الخلاف في الإشارة باليد عند ذكر الصفة.. 158
بعض آثار السلف الدالة على هذا الأصل.. 160
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما المتوفى سنة (84 هـ)................................... 160
أبو العالية رَحِمَهُ اللَّهُ المتوفى سنة (93 هـ).. 160
مجاهد بن جبر رَحِمَهُ اللَّهُ المتوفى سنة (103 هـ).. 160
أبو عبد الله عكرمة مولى ابن عباس المتوفى سنة (104 هـ) 161
ابن أبي مليكة (117 هـ).. 161
الإمام حماد بن زيد رَحِمَهُ اللَّهُ المتوفى سنة (179)................................. 161
الوليد بن مسلم المتوفى سنة (195 هـ).. 161
هل السلف يفوضون المعنى؟ 162
الإمام سفيان بن عيينة رَحِمَهُ اللَّهُ المتوفى سنة (189 هـ)........................ 163
الإمام أحمد بن حنبل -رَحِمَهُ اللهُ- المتوفى سنة (241)........................ 163
الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ المتوفى سنة (279 هـ)................................ 163
الإمام الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ المتوفى سنة (280) 163
الإمام محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ المتوفى سنة (310 هـ) 163
إمام الأئمة ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ المتوفى سنة (311 هـ)......................... 166
الإمام اللالكائي رَحِمَهُ اللَّهُ المتوفي سنة (418 هـ)................................ 166
الإمام أبو يعلى رَحِمَهُ اللَّهُ المتوفى سنة (458 هـ) 167
الإمام ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ المتوفى سنة (436 هـ)............................ 167
شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.. 168
أسئلة تتعلق بالأصل السابع:(نصوص الصفات معلومة لنا من وجه، مجهولة لنا من وجه).. 169
معنى هذا الأصل.. 169
تطبيق 169
على مَن يرد هذا الأصل مِن طوائف أهل البدع؟............................. 170

المدارس المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة في باب الصفات **170**
نبذة مختصرة يسيرة عن مدرسة التفويض **171**
ولماذا كانت نصوص الصفات معلومة لنا من جهة المعنى، مجهولة من جهة الكيفية؟ ولماذا سار السلف على هذا الأصل؟ **172**
الأدلة على هذا الأصل **173**
أولًا: الدليل على أن نصوص الصفات معلومة من جهة المعنى **173**
ثانيًا: الأدلة على الجهل بالكيف بالنسبة لنا **175**
أسئلة تعلق بالأصل الثامن:(وأنها ثابتة لله ﷻ على وجه لا يماثله المخلوق) **177**
معنى هذا الأصل **177**
الدليل على هذا الأصل **178**
بعض الأدلة على بطلان التمثيل **179**
على من يرد هذا الأصل من الطوائف؟ **184**
أسئلة تتعلق بالأصل التاسع: (وأنها قائمة بالله -عَزَّ وَجَلَّ) **186**
معنى هذا الأصل **186**
على من يرد هذا الأصل من الطوائف؟ **186**
الدليل على هذا الأصل **186**
هي العلاقة بين الصفة والذات **188**
هل يجوز ذكر لفظ "الذات"؟ **189**
الألفاظ المتعلقة بباب صفات الله ﷻ تنقسم إلي ثلاثة أقسام:................ **189**
(القسم الأول) **189**
(القسم الثاني) **190**
(القسم الثالث) **190**
أسئلة تتعلق بالأصل العاشر:(المضاف إلى الله نوعان، صفة لموصوف وخالق لمخلوق) **192**
معنى هذا الأصل **192**
المضاف إلى الله نوعان **192**
أمثلة تطبيقية على النوعين **192**
أمثلة تطبيقة على المملوكات **192**
أمثلة تطبيقة على الصفات **194**
ما الحكمة من إضافة الملكية، مع أن كل المخلوقات هي ملك لله ﷻ؟ **195**
أقسام الناس في المضاف إلى الله **198**

القسم الأول:(المعطلة) 198
القسم الثاني:(أهل الحلول والاتحاد)): 198
القسم الثالث:(أهل التخليط والتلفيق - كالأشاعرة-) 198
القسم الرابع:(مذهب أهل الحق، أهل السنة والجماعة)..................... 199
الدليل على هذا الأصل؟.. 200
بعض التطبيقات العملية على هذا الأصل؟ 200
أسئلة تتعلق بالأصل الحادي عشر: (يجبُ الإيمانُ بنصوصِ الصفاتِ، سواءٌ أعلِمْنا مَعناها أم لمْ نعلمْ).. 202
معنى هذا الأصل.. 202
إشكال يتعلق بهذا الأصل 202
تطبيقات عملية.. 203
(فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ):هل الحقو صفة لله؟.................................. 203
هل الملل، صفة لله؟.. 207
س141: ما المقصود بـ"لم نعلم معناها"؟...................................... 208
س142:ما الدليل على هذا الأصل؟.. 208
أسئلة تتعلق بالأصل الثاني عشر: (وأنه - بائنٌ مِنْ خَلْقِهِ، ليسَ شيءٌ مِنْ خَلقِهِ في ذاتِهِ، وَلا ذاتُهُ في شيءٍ مِنْ مخلوقاتِهِ)............................ 211
على من يرد هذا الأصل؟ 211
المقصود بوحدة الوجود.. 211
وحدة الوجود باختصار 212
نبذة عن الحلول، والاتحاد... 212
أقسام الحلول.. 214
الحلول العام... 215
الحلول الخاص 215
المقصود بالاتحاد 216
أقسام الاتحاد 217
القسم الأول:(الاتحاد العام).. 217
القسم الثاني:(الاتحاد الخاص)... 217
الفرق بين الاتحادين... 217
هل الاتحاد هو وحدة الوجود؟ 218
اتجاهات العلماء في وحدة الوجود والاتحاد والفرق بينهما 218
الفرق بين الحلول والاتحاد.. 219
أيهما أشد قبحًا، الحلول أو الاتحاد؟... 220

معنى هذا الأصل:...221
الدليل على هذا الأصل؟..222
الفصل الثاني: ((أصول أهل السنة والجماعة في النفي)) 225
أسئلة تتعلق بالأصل الأول:(كلُّ كمالٍ يتصفُ العبدُ بِهِ وَلا نقصَ فيهِ، فاللهُ أَوْلى بِهِ، وكلُّ نقصٍ يَتَنَزَّهُ العبدُ عَنْهُ ولا كمالَ فيهِ، فاللهُ أَوْلى أنْ يُنَزَّهَ عنْهُ) 226
معنى هذا الأصل...226
بعض التطبيقات على هذا الأصل...226
إشكال يتعلق بقيود هذا الأصل...230
الجواب عن هذه الإشكالية المتعلقة بالقيود.......................................230
خطأ بعض المعاصرين من الأشاعرة في هذا الأصل...........................234
بعض أصول التحرير العقدي..236
أ ـ التحصيل الجمعي للمقالات 236
ب ـ مراعاة الاختلافات المذهبية (العامة، والشخصية) 236
أمثلة على الاختلاف المذهبي العام (لجماعات وفرق ومدارس) 237
التنبيه على عدم تحرير مقالة:(المعتزلة يثبتون لله الأسماء، وينفون الصفات)
....237
البعض ينسب للمعتزلة القول بـ"إنكار عذاب القبر" وهوغلط.............238
(إشكال وجوابه)...240
أمثلة الاختلاف المذهبي الخاص (لعالم واحد بين التطور، والتناقض):...242
الأدلة على هذا الأصل...245
بعض الأدلة المتعلقة بالشطر الأول المتعلق بالإثبات..........................245
((بعض الأدلة المتعلقة بالشطر الثاني المتعلق بالنفي.........................248
أسئلة تتعلق بالأصل الثاني:(النفي يكون إجمالًا والإثبات يكون مفصلًا) ...250
معنى هذا الأصل؟ 250
إشكال:هناك نصوص فيها تفصيل في النفي وإجمال في الإثبات، فلماذا سار أهل السنة على هذا الأصل؟ 251
الحكمة من كون أغلب النصوص فيها الإثبات المفصل.......................252
الأدلة على هذا الأصل...252
إشكال 257
الجواب عن هذا الإشكال، (نصوص فيها تفصيل في النفي، وإجمال في الإثبات) وهذا الذي عناه الماتن بقوله: وهذا الأصل قد يختلف لعلل. 258
أشهر هذه العلل التي لأجلها قد يختلف هذا الأصل.............................258

أسئلة تتعلق بالأصل الثالث:(وأن القياس كله باطل في الصفات:كقياس الشمول وقياس التمثيل، عدا قياس الأولى -بضوابطه-) 262
معنى هذا الأصل.. **262**
يصح أن نقول:يجوز قياس الأولى في حق الله،أو صفات الله؟ **262**
معنى قياس التمثيل ومضمونه.. **263**
حكم قياس التمثيل.. **264**
أدلة بطلان قياس التمثيل.. **264**
معنى قياس الشمول ومضمونه.. **268**
حكم قياس الشمول.. **269**
ما الفرق بين قياس التمثيل، وقياس الشمول........................ **269**
معنى قياس الأولى، ومضمونه وضابطه........................ **269**
أسئلة تتعلق بالأصل الرابع:(وأنهم ينفون عن الله النقص مع ذكر كمال الضد) 271
معنى هذا الأصل.. **271**
هل "النسيان" صفة لله ﷻ (هامش) **272**
لماذا مع النفي نذكر كمال الضد وما فائدة ذلك؟ **273**
س176: ما الأدلة على هذا الأصل؟.. **273**
أسئلة تتعلق بالأصل الخامس: (وأنَّ القدر المشترك لا يلزم منه التمثيل) ..275
معنى هذا الأصل:(القدر المشترك لا يلزم منه التمثيل) **275**
تطبيقات عملية على القدر المشترك والقدر الفارق........................ **275**
حكم التسمي بأسماء الله، كالعزيز والرحيم **278**
حكم التسمي بأسماء معبدة لغير الله، ك:(عبد النبي، وعبد الكعبة، وعبد المسيح....إلخ).. **282**
اتفق العلماء على عدم جواز التسمي بهذه الأسماء -في الجملة- **282**
نَقَلَ بعض أهل العلم الاتفاق على تحريم مثل هذه الأسماء **283**
(إشكال) كيف يتَّفقون على تحريمِ الاسمِ المعبَّد لغير الله، وقد صحَّ عنه ﷺ **أنه قال:(تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَار، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ...) وقال (أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ).. 283**
جواب الإشكال: ليس في هذه النصوص ما يدل على الجواز **284**
أقسام الناس في القدر المشترك.. **284**
الطائفة الأولى:(نفاة القدر المشترك).. **285**
الطائفة الثانية: (مُقِرُّو الاشتراك اللفظي فقط) (وهم المفوضة). **285**

الطائفة الثالثة: مذهب أهل الحق، مذهب أهل السنة والجماعة............285
حكم نفي القدر المشترك، وما يترتب عليه..........................285
فائدة القدر المشترك وأهميته؟...................................285
أسئلة تتعلق بالأصل السادس:(وأنهم يتوقفونَ في الألفاظِ المُجْمَلَةِ التي تحتملُ الحُسْنَ وغيرَهُ)..........................287
ما معنى الألفاظ المجملة؟......................................287
معنى هذا الأصل..287
ضابط الألفاظ المجملة..287
حكم الألفاظ المجملة عند أهل السنة.............................287
الدليل على هذا الأصل..289
أَشْكَل بعض المعاصرين من الأشاعرة على هذا الأصل بإشكال. 290
جواب الإشكال: هذه مقالة مغلوطة؛ لأمور.........................290
(تنبيه)..291
أسئلة تتعلق بالأصل السابع:(ويسكتون عما سكتَ عنْهُ اللهُ ورسولُهُ) ...293
معنى هذا الأصل..293
القسمة في هذا الأصل ثلاثية.....................................293
القسم الأول:(ما علم ثبوته في النصوص الشرعية)...................293
القسم الثاني:(ما عُلم نفيه) 293
القسم الثالث:(ما لا يعلم نفيه ولا إثباته).........................294
الدليل على هذا الأصل..295
هل يتصف الله بالسكوت؟...297
صفة السكوت التي تُثبت لله لها معنيان.............................298
المعنى الأول:..298
المعنى الثاني..298
((الخاتمة))...299
فهرس المحتويات..300

((صَدَرَ للمؤلف))

1. أسئلة مُشكِلة في القدر.
2. الجامع المحرَّر في أحكام عاشوراء والمحرم.
3. علامات القول الشاذ- بين التأصيل والتطبيق.
4. أصول أهل السنة والجماعة في صفات الله عز وجل.
5. قواعد وضوابط تأصيلية في التكفير وتوحيد الألوهية.
6. أصول الفرق المخالِفة لأهل السنة والجماعة في الصفات.
7. الرد على شبهات مَن أباح الموسيقى والأغنيات.
8. تحرير المسائل والأقوال في صيام الستة من شوال.
9. مسائل فقهية مهمة يكثر السؤال عنها.
10. المعونة في حكم إخراج زكاة الفطر معكرونة.
11. القول الجلي في الاحتفال بالمولد النبوي.
12. اللمعة في حكم اجتماع العيد مع الجمعة.
13. خلاصة الكلام في إفراد السبت بالصيام.
14. الدرر البهية من حياة ابن تيمية.
15. القول المبتوت في حكم صلاة الجمعة في البيوت.
16. مكايد الشيطان.
17. حكم الصيام بعد منتصف شعبان.
18. الاختصار في أحكام الانتحار.

19ـ هل يجوز للمرأة أن تصوم الستة من شوال قبل قضاء ما عليها من رمضان؟

20 ـ كيف أخشع في صلاتي؟

21 ـ أحكام فقهية مهمة لقارئ القرآن في شهر رمضان.

22 ـ فقه الأضحية (شرح متن الغاية والتقريب).

23 ـ شرح كتاب الصيام (شرح عمدة الأحكام).

24 ـ عيد الأم- بين الوهم والحقيقة.

25 ـ كنوز مهجورة.

26 ـ أسباب الفرح في رمضان.

27 ـ خدعوك فقالوا.

28 ـ 100 سبب لمغفرة الذنوب.

29ـ حوار مع مسلمة.

30ـ مخالفات تقع فيها النساء.

31ـ مخالفات يقع فيها الرجال.

32ـ حكم الجمع بين الأضحية والعقيقة

33ـ كيف أتدبر القرآن؟

34ـ حكم الاحتفال والتهنئة بالكريسماس.

35ـ رسالة لكل مريض: (لا تحزن).

36ـ فضل تلاوة القرآن.

37ـ رسالة إليك أخي التاجر!

38 ـ المختصر في مسائل القدر.

39 ـ فضل المطر في القرآن والسُّنة.

40 ـ الاستسقاء بالأنواء (حكم قول: مُطِرْنا بنوء كذا وكذا).

41 ـ فقه الأضحية (شرح متن "الياقوت النفيس").

42 ـ هل صلاة التعقيب بدعة؟ (حكم صلاة التعقيب)

43 ـ أحكام زكاة الفطر (شرح عمدة الأحكام) تعليق وتحقيق.

44 ـ رقائق رمضانية.

45 ـ مختصر أحكام الصيام بالدليل والبرهان.

46 ـ شرح كتاب الأطعمة من (بلوغ المرام).

47 ـ المغني المفيد في علم التوحيد (متن جامع لعقيدة أهل السنة والجماعة).

48 ـ سلسلة فوائد علمية.

49 ـ تفسير آية الكرسي.

50 ـ تفسير سورة الفاتحة.

51 ـ شرح المنظومة البيقونية.

52 ـ هل تحب أن تصلي عليك الملائكة؟!-أعمال تستجلب صلاة الملائكة-

53 ـ مذكرة في الإيمان.

54 ـ مختصر شرح أصول أهل السنة والجماعة في الصفات في سؤال وجواب.

وغير ذلك بحول الله وفضله [1].

---

(1) ـ غالب هذه الكتب: ما بين مطبوع ورقي، أو ألكتروني، وهو متوفر على الشبكة العنكبوتية، ومنها قلة ما بين (تحت الطبع والتجهيز، أو عندي حتى ييسر الله ظهورها) والله الموفق.